دراســات في تاريخ الشرق الأدنى القديــم

الجــزء الثــالــث

حضارات الشرق الأدنى القديم

تــأليــف

أ.د علاء الدين عبد المحسن شاهين
أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدني القديم
رئيس قسم الآثار المصرية
كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

القاهرة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م

دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديـــــم (٣)

حضارات الشرق الأدنى القديـــم

تأليف
أ.د علاء الدين عبد المحسن شاهين

القاهرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الإهداء

أهدي هذه الدراسة المتواضعة عن حضارات الشـــرق الأدنـــى القديـــم
إلى أفراد أسرتـــي الغاليـــة اعترافا بالجميل

تمهيــــــد

شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم حضارات متعددة في وادي النيل ، مناطق شرق حوض البحر المتوسط في سوريا القديمة ولبنان وفلسطين وشرق نهر الأردن وفي حوض نهري دجلة والفرات أو ما يعرف بحضارة بلاد ما بين النهرين أو الرافدين وبعض مواقع الساحل الغربي من الخليج العربي ومناطق الداخل في شبه الجزيرة العربية.

وسوف نتناول في تلك الوريقات التالية بالعرض الموجز بعض الملامح الحضارية لتلك المواقع وما خلفه انسان المكان آنذاك بالمكان من انشاءات معمارية مدنية كانت أو دينية وأدواته المتعددة التى استخدمها من خامات متعددة وفخاريات وما عكسته تلك البقايا الأثرية بالمكان من دلائل علي تأثيرات حضارية متبادلة بين سكان تلك الحضارات منذ البدايات المبكرة ووصولا إلي القرن الثالث قبل الميلاد مع مرحلة الغزو لجيوش الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م

هذا وبالله التوفيـــق

أ.د علاء الدين عبد المحسن شاهين
الجيـــزة ٢٠٠٥م



فهرس المحتويات

الصفحـــة



الفصل الأول

طبوغرافية بلاد الشام والعراق القديم ... ملامح عامة

الفصل الأول

بلاد الشام والعراق القديم ... ملامح عامة

تشمل حضارات الشرق الأدنى القديم حيزًا جغرافيا يغطى وادى النيل، بلاد الشام، بلاد الرافدين، والجزيرة العربية. ويضاف أحيانًا إلى ذلك حضارات إيران ووادى السند وبلاد الأناضول. ويطلق أحيانًا على حضارات الشرق الأدنى القديم تعبير «الشرق القديم الآسيوى» Le Porche Orient Asiatique. وتتمثل أهمية منطقة الشرق الأدنى القديم فى ارتباطه بنشأة الديانات السماوية الثلاث: اليهودية، المسيحية والإسلام على أرض حضاراته. وبدون شك فإن حضارتى مصر الفرعونية والعراق كانتا الأقدم بين تلك الحضارات، وعكست مواقعها الأثرية المكتشفة بها مدى ما ساهم به أهلها فى المجالات الحضارية المختلفة.

وشغل إقليم الشام المساحة ما بين مرتفعات جبال طوروس شمالاً وانحناءة نهر الفرات وحافة الصحراء العربية حتى البحر الميت شرقًا، والبحر المتوسط غربًا وشبه جزيرة سيناء إلى الجنوب. ويشمل بذلك على الكيانات السياسية المعروفة حاليًا باسم الجمهورية العربية السورية، الجمهورية اللبنانية العربية، فلسطين، والمملكة الأردنية الهاشمية فيما بين خطى عرض ٣١°، ٥٧° شمالاً وخطى طول ٢٢°، ٥٤° شرقًا[١] (انظر خريطة ١ - ٢).

وقد أطلق سكان حضارة العراق القديم فى العصر الأكادى اسم «أمورو» المقابل لكلمة «مارتو» السومرية بمعنى «الغرب» على بلاد الشام. وعرفوا البحر المتوسط باسم «بحر أمورو العظيم». ومنذ العهد اليونانى استخدم اصطلاح «سورية»، «سورستان» عند الترك، «وآرام» فى التوراة، وهى كلمة يونانية محرفة عن أصل سامى قديم يعنى «بلاد الشام» أو «الشأم» بمعنى «اليسار أو الشمال» فى مقابل مع ما أطلقه العرب على بلاد اليمن[٢]. ومن الجدير بالملاحظة أن النصوص المصرية أشارت إلى بلاد الشام بمصطلحات جغرافية عامة أحيانًا، أو محددة لأماكن أو وحدات جغرافية محددة أحيانًا أخرى من بين أشهرها «الرتنو» كاصطلاح عام لكل سوريا وفلسطين، ثم فى مرحلة تالية بدأت تقسيماتها إلى «الرتنو العليا» وتقتصر فى استخدامها على سوريا و «الرتنو السفلى» بمعنى فلسطين، وأحيانًا بالإشارة إليها على أنها أرض «جاهى (زاهى)»، أو أرض الفنخو.

ويقع العراق فى الجزء الجنوبى الغربى من قارة آسيا. ويتمتع بموقع إستراتيجى وتجارى ذى أهمية قصوى. فلقد كان ملتقى الطرق التجارية الموصلة بين البحر المتوسط والمحيط الهندى والشرق الأقصى والهند. وكان لمثل هذا الموقع المتميز أثره الواضح فى حياة سكان العراق الأقدمين واهتمامهم بالتجارة ونشاطهم فى تطوير النظم الاقتصادية المختلفة(٣). وتتألف أراضى العراق من مساحات واسعة صالحة للزراعة خاصة فى القسم الجنوبى، وتوافرت بأرضه مصادر مائية ضخمة من خلال نهرى دجلة والفرات بصفة خاصة(٤).

وكانت تلك الأنهار أحيانًا مصدرا لفيضانات مدمرة. ولقد كان لتعدّد الأنهار وكثرة الأهوار والمستنقعات التى جزأت البلاد إلى أجزاء منفصلة عن بعضها البعض، يعتمد كل منها فى حياته على مورد ماء مستقل أثره فى قيام عدد من الإدارات والتنظيمات السياسية المستقلة، أو ما يعرف بنظام «دويلات المدن» السياسى - City State(٥) (انظر خريطة ٣).

وقد اختلفت التسميات التى عُرفت بها حضارة العراق القديمة لعلّ أشهرها ميزوبوتاميا Mesopotamia عن أصل يونانى بمعنى «بلاد ما بين النهرين»، بارابوتاميا Parapotamia بمعنى «ماحول النهرين»، بلاد النهرين، بلاد الرافدين، وحضارة الرافدين(٦) وإن لم تغط أيًا من تلك التسميات المساحة الجغرافية لكل حضارات العراق القديم وما يرتبط بها.

وأشارت النصوص المصرية إلى حضارات العراق القديم بتسميات متعددة من خلال العلاقات المتعددة بين الحضارتين بدءا من العصر البرونزى الحديث/ الدولة الحديثة (عصر الإمبراطورية المصرية) بصفة خاصة. ومن بين أشهر تلك التسميات «أرض متن» أو أرض ميتان، وأرض سنجر (بابل).

وكان لمثل هذا الموقع لكل من بلاد الشام والعراق جوانبه الإيجابية والسلبية. وتعدّدت ملامح الاتصالات بين الحضارتين من جهة ومع ماجاورها من مراكز حضارية أخرى وعبر عصور تاريخية طويلة، وخاصة مع حضارة مصر الفرعونية إلى الجنوب الغربى منها، ومع بلاد الأناضول (تركيا الحالية) خلال عصر مجدها الحيثى من جهة أخرى. كما تعدّدت ملامح التقابل والتضاد فى العلاقات بين القطاع الشمالى من بلاد الشام وحضارة العراق القديم. إضافةً إلى ذلك كان هناك تداخلات فى العلاقات بحكم الموقع الجغرافى لحضارة العراق القديم مع حضارة إيران إلى الشرق ومناطق الخليج العربى القديم إلى الجنوب وعبره إلى حضارات بلاد السند.

وغلبت على تلك الاتصالات الطابع التجارى وتحقيق مآرب اقتصادية -Econo) my) بصفة أساسية من أجل الحصول على موارد اقتصادية تتميّز بها، أو للاتجار معها فى مقابل منتجات أخرى من أشهرها الأخشاب، المعادن، الأحجار الكريمة، الراتنجات، القار من البحر الميت، والذهب المصرى. وارتبط بذلك أيضًا موقع الحضارتين على خطوط التجارة الدولية[٧] (انظر خريطة ـ ٤). وارتبط بذلك أيضًا زيادة الصبغة العسكرية لأغراض أمنية (Security) بين حضارات بلاد الشام وما جاورها فى العراق القديم أو فى حضارة وادى النيل. وترجع أقدم دلائله فى النصوص المصرية إلى ماورد فى لوحة الملك دن (أوديمو) من الأسرة الأولى المصرية من قيامه بضرب «أهل الشرق (إيابتيو) لأول مرة»[٨]. وتردد صدى لذلك النشاط المصرى العسكرى أكثر من مرة خلال عصر الدولة القديمة، مثلما نعلم من مناظر مقبرة «كا ـ م ـ حست» فى جبانة سقارة على مبعدة ٢٠ كم إلى الجنوب من القاهرة الحالية، مقبرة «إنتا» فى دشاشة، وضمن نصوص الموظف المصرى «ونى» ضد العامو والحريو شع (البدو الذين على الرمال)، واستخدامه المدنى للأسطول المصرى فى نقل قواته العسكرية ومؤنه وعتاده إلى موقع المعركة عند «أنف الرئم»، جبال الكرمل فى فلسطين[٩]. وبلغت ذروتها خلال عصور التوسع العسكرى المصرى فى عصر الدولة الحديثة (١٥٦٧ ـ ١٠٨٥ق م) حيث وضعت مصر لها كيانًا إداريًا ينظم ممتلكاتها بالقوة على كل من لبنان، فلسطين، الأردن وجنوب سوريا، أو خلال قمة التوسع العسكرى الآشورى الحديث خلال الألف الأول ق م حينما خضعت كل بلاد الشام ومصر للسيطرة السياسية والإدارية والعسكرية للعراق القديم. وعانت بلاد الشام بصفة خاصة الأمرين من جراء ذلك الاحتلال العسكرى بلغ مداه فى القسوة أحيانًا باتباع سياسة التدمير والحرق وسياسة التهجير (Deportation) لسكان المكان من أجل إحداث تغييرات ديموجرافية فى البنية الأساسية للمكان.

وتعددت وسائل الاتصال بين تلك المراكز الحضارية فى بلاد الرافدين وبلاد الشام بعضها البعض، أو مع ما جاورها من مراكز حضارية أخرى خاصة مع مصر الفرعونية من خلال الطرق البرية لعلّ أشهرها هو المعروف باسم «واوات حر» فى النصوص المصرية (طرق حورس)، وهى تلك التى تمتد عبر الساحل الشمالى من شبه جزيرة سيناء ما بين القنطرة شرق فى الغرب إلى رفح فى الشرق، ولعبت دورًا هامًا فى الربط بين حضارة وادى النيل وخطوط التجارة والاتصالات الدولية عبر فلسطين إلى سوريا، أو بين سوريا والعراق القديم[١٠].

وتردّدت إشارات عدة إلى هذا الطريق الحربى الشهير فى النصوص المصرية على سبيل المثال ضمن النص الأدبى المعروف باسم «نصائح الملك خيتي إلى ابنه مريكارع»

من فترة الانتقال الأول المصرية، وفى نص «سنوهى» أحد نبلاء مصر من الأسرة الثانية عشر الذى هرب إلى بلاد الشام واستقر هناك لبعض الوقت، وأيضًا هو نفس الطريق الذى قدمت عبره القبيلة البدوية الآسيوية الممثل وصولها إلى مصر على أحد جدران مقبرة الأمير «خنوم حتب» حاكم إقليم الوعل، إحدى مقاطعات مصر الوسطى بمحافظة المنيا الحالية، برئاسة زعيمهم «إبشا»، أو ضمن ما ورد فى تقرير موظف الحدود المصرية من عصر الدولة الحديثة[11].

كما لعبت الطرق البحرية دورًا هاما فى الاتصالات بين مراكز حضارات بلاد الشام ومصر والعراق القديم. وعكست النصوص والدلائل الأثرية قدم تلك الاتصالات ومنذ فجر التاريخ، وكيف أن مثل تلك الاتصالات الملاحية أحيانًا ما استخدمت لتحقيق غرضى الاقتصاد والأمن معًا. وتردد صدى لها ولأنواع السفن المستخدمة لتحقيق أغراضها. ولعلّ من بين أشهر تلك السفن ما يعرف باسم «السفن الجبيلية»، نسبة إلى جبيل على الساحل اللبنانى الحالى (= كبن فى اللغة المصرية القديمة). وحفظت لنا بعض المصادر الأدبية وصفًا لرحلات بحرية عبر البحر المتوسط ومراكزه الحضارية عاكسة مدى ازدياد نفوذ الحضارة المصرية على المكان وعلاقاتها به سلبًا أو إيجابًا مثلما يتضح على سبيل المثال من نص «سنوهى» الأدبى من الدولة الوسطى، ورحلة «ون آمون» من فترة الانتقال الثالث (١٠٨٥ ـ ٦٦٤ ق م)[12].

واصطبغت تلك العلاقات بين حضارات بلاد الشام والعراق القديم ووادى النيل أحيانًا بوجود نوع من الموجات البشرية السلمية أحيانًا فى تداخلاتها فيما بينها، أو باعتبارها موجات بشرية غازية تدمر أحيانًا فى تحركاتها مراكز حضارية أخرى، أو تنشئ لنفسها مراكز سلطة فى أماكن أخرى مثلما نعرف عن موجات التسلّلات البشرية إلى دلتا وادى النيل خلال فترة الانتقال الأول وعكستها نصوص «إيبوور» الأدبية، وخلال عصر الانتقال الثانى أو المعروف اصطلاحًا بفترة الهكسوس، والتى أقامت سلطة لها على شرق دلتا وادى النيل وإلى حين، أو مثلما نعرف عن تلك الموجات للجوتيين الجبلية التى دمرت فى زحفها إلى سهول العراق مراكز الحضارة السومرية ـ فى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وردّدت النصوص الأدبية العراقية صدى ما عانته الحضارة بالمكان آنذاك من بربريتهم الجبلية، أو من خلال ما نعرفه من تقدم تلك الموجات الهندو أوربية من وسط آسيا، وزحفها إلى حضارات الشرق الأدنى القديم وبدء استقرارها ببعض مراكزه الحضارية، وتسمّت فى كل موقع باسم عرفته المصادر النصيّة من حوريّين وكاسيّين وميتانيّين وحيثيين.

الفصل الثاني

حضارات فلسطين إلي نهاية العصر الحديدي

الفصل الثانى

حضارات فلسطين إلى نهاية العصر الحديدى

عكست الملامح الجغرافية لكل من فلسطين والأردن أقسامًا رئيسية تمثلت فى الإقليم الساحلى، التلال الوسطى (سلسلة الجبال الوسطى)، منخفض وادى عربة، التلال الشرقية بالأردن أو هضبة الأردن، وأخيرًا الصحراء والتى تتلاشى فيها تدريجيًا التلال الشرقية. وتحد الإقليم جنوبًا صحراء النقب وفى الشمال الشرقى ما يعرف بسهل دمشق[١٣] (انظر خريطة رقم ١، ٥).

ويفصل السهل الساحلى ما بين سهل عكا وسهول لبنان، بينما توجد تلال حجرية فى الجزء الشمالى من منطقة الجليل. كما يوجد عدد من المناطق السهلية لعل أهمها سهل جبل الكرمل وسهل دور، والذى يتحول إلى ما يشبه المستنقعات فيما وراء نهر الزرقاء، وأيضًا سهل شارون والذى كان فيما سبق تغطيه غابات البلوط، والذى يمتد إلى وادى عجلون، ويتصل بالبحر المتوسط قرب يافا. ويوجد إلى الجنوب من ذلك المنطقة الساحلية التى استوطنتها إحدى مجموعات شعوب البحر المينوية الأصل والمعروفة فى النصوص المصرية باسم البلست (الفلست)، ومنها اشتق اسم فلسطين الحالى، والمعروفة حاليًا بقطاع غزة[١٤]. ولقد كان هذا الإقليم وبرغم قلّة الأمطار نسبيًّا به ـ وبصفة خاصة إلى الجنوب وحيث تتمازج السهول مع الصحراء ـ وفيرًا بالقمح والشعير. كما أتاح استقامة المنطقة الساحلية جنوب جبل كرمل ظهور بعض الموانئ الطبيعية بالإقليم[١٥]، ويتميّز ساحل فلسطين على البحر المتوسط بسلسلة من التلال الرملية التى جعلت من الطريق الدولى المعروف باسم "Via Maris" يتداخل بعيدًا عن الساحل قليلا. ولم تكن المدن الرئيسية فى المنطقة الساحلية تقام مباشرة على الساحل ولكن إلى الشرق قليلاً، وكان الجزء الساحلى الشمالى متميزًا بوجود سهل عكا أحد أهم الأماكن التى نشأ بها أحد أهم الموانئ الفلسطينية على ساحل البحر المتوسط[١٦].

وترتفع سلسلة الجبال الوسطى من لبنان وشمالاً فوق ما يزيد عن ستة آلاف قدم فوق سطح البحر. وتعتبر أعلى قمة جبلية فى فلسطين هى جبل يرمك فى منطقة الجليل الأعلى (حوالى ٣٩٦٢ قدم). ويتكون الجليل الأدنى من عدد من المرتفعات والتلال ذى اتجاه شرقى غربى، والتى لايزيد ارتفاع قمة أعلاها عن ألفى قدم فوق مستوى سطح

البحر مع وجود عدد من الأودية الحوضية ما بين الساحل والأردن بالداخل. ويعتبر سهلى مجدو وجزريل أهم المنكسرات فى تلك السلسلة الجبلية الوسطى فى فلسطين مما يسهّل حركة الانتقال. وكان العبور عبرها أحد أسهل الطرق الواصلة ما بين شرقىّ وغربىّ البلاد. كما يعتبر سهلى مجدو وعكا من أهم الأودية والمناطق الخصبة بفلسطين. وينخفض مستوى سهل جزريل تحت سطح البحر بسرعة متزايدة، ويندمج مع سهل بيسان فى منطقة وادى الأردن أو عربة، وتنمو على جوانب منحدارات تلك السلاسل الجبلية أشجار الزيتون والتين وأشجار الفاكهة الأخرى. كما تتواجد عديد من المدن ذات الأهمية التاريخية كما هو الحال بالنسبة لموقع سكم(١٧).

أما إلى الجنوب فى جوار بير سبع، فتوجد صحراء النقب القاحلة وكثبان الرمال، وإن كانت على أية حال لم تكن بمثل حالة الجفاف الحالية خلال عصر الآباء الأول وأحداث رحلة إبراهيم عليه السلام، وبالمثل خلال عصرى مملكتى يهودا العبرية، والأنباط العربية خلال الألف الأول ق م، وأخيراً خلال العصور البيزنطية، والتى لعبت الزراعة والرعى جانبًا قليلاً من نشاطاتهم الاقتصادية بالمقارنة إلى ما لعبه النشاط التجارى كمصدر الثراء لأهل تلك الحضارة. وتلتقى حدود فلسطين والأردن على قمة خليج العقبة، أحد فرعى البحر الأحمر، والذى نشأت به مراكز بحريّة سهلت حركة الاتصالات الدولية التجارية، وبصفة خاصة خلال عصر مملكة سليمان فى فلسطين.

ويقع منخفض الوادى (حوض الأردن) بين كتلتين جبليتين عاليتين وإلى شمالها يقع نهر الأورنت (الليطانى) ونهر الكلب فى السهل الواقع بين لبنان وسلسلة جبال الشيخ فى جنوب لبنان. ويشمل المنخفض إلى الجنوب على وادى نهر الأردن الذى يعتمد فى مصادره المائية على العيون المتدفقة فى سفح جبل حرمون (حوالى ٩٢٣٢ قدمًا فى الارتفاع). ويبدو الانخفاض المتزايد ما بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية التى يصل مستواها ٦٩٥ قدمًا تحت مستوى سطح البحر ظاهرا. ويستمر هذا الانخفاض باتجاه البحر الميت والذى يوجد على بعد ١٢٨٥ قدم تحت مستوى سطح البحر(١٨). ويطلق اسم حوض الأردن على تلك المساحات التى ينصرف ماؤها إلى مجراه بدءا من جنوب لبنان ومتجهًا إلى الجنوب وسط منطقة الجليل إلى الغرب من بحيرتى الحولة وطبرية فى شمال فلسطين قاطعًا مرج ابن عامر ومارًا بالقدس والخليل ومتجها للجنوب الغربى حتى أطراف سيناء الشمالية الشرقية، ثم يرتد إلى الشمال الشرقى قاطعًا وادى عربة شاملا وادى الحسا(١٩).

ويتجه بعد ذلك للشمال فى خط متعرج يكاد يحاذى سكة حديد الحجاز. ويسير معها إلى مدينة عمان، ومن هناك يسير نحو الشرق فالشمال مارًا بوسط جبل الدروز ثم

إلى الشمال الغربى ليضم وادى اليرموك، وأخيراً يمر حوض الأردن بوسط جبل حرمون عند الحدود السورية اللبنانية ليتصل بنقطة ابتدائه هناك[٢٠].

ويقطع سطح المملكة الأردنية إلى الشرق من نهر الأردن أربعة أنهر رئيسية: اليرموك، تبوك (الزرقاء)، عرنون (الموجب) وزرد (وادى الحسا). وتمتعت تلك المنطقة بنسبة من الأمطار معقولة[٢١]. وأخيراً تنحدر هضبة الأردن بدرجة متزايدة شرقًا إلى منخفض وادى السرحان الممتد داخل حدود المملكة العربية السعودية، وإلى بادية الشام الكبرى[٢٢].

وقد أبانت الكشوف الأثرية العديد من مواقع ومخلفات حضارات متعاقبة بفلسطين، وشهدت بواكير النشاط الأول لإنسان المكان والذى استمر خلال العصور البرونزية المبكرة (٣٣٠٠ ـ ١٩٥٠ ق م) والوسيطة (١٩٥٠ ـ ١٥٥٠ ق م) والحديثة (المتأخرة) (١٥٥٠ ـ ١٢٠٠ ق م)، وخلال العصر الحديدى بدوريه الأول والثانى (١٢٠٠ ـ ٥٣٩ ق م)، وتمثّلت على أرض فلسطين التداخلات السياسية الدولية بجوانبها السلمية التجارية أو العسكرية من حروب بين القوى المتنازعة والمجاورة لها فى أرض وادى النيل من جهة، والحضارات المتعددة فى العراق القديم والأناضول وجزر البحر المتوسط من جهة أخرى خلال عصورها التاريخية القديمة. (انظر خريطة ٦).

وقد استخدم هيرودوت كلمة فلسطين للدلالة على جنوب بلاد الشام، ويبدو اشتقاقها من الكلمة المصرية الأصل «بلست» التى أطلقت على إحدى فصائل شعوب البحر، بقايا الحضارة المينوية المنهارة فى قبرص وكريت والتى انطلقت باحثةً عن موطئ قدم لها فى المراكز الحضارية المجاورة فى بلاد الأناضول والشام ووادى النيل، واستقرت إحدى فصائلها المسماة «البلست» فى المكان المعروف حاليًا باسم قطاع غزة وحرّفت الكلمة إلى فلسطين الحالية.

وقد أجريت العديد من أعمال الكشف الأثرى بالمكان وتأثرت تلك الأعمال بالظروف السياسية والطابع الدينى. وقد تأسس «صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund» عام ١٨٦٥م فى لندن، وتأسست جمعية الاستكشافات الأمريكية The American Exploration Society فى نيويورك عام ١٨٧٠م وينسب إليها نشاط مدفوع من قبل رجال السياسة والحرب المدعومين بالنفوذ اليهودى، وتصاعد دور تلك الجمعية أثناء الاحتلال البريطانى لفلسطين وتأسيس دائرة الآثار الفلسطينية عام ١٩٢٠، التى مهدت السبيل للنفوذ الصهيونى للعمل فى مجال الحفائر بالمكان، وكان هدف تلك المؤسسات تدعيم ادعاء «الحق التاريخى لليهود فى فلسطين».

وتعددت المواقع الأثرية المكتشفة، وعكست حضارات متنوعة ما بين فجر التاريخ إلى نهايـات العصر الحـديدى ـ موضع النقـاش ـ ولعل أهم ما يمثّل مـراحل النقلة إلى العصور البرونزية ما عثر عليه فى وادى النطوف،وأريحا، وتليلاّت الغسول. وبير سبع.

وقد وجدت على منحدرات جبل الكرمل العديد من الكهوف التى زوّدتنا بدلائل الوجود البـشرى لعـشرات الآلاف من السنين خلال فـترة العـصر الباليـوليثى (العـصر الحجرى القديم) (أكثر من نصف مليون سنة ـ ١٠,٠٠٠ آلاف سنة ق م). وصنع تلك الكهوف صيّادوا المكان، واستخدموا أدوات شبيهة لما نعرفه من مثل ذلك الزمان[٢٣].

وتمثل الحضـارة النطوفية، نسبـة إلى وادى النطوف شمال غرب القـدس، مرحلة النقلة من جمع الطعام إلى بدء الاستقـرار فى مراحله المبكرة حيث عثر بالمكان على آثار الصيد من أدوات حجرية ورءوس سهـام، إضافةً إلى المناجل والأجران التى تمثل عنصراً حضاريا جديداً يقترب بالانسان إلى مرحلة إنتاج الطعام **Food Production** والاستقرار أكثر من انتـمائه إلى مرحلة الجمـع والالتقاط **Food Collection**[٢٤]. وعلى أية حال فإن العثور على «منجل» بين آثار تلك الحضـارة ليس دليلا قاطعا على ممارسة أهل تلك الحضارة للزراعـة، وربما كان هذا المنجل مستـخدمًا فى قطع أعواد القمـح البرى، بينما يعتقد الفريق الآخر من المتخـصّصين فى ممارسة أهل تلك الحضارة للزراعة بالفعل[٢٥]. ويجدر بالإشارة كذلك أن هناك اختلافا فى الرأى بالنسـبة لاستئناس الحيوان خلال تلك الحضارة حيث يرى البعض فى «الكلب» النطوفى الذى عـثر عليه بين آثار تلك الحضارة ذئبًا[٢٦] وأن أهل تلك الحضارة لم يتوصلوا آنذاك إلى استئناس الحيوان على الإطلاق.

ولقد جمعت الحضارة النطوفية فى مواقعها الأثرية بين الكهوف والساحات الممتدة أمامها وبصفة خاصـة فى نواحى جبل الكرمل. ولقد عكس موقع عين ملاحة فى وادى الأردن شمـال غرب بحيرة الحـولة تطوراً تمثّل فى إقامـة السكان فى أكواخ، وليس فى كهوف، وأن تلك الأكواخ كانت دائرية الشكل، دون مستوى سطح الأرض، ومرصوفة بكتل مسطحة، ومحاطة بحوائط حجرية بارتفـاع متر ونصف المتر كان يعلوها فيما يبدو بناء من البوص والطين. واعتمدت فى اقتصادياتها على الصيد من البحيرة[٢٧].

وتضمّنت الحضارة النطوفـية ثلاث مراحل حضارية: مبكرة ومتـوسطة ومتأخرة. واختلف العلمـاء فى تأريخها وإن رجّـحوا لذلك بدءها فى الألف العاشـر ق م استناداً على طريقـة التأريخ المـعروفـة بالكربون المشع C_{14}[٢٨]. ولعل أهم مـا يميّز الحـضارة النطوفية هى عادات الدفن الخاصـة بها من دفن لموتاهم بمقر سكناهم إما فى الكهوف أو فى مدرجات أمامها. وكان بين كل مجموعة هياكل عظمية يوجد هيكل مميّز بما عليه من أصداف وعـقود؛ مما قد يعكس أهمـية ذلك الفرد بالنسـبة للجمـاعة[٢٩]. كما لوحظ

تغطية الهيكل العظمى للمتوفى بالكتل الحجرية مما قد يعكس مراحل مبكرة من مراحل الحفاظ على المتوفى، وتطور ذلك فيما بعد إلى تخصيص بناء علوى للمقبرة(٣٠). كما يلاحظ ظاهرة ذر التراب الأحمر فى المقابر، مثلما عثر عليه فى الحضارات الأخرى فى الهضبة الإيرانية، وفى مقابر بلاد الأناضول ربما فى ارتباط للتراب الأحمر بموضوع الخلود، واستمرارية الحياة فى العالم الآخر(٣١).

وتمثل حضارة أريحا (جريكو) ملامح مرحلة ما قبل النيوليثية (Pre - Neolithic) حيث انتقل فيها الإنسان نحو الاستقرار وبدأ أولى خطواته نحو إنتاج الطعام. وقد عثر فى المكان على مبنى محاط بحوائط حجرية ربما معبداً، ويعود استناداً على الطريقة (C14) إلى حوالى (٢١٠ ± ٧٨٠٠ق م) تقريبا(٣٢). كما عثر على ما يمثل مرحلة العصر الحجرى الحديث فى الطبقة التاسعة من أريحا، وتل السلطان، وعثر بالمكان على مجموعات تماثيل بشرية وتماثيل تمثل عضو التذكير كمظهر للخصوبة والقدرة على الإنجاب. واستمرت عادة دفن الموتى تحت أرضية المساكن، وفصل رأس المتوفى عن جسده والتى ذهب البعض إلى القول بأنها تتصل بعقيدة عبادة الجمجمة (Skull - Cult). وبالمثل وضع نموذج جصى ذات لون أسود فوق رأس المتوفى يغلب أنها تمثل رداءً للرأس(٣٣). وقد عثر على أنماط مختلفة لفخار هذه الحضارة اليدوى الصنعة، أسود اللون والمصقول فى مرحلة تالية. كما ظهرت أنماط له كروية الشكل أو دائرية تتشابه مع الأنماط المعروفة لفخار بلاد الأناضول. ويلاحظ كذلك أن هذا الفخار ذات حافة مسطحة ويوجد على سطحه الخارجى أنماط زخرفية فى شكل مثلثات صغيرة أو خطوط قصيرة، وبقاعدة دائرية أو مسطحة أحيانا (انظر شكل ١ أ ـ ب).

وخلال العصر الحجرى النحاسى (الخالكوليثى) نجح الإنسان فى الخروج من نطاق قريته، وتمكن من اكتشاف معدن النحاس لأول مرة فى تاريخ الإنسانية فى منتصف الألف الخامس ق م. وتعدّدت الآراء فى كيفية توصّل الإنسان إلى ذلك، وهل تم بمحض الصدفة أثناء عملية صنع الفخار، أو كنتيجة لبحث وتمحيص. وأيضا هل كانت خامات النحاس محلية أم مستوردة، ومن أين استوردها(٣٤)، وتمثل حضارة هذا العصر فى الطبقة الثامنة من تل أريحا، حضارة وادى غزة، المرحلة الثانية فى الحضارة الغسولية نسبة إلى تليلة الغسول الواقعة فى سهل الأردن شمال شرق البحر الميت، والمرحلة الأخيرة من حضارات هذا العصر تمثلت فى حضارة بئر سبع. وعثر الأثريون على آثار الحياة الزراعية فى «الحضارة الغسولية» وعن آثار عمارة منازلها المتعددة فى التخطيط والمبنية من الآجر على أسس حجرية، والمزخرفة جدرانها برسوم ملونة مثل النجمة الثمانية التى يحيط بها رسوم، ورسوم غير عادية. (انظر شكل٢ أ ـ جـ). وكان الموقع غير محصن، وتوفر له مخازن الغلال والأجران والمواقد والأوانى الحجرية والأدوات

النحاسية. وتتميّز تلك الحضارة الغسولية بظاهرة استخدام بعض الأوانى الفخارية التى تتخذ شكل منازل لها أسقف دائرية لحفظ عظام الموتى[٣٥] (انظر شكل ٢ جـ).

وحاول البعض ومنهم ميلارت إرجاع حضارة بير سبع إلى أصول أناضولية استناداً إلى دراسة البقايا العظمية والصناعات العاجية لبعض التماثيل النسائية، وإن رجّح البعض ارتباطا لها أكثر مع حضارة «حلف» بالعراق وحضارة «البدارى» بمصر[٣٦]. وبالرغم من تشابه بعض أنماط تلك الحضارة مع تلك من الحضارة الغسولية؛ فإنه مازالت هناك بعض الاختلافات فى أنماطها الفخارية وبصفة خاصة ندرة وجود النمط الفخارى المميز على شكل حرف (V) من الحضارة الغسولية، وفى قلّة استخدام العنصر الزخرفى على هيئة الحبل على فخار حضارة بير سبع على العكس مما هو موجود على فخار الحضارة الغسولية[٣٧]. وبإطلاق فإن فخار العصر الحجرى - النحاسى فى فلسطين هو فخار يدوى، عثر على آثار حصير فوق قاعدته، وهو ناعم ذو لون أحمر، ومحروق على نار هادئة، ولاتوجد زخارف عليه إلا بعض الحالات الاستثنائية تمثّلت فى بعض الزخارف الملتوية وبعض المثلثات الحمراء اللون. وكانت قاعدته مسطّحة، ومقابضه مزدوجة. ولعلّ من أهم ملامح فخار تلك المرحلة ظهور النمط المعروف باسم «قربة الماء» (Churn)، وبالمثل الأوانى على هيئة أقماع (V)، وأخيراً تلك الأوانى على شكل المنازل لحفظ عظام الموتى[٣٨] (انظر شكل ٢ ب + جـ).

وشهدت فلسطين نشأة العديد من المراكز الحضارية خلال العصر البرونزى المبكر. وتنقسم تلك المرحلة الحضارية إلى أدوار أربعة، وغطت مايوازى فى الحضارة المصرية المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل الأسرات وحتى عصر الدولة الوسطى. ويتعاصر تقريبًا العصر البرونزى المبكر فى دوره الأول (EB I) (Early Branze I) مع الجزء الأخير من عصر ما قبل الأسرات المصرية، فى حين يتوازى العصر البرونزى المبكر فى دوره الثانى (EB II) مع الجزء الأخير من العصر العتيق (بداية الأسرات). وكان العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث (EB III) معاصراً فى معظمه لعصر الأهرامات المصرية، وأخيرا تزامن العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع وتقسيماته الثلاث أ - جـ (EB IV A - C) مع فترة الانتقال الأولى المصرية وحتى بدء عصر الوحدة السياسية الثانية خلال الأسرة الحادية عشر[٣٩] (انظر خريطة: ٧).

وسادت فلسطين خلال مرحلة العصر البرونزى المبكر فى دوره الأول نوعان من صناعة الفخار فى كل من شمالها وجنوبها. كما أن من أهم أنماط فخار تلك المرحلة ما عرف باسم نمط، إبريق الشاى (Tea pot) الذى يشير فيما يبدو إلى اتصالات حضارية محتملة مع حضارة العراق القديم ووادى النيل خلال المرحلة الأخيرة من عصور ما قبل الأسرات المصرية[٤٠] (انظر شكل ٣).

وخلال حضارة العصر البرونزى المبكر فى دوره الثانى (EB II) عكست الدلائل وجود صلات مصرية فلسطينية حيث عثر على كميات من الأوانى وقطع الشقف المميزة لهذه الحضارة فى المقابر الملكية المصرية بأبيدوس وسقارة، بالإضافة إلى وجود النمط الفخارى المعروف باسم «إناء أبيدوس»، وهو إبريق ذو مقبض واحد وقاعدة ضيقة سميكة، وبزخارف على شكل خطوط منحنية ملونة بلون أحمر على أرضية ذات لون برتقالى مصفر فى مواقع فلسطينية، على سبيل المثال فى مقبرة بالقرب من بيت يراح (خربة الكرك)[٤١]. كما أن من أبرز مميّزات هذا الدور الحضارى انتشار المدن، وهى ظاهرة بدأت بوادرها أواخر الفترة التى سبقت، وكان النمط السياسى السائد خلالها وما تلاها هو نظام «دويلة المدينة». وعلى هذا وجدت عدة دويلات تتألف الواحدة منها من مدينة مسوّرة يحيط بها عدد من القرى الزراعية التابعة لها.

وخلال العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث (EB III) ظهرت أنماط فخارية جديدة، وبصفة خاصة النمط الفخارى المعروف باسم «الكأس القدح» (Chalic). ولعل أهم فخار مبتكر فى هذا العصر هو فخار «خربة الكرك» الأحمر الأسود المصقول. وقد عرف الفخار أولاً فى الموقع الذى يحمل هذا الاسم فى مكان «بيت يراح» القديمة. والزخرفة على السطح الخارجى لهذه الأوانى من أشكال هندسية، وزخارف حلزونية وخطوط منحنية، وكثيرا ما تكون مضلّعة بضلوع محدّبة أو مقعرة[٤٢]. (انظر شكل٣). وعكست أنماط الحضارة فى هذا الدور الثالث من العصر البرونزى المبكر استمرارية لاستخدام الشظايا الظّرانية إلى جانب المعادن، ولعلّ من أشهرها «الفأس الهلالية» الشكل[٤٣] (انظر شكل ٤). وفيما يتعلق بأنماط الدفنات لهذه الحضارات فقد أوضحت «كينيون» فى حفائرها فى أريحا (جريكو) وجود عدة أنماط للمقابر لأهل تلك الحضارة، وعن اختلاف المادة الأثرية الموجودة بها طبقا لجنس المتوفى بها ذكراً كان أم أنثى[٤٤] (انظر شكل ٥).

وعكست النصوص المصرية إشارات لتداخلات ضد بعض التجمّعات البشرية فى فلسطين مثلما نعلم عن نصوص القائد المصرى «ونى»، وحملاته العسكرية المتعددة ضدّ العامو حريوشع «الآسيويين الذين على الرمال»، وكيف أنه نقل قواته فى إحدى تلك الحملات بحراً بالأسطول عند موقع «أنف الرئم (الغزال)» بالقرب من جبال الكرمل على وجه الاحتمال، وأنه انتصر انتصاراً ساحقًا على أهل المكان (فى فلسطين) ودمّر قلاعهم وحصونهم وحرق أراضيهم[٤٥]. وقد حاول البعض حال الكشف عن عديد من مواقع العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث (EB III) فى فلسطين وبها آثار للتدمير وللحريق أن يكون لمثل هذا النشاط المصرى الحربى دور فى ذلك، بينما رجّح البعض الآخر أن يكون ذلك نتيجة لتقدم العناصر البشرية الوافدة من سوريا كبدايات مبكرة

للهجرات الآمورية أثناء تقدّمها إلى الجنوب من فلسطين والأردن، أو ربما كان ذلك ليس إلا نتيجة لتعرض مواقع المكان لزلزال ألمّ بالمكان، وأشعل النار فيها(٤٦).

وانتهى العصر البرونزى المبكر بفترة حظيت بالكثير من الجدل حول مداها، وحتى حول التسمية المفروض إطلاقها عليها. وقد عرفت فى إحداها بالعصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع. وكان «رايت» أول من استعمل مثل هذا الاصطلاح ولم يلق تحديا حقيقيًا إلا على يد «كينيون» أثر تنقيباتها فى أريحا والتى أطلقت على تلك الفتره تسمية «الفترة الانتقالية بين العصرين البرونزى المبكر والوسيط أ - ب»(٤٧).

وقد عكس هذا الدور الحضارى من العصر البرونزى المبكر مشكلة تواجد بعض مواقعه واختفائها على ضفة نهر الأردن الشرقية والغربية؛ مما رجّح احتمالية حدوث حركة بشرية دائمة عبر نهر الأردن. وبإطلاق، فقد تعددت المراكز الحضارية لهذا الدور الرابع من العصر البرونزى المبكر وإن اختلفت مراحله الثلاث (أ - جـ) فى كل من الأردن وفلسطين وفقًا لما كشفت عنه الحفريات الأثرية الأخيرة(٤٨) (انظر خريطة: ٧).

ويتعاصر هذا العصر مع فترة الانتقال الأولى المصرية (٢١٨١ - ٢٠٤٠ ق م) وعكست بعض الأنماط الفخارية من تلك الحضارة احتمالية تشابهها مع تلك من الحضارة المصرية كانعكاس فيما يبدو لتداخل العناصر الآسيوية إلى شرق الدلتا خلال الدور الرابع جـ BIVC) (٤٩). ودعّمت النصوص الأدبية المختلفة من تلك الفترة من الحضارة المصرية مثل هذا التداخل الآسيوى إلى شرق الدلتا. وأهم ما يميّز فخار تلك المرحلة الجرار ذات القواعد المستقيمة والمنبعجة نسبيًا والطويلة، وأيضًا الأطباق ذو القواعد المسطحة والمستقيمة. والزخرفة عادة ما تكون مستقيمة الخطوط وأحيانًا ملتوية(٥٠) وكان نمط المقابر لهذا العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع عبارة عن دفنات فردية وإن لم يمنع هذا من وجود دفنات مزدوجة لجسدين فى قبر واحد أحيانًا. وعكست تلك المقابر وجود اختلافات فى عادات الدفن ذاتها لأهل تلك الحضارات يمكن التفريق بين خمس مجموعات رئيسية مكونة لها. ولعل أهم نمطين هما ما يسمى أولهما «بمقابر الخنجر» (The Dagger - Type Tomb) والذى يوجد خنجر إلى جوار هيكل المتوفى الذكر بها، أو دبوس وخرزة إذا كان لأنثى، وثانيها هو نمط المقابر المسمى «مقابر الفخار» (The Pottery - Type Tomb) والذى عثر بها على فخار ولم يوجد على الإطلاق خناجر بها(٥١).

وعكست لنا مصادر عصر الدولة الوسطى فى تاريخ مصر القديم (٢١٣٣ - ١٧٨٦ ق م) علاقات حضارية وتجارية بين وادى النيل وحوض شرق البحر المتوسط، وهي تلك الفترة الموازية اصطلاحًا العصر البرونزى الوسيط فى دوره الأول فى تاريخ

حضارات فلسطين (MBI) وكانت مصر آنذاك دولة قوية على مسرح العالم القديم، ووصلت بنفوذها الحضارى جنوبًا وحتى كرمة عند الجندل الثالث على نهر النيل فى النوبة العليا.

كما كان لها نفوذها وعلاقاتها مع ممالك بيبلوس (جبيل) وأوجاريت فى آسيا. وكان لمصر أيضًا علاقاتها مع كريت وقبرص خلال عصر الدولة الوسطى، وعثر على النمط الفخارى المعروف باسم نمط «كامارا» فى اللاهون، والحرجا ومقابر أبيدوس المصرية، وعثر على أوانى فضية بنمط كريتى واضح. وأبانت حفائر بعثة متحف جامعة بنسلفانيا الأمريكية فى موقع جزيرة «باطا» بمنطقة الخليج «الجون» الشرقى فى ميناء مرسى مطروح قرب الحدود المصرية الليبية، بإشراف د. دونالدوايت - وكنت أحد المشاركين عام ١٩٨٧ فى الفريق العلمى المكوّن لها - عن تواجد بعض المحطات التجارية التى شهدت نوعًا من التبادل والاتصالات التجارية بين أهل المكان والقادمين عبر البحر المتوسط من اليونان وكريت والجماعات الليبية إلى الغرب من الحدود المصرية، مما يعكس مدى ازدياد هذا الجانب من تشابك العلاقات الدولية خلال العصر البرونزى الوسيط فى دوره الأول. وشهدت العلاقات المصرية أواخر تلك الفترة من العصر البرونزى الوسيط فى دوره الأول نوعًا من التوتر والعداء عكسته تلك النصوص المصرية المعروفه باسم «نصوص اللعنة» أو «نصوص التدمير والهلاك». وهى عبارة عن نصوص سحرية مدوّنة على العديد من الدمى والأوانى والتماثيل من الفخار الأحمر يذكر فيها اسم عدو مصر، ثم يتم كسرها وبالتالى سريان اللعنة وإلحاق الأذى بمن ورد اسمه بها. وتضمنت تلك النصوص أسماء مدن وأمراء آسيويين وقفوا موقفا عدائيا من مصر(٥٢). كما عكست أيضًا نصوص بردية متحف بروكلين رقم ١٤٤٦ ٠ ٣٥ مدى انتشار استخدام الآسيويين فى أعمال الخدمة بالمنازل المصرية وبالمثل فى المعابد، وبداية ما يمكن تسميته ازدياد نسبة التسلل البشرى الآسيوى السلمى إلى داخل مصر مع نهايات الدولة الوسطى وخلال الأسرة الثالثة عشر(٥٣). ومهدت تلك العوامل إضافة إلى عوامل أخرى إلى انهيار السلطة المركزية فى مصر، وبدء مرحلة عرفت باسم الانتقال الثانى كانت لها ملامحها السياسية وعلاقاتها المتميزة مع فلسطين خلال ما عرف باسم «عصر الهكسوس».

ولعل من أهم المواقع التى عثر بها على آثار لحضارة العصر البرونزى الوسيط فى دوره الأول (EB I) فى فلسطين وما حولها: باب الدراع، جيبون (الجب)، إبلة السورية، إيبلا، مجدو، حماه، تل العجول وأيضًا فى مصر ذاتها.

وتميز فخار تلك المرحلة بأنه مصنوع كلية على عجلة الفخرانى وإن كانت سرعتها بطيئة نسبيًا، وسميك نسبيا وخشن وثقيل الوزن عن فخار العصر البرونزى المبكر فى

دوره الرابع (EB IV B - C). وكانت الزخرفة شائعة نسبيًا فى مواقع الساحل الفلسطينى عنه فى مواقع الأردن. وكان اللون الأحمر شائعًا على حواف الأطباق، وبالمثل الخطوط المتوازنة، كما عرفت أنماط زخرفة «عين الثور» والمثلثات الملوّنة على الأنماط الفخارية المعروفة بنمط فخار الخابور. وتميّزت أنماط تلك الفترة بأشكال معينة من بين أهمها بدء ظهور الأوانى الجؤجؤية الشكل (Carinated bowl) وظهور الدورق الأسطوانى الشكل، وتسطح قواعد الأوانى، واختفاء المقابض لها بشكل عام، والتطور السريع فى نمط المسارج (Lamps). (انظر شكل ٦). وفيما يتعلق بأنماط الأسلحة المستخدمة من قبل أهل تلك الحضارة فقد عكست المخلفات الأثرية عن وجود نمط الفأس السابق الإشارة إليه من حضارة العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع الهلالى الشكل (EB IV C) مستمرًا فى الوجود جنبًا إلى جنب مع النمط الجديد المعروف بالفأس على هيئة منقار البط (Duckbill Axe). إضافة إلى ذلك كشفت لنا المواقع من فلسطين عن أشكال مميزة للخناجر، والتى تتشابه بعض أشكالها مع أنماط عثر عليها فى مواقع مصرية. (انظر شكل ٦).

وخلال فترة الانتقال الثانية والمعاصرة تقريبًا للعصر البرونزى الوسيط فى دوريه الثانى والثالث (MB II - III) (١٧٥٠ ـ ١٥٥٠ ق م) تداخلت على حكم مصر أسرات مصرية متعاصرة لبعض الوقت أحيانًا، ومن عواصم سياسية مختلفة مع مجموعات بشرية آسيوية قدمت من فلسطين بصفة رئيسية، وعرفتها النصوص المصرية باسم «الهكسوس» استقرت فى مناطق شرق دلتا نهر النيل مكونة لها سلطة إدارية على المكان ومتخذة من «حت وعرت» (أواريس) عاصمة سياسية لها ليست بعيدة عن مثلث الختاعنة ـ تل الضبعة ـ قنطير الحالية فى محافظة الشرقية فى جمهورية مصر العربية. (انظر خريطة رقم ٨)، وأوضحت الدلائل الأثرية بالمكان عن تشابه أنماط فخارها والجعارين والتحصينات لها مع مواقع فى فلسطين. إضافة إلى ذلك دلت الحفائر بالمكان عن وجود فكرة «المدينة المحصنة» كمركز للسلطة السياسية والإدارية والتابع لها بعض القرى والأراضى الزراعية فى شرق الدلتا، وبطريقة مشابهة لما نعرفه فى فلسطين فى النمط المعروف باسم «دويلة المدينة» (City - State) ذات السور المحصن والموجود به بوابات تغلق حال الضرورة للدفاع عن المكان من أخطار خارجية وعثر على نماذج متعددة له فى فلسطين لعل من بين أشهرها مجدو وجزر[٥٤]. وبلغت الحضارة الكنعانية ذروتها خلال تلك الفترة الزمنية من العصر البرونزى الوسيط فى دوره الثانى والثالث (MB II - III). وعثر على العديد من المواقع الأثرية التى وجدت بها آثار تلك الفترة ومن أهمها تل العجول والخيش وبيت شمس، تل بيت مرسيم، جزر (الطبقة ٢١)،

وادى الطين حوالى ٥ كم إلى الجنوب من بيت لحم، خربة كوفين حوالى ١١ كم إلى الشمال من حبرون، تل فرعة، حاصور، رأس الشمرة، إبلة (تل مرديخ)، وفى شرق دلتا مصر فى موقعى تل الضبعة وتل المسخوطة وفى تل اليهودية. واستمرت ملامح حضارة العصر البرونزى الوسيط فى دوره الأول خلال تلك المرحلة فى دوريه الثانى والثالث وإن كانت الصنعة أصبحت أكثر إتقانًا وتمكنًا من استخدام عجلة الفخرانى. وكان الحريق أفضل والفخار أخف وزنا وأنعم والزخرفة قليلة اللون. ويلاحظ اختفاء نمط الزخرفة الملتوية وأنماط الفخار القبرصى الطابع وظهور النمط الفخارى المميّز لتلك الفترة فى دورها الثانى أساسًا، وفى الثالث وهى المعروفة باسم نمط فخار تل اليهودية. ولقد ازدادت درجة كمال نمط الأوانى الجوْجؤية إتقانًا وكمالا خلال تلك المرحلة. (انظر شكل ٧).

وبدأت حضارة العصر البرونزى الحديث (LB) لفلسطين مع الفتح المصرى للمكان حوالى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد كمرحلة تالية لطرد الهكسوس من مصر واستسلام بقاياهم فى حصن شاروهين (تل الفرعة أو تل العجول)(٥٥) على يد أحمس (١٥٧٠ ـ ١٥٤٦ ق م). وما زال ثمة خلط بين المراحل الأولى لهذا العصر الذى يطلق عليه مجازًا العصر البرونزى الحديث فى دوره الأول (أ) (LB I A) وبين العصر البرونزى الوسيط فى دوره الأخير. ويعزى إلى مواقع تلك المرحلة حدوث فترة انقطاع فى عمرانها مما يعزوه البعض إلى نشاط تدميرى لجحافل الجيوش المصرية أثناء اندفاعها فى فلسطين مع بدايات الأسرة الثامنة عشر من عصر الدولة الحديثة من أجل توسيع النفوذ المصرى على المكان وبسط سلطة إدارية وسياسية مقيمة بالمكان تنفيذا لما يمكن القول عنه سياسة «الحزام الأمن» (Buffer Zone) والمنطقة العازلة طلبا للأمان داخل مصر باحتلال أراض خارج حدودها، منعًا لتكرار مأساة الاحتلال التى عانته من قبائل الهكسوس الآسيوية خلال العصر البرونزى الوسيط / فترة الانتقال الثانى. وتعدّدت الإغارات العسكرية لملوك مصر وخاصة تحتمس الثالث (١٥٠٤ ـ ١٤٥٠ ق م) وسيتى الأول (١٣١٨ ـ ١٣٠٤ق م) ورمسيس الثانى (١٣٠٤ ـ ١٢٣٧ ق م) ضد المكان وأهله أو عبره تدعيمًا للسلطة المصرية بالمكان ولمقاومة أعداء مصر فى العراق القديم أو بلاد الأناضول (تركيا الحالية). وتعددت الإغارات المصرية إلى معارك لها أهمية خاصة فى تطورات الصراع السياسى المصرى ضد القوى الدولية المحيطة بفلسطين آنذاك من بين أشهرها معركة «مجدو» لتحوتمس الثالث ومعركة قادش لرمسيس الثانى ضد الحيثيين(٥٦).

وظلت حضارة فلسطين فى العصر البرونزى الحديث قليلة الصلة بالحضارة الكنعانية الأكثر غنى فى لبنان وجنوب سوريا، ولولا تأثرها بالحضارات الشمالية لكانت

فلسطين قد فقدت أصولها الحضارية الأصيلة تمامًا، ولأصبحت صورة منعكسة للحضارة المصرية(٥٧) (انظر شكل ٨ أ ـ ب). وأبانت المواقع الأثرية المتعددة فى فلسطين مدى تغلغل النفوذ المصرى وإنعكاساته على المكان وأهله فى جميع مناحى الحياة.

وشهدت أيضا أخريات هذا العصر تداخلات العناصر اليونانية (المينوية) الأصل فى أحداث المنطقة لعل من بين أشهرها «البلست» ضمن الهجرات المعروفة تاريخيا باسم « شعوب البحر»، والتى هاجرت إلى فلسطين. واستقرت فى قطاع غزة الحالى. وكشفت الحفائر عن العديد من مواقع تلك الحضارة وتداخلاتها إلى داخل أرض فلسطين وعدم اقتصار نفوذها على الساحل الفلسطينى فقط فى قطاع غزة. وعرف لها الكثير من أنماط فخارها المميز بزخارفه وبرسوم الطيور على أسطحه الخارجية فى بعض المواقع فى فلسطين(٥٨) (انظر شكل ٨ ب).

وبدخول بنى إسرائيل إلى أرض فلسطين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وغزو شعوب البحر لها فى أوائل القرن الثانى عشر ق م ينتهى فى الواقع تاريخ فلسطين الكنعانية، ومع أن وديان النهر والسهول ظلت لمدة قرنين آخرين آهلة بالمدن الكنعانية وبثقافاتها(٥٩). وتعددت الآراء المرتبطة بالخروج اليهودى من مصر (Exodus) وفى عهد من تم؟ وما هى الطرق التى اتبعها موسى وقومه فى رحلة هروبهم من مصر عبر سيناء، ما هى الصعاب التى واجهوها عند محاولتهم الدخول إلى أرض الميعاد عند قادش برانيا»؛ وكيف أنهم ارتدوا على أعقابهم لاعتراض البلست طريقهم فى غزة، واضطرارهم للعودة جنوبًا ثم عبر منخفض وادى عربة الأردنى تقدموا شمالاً إلى ما يقرب من عمان الحالية حيث لاقى موسى ربه هناك(٦٠) وفى مرحلة تالية تمكن العبرانيون من الدخول إلى فلسطين وشهدت المرحلة التالية صراعًا دمويًا بين الفئات الحضارية بالمكان خاصة، البلست، الكنعانيون أهل المكان الأصليين والعبرانيين انتهت فى مرحلة أخيرة بنشأة المملكة المتحدة برئاسة داود ومن بعده ابنه سليمان عليهما السلام. وشهدت تلك الفترة من تاريخ فلسطين صلات متعدّدة خاصة فى عهد سليمان بين مملكة إسرائيل وجيرانها فى وادى النيل ولبنان. وكان لتداعيات المرحلة التالية من انقسام مملكة إسرائيل الموحدة إلى مملكتين: سامريا فى الشمال ويهودا فى الجنوب تولى الحكم على كل منها ابن من أبناء سليمان وبدء بزوغ القوة السياسية والآلة الحربية الضخمة لآشور (العراقية) دور سلبى على فلسطين بما حاق بها من دمار لبعض مواقعها، أو تهجير لسكانها إلى العراق (سياسة الترحيل) "Deportation" والتغيير الديموجرافى فى البنية السكانية لأهلها وبالمثل خلال العصر الإخمينى وما تلاه من بعد خلال العصور اليونانية ـ الرومانية(٦١).

الفصل الثالث

مدخل إلي حضارات شرق نهر الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية)

الفصل الثالث

مدخل إلي حضارات شرق نهر الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية)

تميّزت بلاد الأردن بموقعها المتميز فى قلب العالم العربى. وساعدها ذلك الموقع فى الانتفاع من حركة التجارة عبر أراضيها، واستزادت من حركة الهجرات الشعوبية عبرها منذ أقدم العصور. وكانت للظروف الجغرافية لكل من فلسطين والأردن - فيما سلف الإشارة إليه - دور كبير فى نشأة المراكز الحضارية بهما ونموها وازدهارها أو احتضارها. واستفادت الأردن من مصدر مياه نهر الأردن الذى تجرى مياهه فى اتجاه شمالى جنوبى وحتى يصب فى منخفض البحر الميت. وتفرعت من نهر الأردن أنهر فرعية أهمها اليرموك والزرقاء. كما استفادت الأردن فى جزئها الجنوبى بعض الشىء لقلة ارتفاع سلسلة جبال وسط فلسطين من الأمطار القادمة من البحر المتوسط. ومن المعلوم أن حركة الرياح عبر أراضيها ذات اتجاهين أساسيين: شرقى وآخر جنوب شرقى مما يفسّر لنا ظاهرة حركة الكثبان الرملية باتجاه العراق والسعودية، والكشف أحيانًا عن الأرض الصلبة الصوانية فى الجزء الشرقى من الأردن لإزاحة الرمال عنه بفعل حركة الرياح[٦٢] (انظر خريطة ٥).

وتعددت ملامح الحضارات المبكرة على أرض الأردن. وتخلّف عنها العديد من المراكز والمحلات الحضارية بما حوت من آثار لإنسان المكان بدءا من فجر التاريخ ووصولا إلى العصر الحالى بما يحمل من ملامح عدة للحضارة الإسلامية. وسوف نتناول ملامح مختصرة لحضارات الأردن فقط إلى نهاية العصر الحديدى وبدء مراحل النقلة إلى العصور الهلينستية بوصول جحافل الإسكندر الأكبر إلى منطقة الشرق الأدنى القديم.

ويمكن القول بإطلاق أن مصادر تاريخ الأردن وحتى وقت قريب كانت مقصورة على المصادر الأدبية القديمة، ولعلّ أقدمها على الإطلاق هو الكتاب المقدس، وعلى ما دونه الرحالة الذين زاروا المكان عبر القرون ثم «لوحة ميشع»، ملك مؤاب فيما تلى عام ١٨٦٨ باعتبار نصوصها مصدراً هامًا لتاريخ الأردن خلال العصر الحديدى/ الألف الأول ق م، ثم مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى فيما قام به «نيلسون جلوك» Nelson Glueck فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الحالى من أعمال المسح الأثرى بالمكان[٦٣].

وعثر الباحثون فى مناطق الأردن الصحراوية على الكثير من آلات الظران مما دعا إلى الظن بأن هذه المناطق كانت فى العصور القديمة اكثر أمطاراً وكان في صحاريها ما يكفى من الموارد المائية لإعاشة أهلها. وعثر عام ١٩٦٠ على أقدم بقايا بشرية فى موقع العبيدية وعند التقاء وادى العمود مع نهر الأردن. كما عثر على نماذج للصناعات الأبيفيلية والآشولية من العصر الحجرى القديم فى موقع جسر بنات يعقوب(٦٤) كما عثر على الأنماط الحضارية الممثلة للحضارة النطوفية الفلسطينية فى مواقع عدة فى الأردن وبصفة خاصة فى البيضاء إلى الشمال من بتراء حيث نقبت كيركبريد (D. Kirkbrid) من السنوات ١٩٥٨ - ١٩٦٥ بالموقع، وكشفت عن آثار تنتهى إلى هذا العصر الحضارى، إضافة إلى ما يمثل العصر الحجرى الحديث (قبل الفخارى)(٦٥) وعثر ما يمثل حضارة العصر الحجرى الحديث بموقع البيضاء حيث اتضح وجود خمسة وأربعين قبراً، منها ما قُبرت فيه الجثة كاملة، ومنها ما فصل فيه الرأس عن الجثة ووضع تحتها، ومنها ما دفنت فيه الجثة بدون رأس(٦٦) (انظر شكل ٩).

أما خلال العصر الحجرى النحاسى (Chalcolithic) حوالى (٤٢٥٠ - ٣٣٠٠ ق م) والذى يعتبر بمثابة فترة انتقالية بين العصور الحجرية والعصور البرونزية، والذى أخذ تسميته من ظهور معدن النحاس، واستخدام الإنسان له، فقد تم العثور على مواقع عدة تعكس حضارة هذا العصر أثناء عملية المسح الأثرى عام ١٩٥٣ فى وادى الأردن تحت إشراف «جيمس ميلات» «وهنرى كونتسون» على سبيل المثال فى تل الشونة الشمالية، وتل أبو هابيل، أو فى تليّلات الغسول فى سهل الأردن شمال شرق البحر الميت وفى سحاب(٦٧). وأيضا ضمن أعمال الكشف الأثرى للمدرسة الأمريكية للآثار الشرقية بإشراف لاب» P.W. Lapp فى موقع «عراق الأمير»(٦٨).

وكشفت أعمال المسح الأثرى عامى ١٩٧٥ - ١٩٦٧ بواسطة معاوية إبراهيم وجيمى سور وخير ياسين مواقع عدة من العصر البرونزى المبكر (٣٣٠٠ - ١٩٥٠ق م) (حوالى ٤٧ موقعًا)، وأبانت عن استمرارية حضارية لبعضها من العصرالبرونزى المبكر الأول(٦٩)، أبانت أعمال هلمز S. Helms فى جاوه عن مواقع للعصر البرونزى المبكر الأول (EB I) (حوالى ٣٣٠٠ - ٢٩٠٠ق م)، وبالمثل ما عثر عليه معاوية إبراهيم فى موقع سحاب فى حين قام أورتز وآخرون بالكشف عن مواقع العصر البرونزى المبكر الأول حتى الرابع فى باب الدراع مباشرة على الساحل الشرقى من اللسان (للبحر الميت)، ومواقع من العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث (EB III) فى موقع نميرة(٧٠) نتيجة لأعمال الكشف الأثرى المكثف فى الفترة ما بين أعوام ١٩٧٧، ١٩٨٣. كما عثر على العديد من مواقع العصر البرونزى المبكر فى موقع عراق الأمير(٧١)، وبالمثل

على طول سفوح تلال الأردن إلى الشمال، وفى سفوح تلال وادى عربة إلى الجنوب[٧٢] ويبدو واضحًا أن مواقع العصر البرونزى المبكر فى دوره الثالث (٢٧٠٠ - ٢٣٠٠ق م) مثله فى ذلك المواقع الفلسطينية (على سبيل المثال آى) قد لحقها التدمير، وهجرت من سكانها ويرجّح ذلك ما عثر عليه فى مواقع باب الدراع من تدمير وحرق للمنشآت[٧٣] وكذلك فى موقع النميرة[٧٤] وربما كان ذلك راجعًا كما يذهب البعض إلى النشاط العسكرى المعادى ضد أهل المكان، ربما كان مصرى الأصل من أواخر الأسرة الخامسة وأوائل الأسرة السادسة، والذى ترأسه «ونى» وورد فى تقرير له ضمن نصوص مقبرته - مثلما سلف الإشارة إليه من قبل - من جهة، أو لوصول مجموعة وافدة من تلك الهجرات الأمورية، أو كنتيجة لزلزال ألم بالمكان وأشعل النار فيها من جهة أخرى.

كما تم العثور على مواقع من حضارة العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع بالأردن (حوالى ٢٣٠٠ - ١٩٥٠ق م) فى باب الدراع، ديبان، خربة إسكندر[٧٥]. (انظر خريطة ٧) والتى تتميز فخارها بملامح جديدة مثل ما يعرف باسم "إبريق الشاى (Teapot)، والأوانى المعروفة باسم Rilled Rim Bowl، والجرار ذات المقابض على هيئة المظروف Envelope ledge Handle والتى تتشابه مع تلك الأنماط المعروفة من حضارة إبلة السورية فى نفس الدور الحضارى[٧٦] مما يرجح معه أصول سورية أمورية تقدمت جنوبا واستقر أهلها فى الأردن وفلسطين وواصل بعضها جنوبا إلى مصر. وعثر على ما يرجح على نماذج فخارية تعكس صلة حضارية محتملة بين مصر وتلك الأماكن مثلما سلف القول خلال العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع فترة الانتقال المصرية الأولى[٧٧]).

وأبانت المكتشفات عن مواقع للعصر البرونزى الوسيط (MB) فى الأردن لعل أهمها بيلا (Pell) والتى تتطابق مع موقع خربة فحل حوالى ١٨ ميلا إلى الجنوب الشرقى من بيسان، وموقعى الفعارة ومقبرة عمان. وتعتبر بيلا (خربة فحل) أحد أهم مواقع العصر البرونزى الوسيط. وتميّز فخارها بدقة الصنعة ورقته وامتياز التصميم وتعدد الأشكال. وكان يوجد بين أنماطها الإناء المنحنى للداخل Incurving Bowl، والقواعد المسطحة Flat base وبلون أحمر. كما كانت شفة الآنية الفخارية على شكل هندسى بهيئة مثلث. وقد عثر كذلك على مواقع أخرى تنتمى لحضارة هذا العصر فى كل من تل الحيات، جاوا وسحاب[٧٨]. وتشمل محتويات مقبرة من عمان تؤرخ فى معظمها إلى أواخر العصر البرونزى الوسيط على إبريق تتفق العناصر الزخرفية المتمثلة فى خطوط متوازية عليه مع تلك المعروفة للأنماط الفخارية من تلك الفترة الحضارية فى فلسطين وخاصة تل بيت مرسيم[٧٩]. كما تعكس البقايا الأثرية فى مقبرة غير منشورة

فى فعارة شمال أربد عن جرار التخزين ذى القاعدة المسطحة، بعضها ذو خطوط زخرفية أفقية تتشابه مع نفس الأنماط المشهورة من مجدو من العصر البرونزى الوسيط الأول(٨٠). وكشفت أعمال معاوية إبراهيم فى سحاب وهلمز فى جاوا وفرانكلين فى تل دير علا عن آثار من العصر البرونزى الوسيط(٨١).

وتعرف الفترة ب من الدور الثانى من العصر البرونزى الوسيط فى اصطلاحات كينيون باسم عصر الهكسوس. وقد تميّزت تلك المرحلة التاريخية بصناعة فخارية تتألف فى الغالب من الزبادى والجرار المصنوعة على دولاب سريع، ومصقوله صقلا جيدًا، وكذلك بنوع جيد من التحصينات عبارة من منحدر مدكوك تتألف من التراب والحجارة ومغطى بكساء من الصلصال أو الكلس. ويحيط هذا المنحدر بسور المدينة من الخارج، ويمتد فى انحداره عدد غير قليل من الأمتار قد تصل إلى الثلاثين، ثم ينتهى عند قاعدة التل بجدار إسنادى أو بخندق أو بكليهما(٨٢) وقد عثر فى كل من صافوط وعمان عن بقايا ربما كانت جزءا مشابهها لنمط تلك التحصينات، والتى لم يقتصر وجودها على الأردن وفلسطين فقط بل عثر على مثيلها فى سوريا وتل اليهودية (؟) فى مصر(٨٣) إضافة إلى ذلك فقد عثر على مقابر بها مخلفات للعصر البرونزى الوسيط فى دوره الثانى فى خربة المحيط وفى طبقات فحل(٨٤). كما عثر ضمن محتويات مقبرة فى موقع مخيم اللاجئين فى الكلندية عام ١٩٥١م على فخار يمثل قمة حضارة العصر البرونزى الوسيط فى دوره الثانى. ويتشابه مع تلك الأنماط المعروفة فى طبقة E من تل بيت مرسيم، وطبقة ٢٢ من مجدو، وطبقة ١١ من أريحا، وبالمثل مع بعض الأنماط المعروفة من فترة الهكسوس فى مصر من موقع تل اليهودية وخاصة نمط Piriform Flask(٨٥) وخلال العصر البرونزى الوسيط فى دوره الثالث حتى العصر البرونزى المتأخر MB III - LB I A (حوالى ١٦٥٠ ـ ١٥٥٥ ق م) عثر على بقايا فخارية له فى قلعة عمان، سهل البقاع، تل الحصن، طبقات فحل وموقع تل ديرعلا(٨٦) (انظر شكل ١٠).

ويتزامن العصر البرونزى الحديث (المتأخر) (١٥٥٠ ـ ١٢٠٠ ق.م) مع عصر السيادة المصرية ونشأة الإمبراطورية المصرية بعد القضاء على فلول الهكسوس وطردهم خارج وادى النيل، وينتهى تقريبًا مع أحداث الهجمات الشعوبية القادمة عبر البحر المتوسط، والمعروفه تاريخيًا باسم «شعوب البحر» ومن بينهم «البلست» الذين استوطنوا غزة.

وأمدتنا الوثائق المصرية بمعلومات عن الحملات المصرية ضد أهل المكان فى فلسطين والأردن(٨٧). وأبانت دراسة «ردفورد» لمجموعة أسماء مما يعرف بقوائم «تحتمس الثالث» الطبوغرافية عن تدخلات مصرية إلى شرق الأردن على طول الطريق ما بين دمشق شمالا والكرك جنوبا، ومن ثم من الكرك غربًا إلى الطرق التقليدية عبر

اللسان(البحر الميت) إلى الطرق التى تؤدى إلى وادى النيل[٨٨] كما عكست رسائل «تل العمارنة» الدبلوماسية العديد من الملامح السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالمكان وارتبطت الأحداث التاريخية لهذا العصر أيضًا ببدايات تاريخ العبرانيين كما وردت فى أسفار العهد القديم.

ولقد ذهب «نيلسون جلوك» إلى المناداة بنظرية مفادها اختفاء الدلائل الأثرية للعصر البرونزى الحديث للأردن ووجود فجوة فى تاريخ الاستقرار فى المنطقة الواقعة جنوب نهر الزرقاء خلال الجزء الأكبر من الألف الثانية قبل الميلاد[٨٩] ولعلّ قلة المواقع المكتشفة بها آثار تنتمى إلى هذا العصر آنذاك شجع جلوك إلى القول باختفاء تلك الحضارة فى شرق الأردن، وأن يعزو هذا التغيير الحضارى إلى جموع العبرانيين أثناء تقدمهم من مصر إلى فلسطين. ولكن الواقع الأثرى الحالى أبان عن عديد من المواقع بها آثار من العصر البرونزى الحديث فى شمال ووسط الأردن فى مطار عمان، تل دير علا وفى قطرة السمرة[٩٠] (انظر شكل ١١). إضافة إلى ذلك فقد عثر على آثار من هذا العصر فى مواقع سحاب، جالول، تل سفوط، تل حصن، تل إربد، طبقات فحل، تل السعيدية، وتل المزار[٩١] كما تمثلت بقايا العصر البرونزى الحديث (المتأخر) فى شرق وادى الأردن وعثر على مقابر بها آثار له فى مواقع مأدبة، عمان ووادى البقاع[٩٢].

كما عثر على آثار لفخار أجنبى (ميسينى) فى مواقع بالضفة الشرقية لنهر الأردن مما يعكس احتمالية اتصالات حضارية لأهل المكان مع أصحاب تلك الحضارة المينوية وذلك فى مواقع طبقات فحل، تل السعيدية، دير علا، مأدبة، وبصفة خاصة من معبد عمان الذى تضمن آثارا هامة من العصر المينونى 2A، والعصر المينونى 2B / 3A، وبالمثل من العصر المينوى 3A - B[٩٣] كما عثر على ما يسمى بفخار مدين (Medianite Pottery) المنتمى إلى موقع مدائن صالح شمال غرب الجزيرة العربية فى مواقع عدة فى جنوب فلسطين والأردن. ويؤرخ عادة من الفترة ما بين القرن الثالث عشر إلى القرن الثانى عشر قبل الميلاد (أواخر العصر البرونزى المتأخر ـ أوائل العصر الحديدى)[٩٤]. وتبدو آثار العصر البرونزى الحديث نادرة الوجود فى الجزء الجنوبى من الأردن وإن عثر على شردات فخارية فى موقع «عراعير» من هذه الفتره الحضارية[٩٥]..
وبناءً على ذلك فإن ما ذهب إليه نيلسون جلوك قد تناقض مع تلك المكتشفات الحديثة التى أبانت عن وجود محطات حضارية فى الأردن فيما قبل العصر الحديدى (عصر الوجود الإسرائيلى)، وأنه لاتوجد فجوة حضارية فى العصر البرونزى الوسيط ـ العصر البرونزى الحديث (المتأخر) فى المكان[٩٦].

واشتهـرت الأردن بصلتها بأحداث العـهد القديم خلال العصر الحديدى بدوريه الأول والثانى (Iron Age I - II) حيث يوجـد بها بلاد جلعـاد، عمـون، مؤاب وأدوم وغيـرها من المواقع التى تردّد ذكرها فى نصـوص التوراة[97]. وأبانت الكشوف الأثرية عن عديد من تلك المواقع التى بهـا آثار هذا العصر فى موقع فـحل أثناء حفائر ١٩٨٠ على سبيل المثال، والـتى توضح أنماط الفخار بها انتماءها إلى حـضارة هذا العصر[98] (انظر شكل ١٢ أ ـ ب) كمـا عثر ضـمن المكتشـفات الأخيـرة فى موقع عراق الأمـير أساسـات حـصون لقلعـة إعتقـد «لاب» أنها كـانت نقطة الحدود للمـوقع المعروف من التوراة باسم Ramathmizpeh (القضاة)، الإصحاح الحادى عشر: ٢٩[99].

ولقد تأكد وجـود حضـارة العـصر الحديـدى الأول (أ) (خلال ١٢٢٠ ـ ١٠٠٠ ق م) فى جنوب وادى الأردن، وفى المناطق الجـبليـة فى وسط وجنوب الأردن. ولقـد تميّزت تلك الحضارة بفـخار ردىء الصنعة غير مـزخـرف، وتميز بالشـفة المعـروفة بنمط Collar Rim وبوجود نمط المساكن ذى الأعـمدة الأربعة (Pillard House) فى سحاب وخربة المدينة فى تشـابه مع ما عثر عليه فى سـهل عكا، ومجدو الطبقـة السادسة ب، وتل أبو هوام[100].

كما عثر على آثار للعصر الحديدى الأول فى دوره الثانى (١١٥٠ ـ ١٠٠٠ق م) فى تل دير علا وتل السعيدية وعكست أنماط «الفـخار الفلسطينى» لمجموعات «البلست» المينوية وبـالمثل من العـصـر الحـديـدى الأول فى دوره الثـالث (١٠٠٠ ـ ٩١٨ ق م) والمعـاصر تقـريبا مع فـترة الوحـدة لمملكة إسرائيل (عـصرى داود وسليـمان عليـهـما السلام)[101].

كما تضمنت مواقع شمال الأردن فى تل الرميت، طبقات فحل وتل دير علا آثاراً من العصر الحديدى فى دوره الثانى[102].

وتتمـيز حضـارات العصر الحـديدى بأدواره المختلفة بوجـود ممالك سياسـية إلى الشرق مـن نهر الأردن، ومنخفـض البحر الميـت، وفى جوار وادى عربة عـرفت باسم ممالك عـمون ومـؤاب وأدوم، وعكست النصـوص التـوراتيـة تصادمًـا لهـا مع ممالك إسـرائيل، وعن تداخلات لتلـك الحضـارات أيضًا مع القـوى الدوليـة المناوئة فى بلاد الرافدين فى عصريه الآشورى الحديث والكلدانى من جهة، ومع وادى النيل خلال فترة الانتقال الثالث من جهة أخرى (انظر خريطة ٩).

حضارة عمون

تطلق هذه التسمية «عمون أو العمونيون» على الأرض الواقعة شرق نهر الأردن وعلى الضفة الشمالية لنهر تبوك، وحيث تتواجد القمم الجبلية العالية التى تصل فى ارتفاعها أحيانًا إلى ما يزيد عن ثلاثة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر(١٠٣). ووفقًا للدلائل الأثرية فإن أصحاب هذه الحضارة قد استقروا هناك بدءا من القرن الثالث عشر ق م مثلهم فى ذلك مثل أهل حضارة مؤاب وأدوم الواقعين إلى الجنوب منهم(١٠٤) واتخذوا من «ربة» أو «ربة عمون» التى سميت فى العصر الإغريقى «فيلادلفيا»، نسبة إلى ملك مصر بطليموس الثانى فيلادلفوس (٢٨٤ ـ ٢٤٦ق م) عاصمة لهم. وتقع فى موقع تشغله حاليا العاصمة السياسية للأردن «عمان»(١٠٥).

قد ورد ذكر للعمونيين على أنهم من نسل لوط (التكوين: الإصحاح ١٩، ٣٨) وبالتالى فانهم ذو صلة نسب بالأموريين (الأعداد، الإصحاح ٢١، ٣٥). لقد كانت هناك عداوة متأصلة بين العمونيين والإسرائيليين منذ تواجد كل من الحضارتين معًا تاريخيًا، ونشبت الحروب بينهم فى صراعاتهم الحدودية (القضاء، الإصحاح ١١)، وعاد السلام بينهم فى عهد داود وربما شاركوه فى الأمور الإدارية بالمثل فى عهد سليمان، وخاصة بعد زواجه من «نعمة» العمونية (الملوك الأول، الإصحاح ١٤، ٢١)(١٠٦). وقد تمردت عمون على خضوعها للسيطرة الآشورية، وإن كلفها ذلك غاليًا كما تعكس ذلك نصوص تجيلات بليسر (٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق م) فى حملتة ضد سوريا وفلسطين(١٠٧) وعادت عمون إلى دفع الجزية فى عهد «سينا خريب» وواجهوا مصيرا قاسيًا فى عهدى أوسر حدون (٦٨١ ـ ٦٦٨ق م) وآشوربانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٦ق م)(١٠٨) كما كان العمونيون فى صراع مستمر مع الأموريين إلى الشمال منهم على الحدود الشمالية الشرقية، واشتهر «سيحون» الأمورى بسلبه لقسم كبير من أراضيهم(١٠٩).

وخلفت تلك الحضارة مصادر نصية لعل أهمها «نقش تل سيران» والذى عثر عليه عام ١٩٧٢ فى حفرية تل سيران فى حرم الجامعة الأردنية. وتدون النقوش على زجاجة برونزية أسماء ثلاثه أجيال من الملوك العمونيين. وقد نشر النقش عام ١٩٧٣ تومسون وفوزى زيادين، ووردت ترجمة أحدث له عام ١٩٦٧(١١٠) (انظر شكل ١٣).

وقد رجّح «كوت» (Coote) أن تكون محتويات تلك الزجاجة زيت معطر مشابه لذلك النوع المعروف عند العمونيين باسم «زيت المتعة»(١١١) وإن كان قد عثر أيضًا بداخل محتوياتها على حبوب (الشعير غالبًا) ربما كنوع من القرابين(١١٢). كما تمثل نصوص أخرى من تلك الحضارة ضمن ما دون على ما يزيد عن أربعين خاتمًا عمونيًا تعكس أنماطًا عدة للكتابات العمونية الرسمية(١١٣). ولقد كشفت أعمال الحفائر

التى قام بها «هينيسى» J.B. Hennessy عن أساسات معبد مربع من تلك الحضارة، ويحيط به عدة حجرات كانت به بقايا الأضحيات المقدسة المقدمة للإله من مجوهرات ذهبية، وخرز وجعارين وأختام أسطوانية، وقطع عاجية وعظمية. ويتشابه المعبد فى تصميمه بإطلاق مع ذلك المشيّد على منحدرات الجبل بالقرب من نابلس، والمنتمى إلى الدور الحضارى الآخر من العصر البرونزى الوسيط. وفى عمان كشفت الحفائر بالمثل عن آثار من العصر الحديدى(١١٤).

حضارة مؤاب

تقع مؤاب إلى الشرق من البحر الميت ما بين أدوم جنوبًا وعمون شمالا وكان يحف بها فى جزئها الشرقى الطريق التجارى المعروف باسم «الطريق الملكى» الواصل ما بين جنوب سوريا والعراق، وفصل بين جزئى المملكة وادى الموجب (نهر أرنون ـ سفر العدد)، وإلى الجنوب وادى الحسا(١١٥).

وأبانت الكشوف الأثرية عن تواجد محطات أثرية ترجع إلى العصر الخالكوليثى فى منطقة مؤاب. وكذلك عثر على لوحتين مهمتين من مؤاب تنتمى إلى الجزء الأخير من العصر البرونزى المبكر هما لوحة شيحان التى كشف عنها دى سولسى F.de Saul-cy والموجودة الآن فى متحف اللوفر، ولوحة بالوعة الموجودة الآن فى متحف عمان(١١٦).

وكشف كذلك عن محطات أثرية ترجع إلى العصر البرونزى الحديث حوالى القرن الثالث عشر ق م حينما شيدت التحصينات على طول حدودها، ويرجع إلى تلك الفترة جهود رمسيس الثانى (١٢٨٩ ـ ١٢٢٤ ق م) التأديبية ضد أهل المكان، وبالمثل ضد أدوم ومنطقة النقب. وقد انعكست مناظر الحصار من الجيش المصرى لمؤاب وقلاع ديبون على جدران معبد الأقصر(١١٧).

وقد أكّدت البقايا الأثرية فى مؤاب كذلك ملامح لحضارة العصر الحديدى فى دوره الأول، وتعكس مدى التدهور الكنعانى التقليدى وبدء سيادة حضارات عمون، مؤاب، أدوم والإسرائيليين فى مواقع شرق الأردن. وربما تعاصر ذلك مع ذكر مملكة إسرائيل لأول مرة فى النصوص المصرية ضمن ما يعرف باسم «لوحة مرنبتاح»(١١٨).

وكانت هناك عداوة قائمة بين مؤاب وإسرائيل مثلها فى ذلك مثلما كان الحال مع عمون. وعكست نصوص العهد القديم ملامح لهذا الصراع فى فترة القضاة وفى عهد داود عليه السلام. وغلب الطابع السلمى على تلك العلاقات خلال عصر سليمان (الملوك الأول، الإصحاح الحادى عشر:١) «وأحب سليمان الملك نساء غريبة كثيرة مع

بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لاتدخلوا إليهم، وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة»[119] واستردت مؤاب استقلالها بعد انقسام مملكة إسرائيل عقب وفاة سليمان عليه السلام وإن حاول عمرى (٨٨٢ ـ ٨٧١ ق م) إخضاع البلاد. وقد نالت مؤاب حريتها مرة ثانية فى عصر «إهاب» من ملوك مملكة الشمال العبرية (سامريا)، (الملوك الثانى، الإصحاح الأول: ١) والذى أكده ما ورد من نصوص على اللوحة المعروفة باسم «لوحة ميشع»، ملك مؤاب[120] ولقد أخضع سرجون المؤابيين ثم استفاد من جيوشهم وخبرتهم فى حروبه ضد بلاد العرب[121] وقد أصبحت مؤاب جزءًا من المملكة الكلدانية العراقية، ثم خضعت للسيطرة الفارسية وأخيرًا للسيطرة النبطية والذين أخضعوا من قبلها مملكة أدوم. ومع عام ١٠٦م أصبحت مؤاب جزءًا من المقاطعة الرومانية المسماة «العربية»، وانتعش المكان اقتصاديًا خلال العصر الرومانى البيزنطى[122].

ولم يتخلف من ممالك شرق الأردن إلا القليل من الآثار المكتوبة لعل أهم وأطول تلك النقوش التى عثر عليها فى الأردن وفلسطين هو نقش «ميشع»، ملك مؤاب من القرن التاسع قبل الميلاد (حوالى ٨٤٠ ـ ٨٢٠ ق م) والمدوّن بخط متطابق مع الخط العربى المعاصر. وعثر عليه المبشّر الألمانى الأب ف.أ كلاين عام ١٨٦٨م عند العاصمة المؤابية ديبون دريبان الحالية على مبعدة ثلاثة أميال شمال نهر أرنون، وقام بنقله الباحث الفرنسى كليرمونت جانو Clermont - Ganneau إلى متحف اللوفر عام ١٨٧٠م[123] (انظر شكل ١٤).

وتروى النصوص المدونة علاقة مملكة مؤاب مع عمرى Omri وابنه إهاب (٨٦٩ ـ ٨٥٠ق م)، وعن تحرير مؤاب من سيطرتهم. كما عكست نصوص العهد القديم وجهة النظر العبرانية حول الأحداث التى يرويها «ميشع» وذلك فى الإصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى[124].

وتجدر الإشارة كذلك إلى وجود نقشين آخرين عن أحداث حضارة مؤاب عبارة عن كسرة من الحجر البازلتى الأسود منقوش عليها ستة أحرف واحد منها فقط واضح تماما، وقد عثر عليه فى ذيبان عام ١٩٥١، والآخر عبارة عن كسر من الحجر البازلتى الأسود عثر عليها بالقرب من الكرك عام ١٩٦٢ ويحمل نقشًا من ثلاثة أسطر يرجح أن تكون لميشع أيضا ملك مؤاب[125].

حضارة إدوم

أطلقت تسمية إدوم (أو جبل السعير) على الإقليم وعلى الشعب الواقع إلى الشرق من وادى عربة والذى كانت تحده من الشمال مملكة عمون، وإلى الغرب البحر الميت ووادى عربة، وإلى الشرق الصحراء. وانتفع الإقليم نتيجة لارتفاع قمم الجبال به بكمية أمطار مناسبة خلال فصل الشتاء[١٢٦]. وكانت سالع عاصمة إدوم تم تغير اسمها إلى البتراء أحد أشهر مدن العالم القديم، ثم أصبحت عاصمة للأنباط بعد إدوم، وتقع إلى الشرق من وادى عربة فى منتصف المسافة تقريبا بين رأس خليج العقبة والبحر الميت[١٢٧].

وكانت المنطقة الجغرافية التى شغلتها حضارة إدوم مسكونة خلال الألف الرابع ق م، ووفقا لما ذهبت إليه نظرية نيلسون جلوك فإن هذا الجزء على خلاف ما كان عليه الحال فى فلسطين وشمال الأردن خلال العصر البرونزى الوسيط والحديث (المتأخر) غير مأهول بكثافة سكانية وشبه خال. ولم تذكر أحد مواقعه فى النصوص المصرية، وإن كانت أعمال الكشف الأثرى الأخيرة أبانت - كما سبق القول - إلى ما يناقض ذلك[١٢٨].

وقد أشير إلى إدوم بين قوائم سيتى الأول كأحد المواقع التى هاجمها. وبالمثل ورد ذكرها، إضافة إلى مؤاب والنقب - خلال حملة رمسيس الثالث التأديبية[١٢٩]. كما تظهر الدلائل من موقع تمنة (Timna) التداعى المتوالى لأهمية المكان فيما تلى عهد رمسيس الخامس (١١٦٠ - ١١٥٦ ق م) وخلال تلك الفترة التى ألقت فيها غزوات شعوب البحر بظلالها على ممالك الداخل بالأردن: عمون ومؤاب وإدوم بالمثل[١٣٠].

وتعكس نصوص التوراة عداوة مريرة بين الأدوميين والإسرائيليين ربما ترجع فى أصولها المبكرة إلى رفض مملكة إدوم للإسرائيليين لعبور أرضهم من نقطه قادش برانيا المصرية إلى أرض الميعاد (سفر العدد ٢٠: ١٤ - ٢١) و(القضاة، الإصحاح الحادى والسابع عشر)[١٣١]. كما عكست نصوص التوراة من عهد «شاؤول» حروبه ضد إدوم (صموئيل الأول ١٤ - ٤٧)، وبالمثل فى العهد التالى له حيث قام داوود بهزيمة الأدوميين والذين صاروا ولاة تابعين له (صموئيل الثانى، الإصحاح ٨، ١٣، ١٤). واستمر هذا النزاع بين خضوع للإسرائيليين وتمرد واستقلال للأدوميين عنها (الملوك الأول ١٢ : ٤٧، الملوك الثانى ٨: ٢٢). وقد تردد فى سفر الملوك ذكر أمير أدومى (حدد) (هداد) قد نجا من المجزرة التى قتل فيها يوآب قائد داود «ثمانية عشر ألفا من الأدوميين»، وفر إلى مصر حيث خصصّ له الملك «أمن - م - أب» السكن والمعيشة

وحيث زوجه فرعون غير مسمى (ربما سيا أمون أخت زوجته). وعند سماعه خبر وفاة داود عاد حدد إلى أدوم، وأعلن استقلاله عن حكم سليمان، وأصبح من الد خصومه(١٣٢). كما تضمنت النصوص الأشورية بإطلاق اسم إدوم ضمن الممالك المهزومة والخاضعة لنفوذها(١٣٣). وقد عرفت بلاد إدوم فى اليونانية باسم «أدوميا»، وانتهت حياه الأدوميين فى القرن الثانى قبل الميلاد وذلك حين استولى «يوحنا المكابى» على حبرون وغيرها من المدن التى كان الأدوميون قد استولوا عليها ثم أجبرهم بعد ذلك على الختان واعتناق اليهودية(١٣٤).

وعكست الدلائل الأثرية نتيجة لأعمال نيلسون جلوك وجود آثار إدومية بالمكان وأن أرّخها خطأ من القرن الثامن ـ السابع ق م. ودعّم ذلك الوجود ما ورد من إشارات فى الوثائق المصرية فى بردية انستاسى ٦ المؤرخة من القرن الثالث عشر ق م عن قيام موظف مصرى فى أحد قلاع الحدود المصرية فى شرق دلتا نهر النيل بالسماح لعبور مجموعة من قبائل الشاسو فى إدوم إلى داخل مصر(١٣٥) كما كشفت أعمال المسح الأثرى عن وجود دلائل على التحصينات الأدومية، وعن ممارستهم للزراعة، وعن أنماط فخارية متعددة. ودعم ثراء المكان الاقتصادى ما كانت تقدمه إدوم من جِزى إلى أوسرحدون الأشورى.

وكان الخط الأدومى بإطلاق غير شائع بين خطوط الكتابة فى ممالك شرق الأردن مما جعل من الصعوبة تناوله بالدراسة الممحصة، وقد عثر على ثمانية أختام أدومية، بالإضافة إلى الخطوط المختصرة التى سبق العثور عليها على أوستراكا فى موقعى تل الخليفة وأم البيارة(١٣٦). وما تم العثور عليه ضمن موقعين الى الشرق من النقب ممثلة فى ختم منقوش وأوستراكا صغيرة الحجم مما سهّل لنا إمكانية التعرّف على اللغة المستخدمة آنذاك، والباليوجرافى المميز للخط الأدومى وتركيبات اللهجة الأدومية(١٣٧).

الفصل الرابع

لبنان والدور الحضاري للفينيقيين

الفصل الرابع

لبنان .. والدور الحضارى للفينيقيين

لعبت الملامح الطبوغرافية دوراً هامًا فى تشكيل ملامح الحضارة الفينيقية (لبنان) حيث كان لوقوعها على شريط ضيق بين البحر المتوسط من الغرب والصحراء من الشرق مكانة مميزة باعتبارها المدخل المؤدى إلى كل الاتصالات التجارية أو الصراعات العسكرية مع مصر أو ضدها، وبين تلك المراكز الحضارية إلى الشرق من لبنان فى وادى الرافدين (العراق) أو إلى الشمال منها خاصة بلاد الأناضول. كما لعبت طبوغرافية المكان دوراً هامًا فى عدم نشأة دولة موحدة، وغلبت نمط «دويلات المدن» - City States السياسى على تاريخها الطويل.

ولم يجد الفينيقيون مفراً من أن يؤلفوا مجتمعات صغيرة داخل المدن المحصنة ذات أسوار عالية وأبراج كبيرة يلجأ إليها سكانها وقت الخطر ويحتمون بأسوارها(١٣٨). وكان لكل مدينة حكومتها الخاصة بها، وعلى رأسها حاكم بالوراثة، قد ينتقل الملك منه إلى أسرة أخرى، أو تنتزع الإمارة وتسلب نتيجة ثورات داخلية(١٣٩). (انظر خريطة ٢، ٦).

وقد انتشرت مواقع الحضارات القديمة فى لبنان على طول ساحل البحر المتوسط من كسيوس إلى جنوبى الكرمل، وبرزت بعض دويلات المدن ذات الأهمية الخاصة من بينها طرابلس، جبيل (بيبلوس)، صور وصيدا. وقد برزت براعة الحضارة الفينيقية فى استغلال الظروف البيئية بتشييد بعض مدنهم فى جزء منها على اليابسة يتاجرون ويزرعون، والآخر على جزر قريبة من الساحل يلجأون إليها للحماية بعيداً عن العدو المهاجم، وكذلك فى قدرتهم على إمداد خطوط ناقلة لمياه الأمطار من الساحل إلى الجزيرة عبر خراطيم تحت سطح ماء البحر. وأخيراً فان غلبة التضاريس الجبلية حيث لا تبعد سلسلة جبال لبنان عن البحر بأكثر من خمسين كم، بل وتقترب أحيانًا فى بعض المواقع على بعد ١٢ - ١٥ ميلا، وفى مواقع أخرى يلاصق الجبل شاطئ البحر المتوسط من جهة، وتوافر الغابات والأخشاب الجيدة بها وقلة الأرض الزراعية ووجود البحر من جهة أخرى دفعت أهل لبنان القدامى إلى البحر، وبلغت حضارتهم أوجها فى المجال التجارى وهى الاتصالات الحضارية عبر سطح مياه البحرين المتوسط والأحمر، واستفادت من خبرتها الملاحية أهل الحضارات الأخرى خلال الألف الأول قبل الميلاد(١٤٠).

ويبدو أن اسم لبنان مشتق من أصل سامى «لبن» بمعنى «أبيض» ربما لكثرة ثلوجها فوق الجبال على الأقل لمدة ستة أشهر فى السنة، وبدأت النصوص تذكر تلك التسمية منذ عام ١٨٠٠ ق م تقريبا. كما وردت لبنان فى النصوص المصرية باسم «البلن» أو «برن» مثلما نعلم من المصادر التصويرية لمقابر أفراد الأسرة الثامنة عشر المصرية فى جبانة غرب طيبة بصعيد مصر. وأشارت لها النصوص الحيثية باسم «لبلانى» وفى النصوص الكنعانية المكتشفة فى أوجاريت (رأس الشمرة) بشكل «لبنن»، أما النصوص الآشورية فقد عرفتها تحت اسم «لابان» أو «لابانو».

وحاول البعض الربط بين المكان وأهله والهجرات البشرية القادمة من الجزيرة العربية فى رأى، أو من منطقة الخليج العربى فى رأى آخر أوردته كتابات هيرودوت وبين ما اشتهرت به تلك الحضارة من معرفة للأصباغ الأرجوانية اللون وبين اسم الفينقيين كتسمية لأهل لبنان خلال الألف الأول ق م[١٤١]. وقد وردت فى اللغة الحورية القديمة باسم «كناجى» بمعنى أحمر اللون، وفى اللغة الأكادية «كناخى» وفى الفينيقية «كنع» وفى العبرية «كنعان» وكلها تدل على الحمرة الأرجوانية المستخرجة من صدف الموركس Murex. وأطلق عليهم الإغريق اسم Phoenix (أحمر اللون)، ومن ثم اشتقت التسمية المعروفة باسم الفينيقيين[١٤٢]. كما اطلق على الفينيقيين فى سفر الملوك الأول، ٩:٢٧ «أولئك النواتى العارفون بالبحر»[١٤٣].

وكشفت لنا المصادر الأثرية والنصية ملامح لحضارة أهل المكان، وتداخلاتهم مع كل من حضارتى مصر الفرعونية والعراق القديم بوجه خاص خلال العصور البرونزية بأدوارها الثلاث التاريخية ثم خلال العصر الحديدى، وتداخلاتها السياسية مع مملكة إسرائيل، ثم بعد انقسام تلك المملكة بوفاة سليمان عليه السلام. وكشفت بعض أعمال التنقيبات فى بعض المدن اللبنانية عن ملامح متعددة لتلك الحضارة اللبنانية وصلاتها المتعددة، ومن أهمها: جبيل، صيدا وصور بصفة خاصة، وكذلك موقع صرابتا -Serap ta الذى تم تمويل أعمال الحفر الأثرى به من قبل الجمعية الجغرافية، وتحت إشراف جيمس بريتشارد، ولمدة أعوام أربعة فى أوائل السبعينيات من القرن الحالى[١٤٤].

وتقع مدينة جبيل إلى الشمال من بيروت بحوالى ٤٠ كم. واشتهرت بتجارة البردى المرجح أنه أعطى لها اسمها: الكتاب = بيلو Biblo ومنه اشتق اسم الكتاب المقدس Bible[١٤٥]. وقد عرفت جبيل فى المصادر المصرية باسم «كبن» كتحريف عن الاسم الفينيقى «جبيل» وعرفتها المصادر اليونانية باسم «بيبلوس» وحاليًا فى اللغة العربية جبيل.

وعكست الدلائل الأثرية والمصادر النصية قدم علاقات المكان وأهله مع حضارة مصر الفرعونية على الأقل منذ أواخر عصور ما قبل الأسرات، وتدعم ذلك خلال بداية

الأسرات الملكية ضمن ماكشف عنه من بقايا للأخشاب المستوردة من لبنان فى مقابر الملوك فى أبيدوس من جهة وعن بقايا معابد من بينها معبد للإله «بعلة» سيدة جبيل ومعبد المسلات بالمكان من جهة أخرى(١٤٦) كما حفظت لنا نصوص حجر بالرمو، أحد مصادرنا لفهم تاريخ مصر الفرعونية، عن إرسال «سنفرو» من الأسرة الرابعة من الدولة القديمة لأسطول تجارى من أربعين سفينة «لإحضار أخشاب الأرز «أو الصنوبر» من لبنان» صنع منها أربعا وأربعون سفينة، طول الواحدة منها مائة ذراع (حوالى ٥٢ مترا)، ومازالت كثير من الأخشاب فى حالة جيدة حتى الآن(١٤٧) وكان لميناء جبيل أهمية خاصة خلال فترة حكم خوفو، وأصبحت السفن التى تتعامل مع جبيل أو المصنوعة من أخشابها تسمى «الجبيلية» أحيانا. وعثر على معبد مصرى بالمكان حملت بعض أحجاره أسماء بعض ملوك الدولة القديمة(١٤٨).

كما عكست الآثار والنصوص مدى تأثر حكام جبيل بمصر وحكامها وحضارتها خلال عصر الدولة الوسطى (٢١٣٣ ـ ١٧٨٦ ق م) حيث حملوا ألقابًا إدارية مصرية «حاتى ـ عا». بمعنى «الحاكم» أو «المحافظ» مما حمل البعض إلى افتراض إما وجود نوع ما من السيطرة الإدارية المصرية على المكان، أو دلالة على التغلغل الحضارى المصرى على ثقافة أهل المكان تدعّم بما عثر عليه من آثار بالمكان(١٤٩).. ومن الملفت للنظر أن نجد اسم جبيل ضمن النصوص التى اصطلح على تسميتها باسم «نصوص اللعنة» أو «نصوص التدمير»، وهى عبارة من مجموعة من الدمى، والأوانى الفخارية كتب عليها تعاويذ سحرية لسحق أصحابها من أعداء حكام مصر الآسيويين والنوبيين، وأحيانًا من المصريين؛ مما يعكس تداعى العلاقات الودية النمطية بين المكان وحضارة وادى النيل(١٥٠) وخلال عصر الدولة الحديثة(١٥٦٧ ـ ١٠٨٥ق م) نجد صدى لولاء أميرها «ربعدى» لمصر وحاكمها. وتعكس نصوص رسائله استغاثة صادقة طالبًا العون للدفاع عن أملاك مصر الامبراطورية ضد «عبدى شرتا» وابنه «عزيرو» خلال فترة حكم أمنحتب الرابع/ إخناتون(١٥١).

وفيما يتعلق بصيدا فإنها تقع فى موضع متوسط بين بيروت جنوبًا بحوالى ٤٥ كم وصور شمالاً بحوالى ٤٠ كم، ووسط سهل ساحلى شديد الخصوبة ووفير المياه وتطل على مرفأ ممتاز مؤلف من سلسلة جزر صغرى متصلة بعضها البعض بأرصفة صناعية مع وجود سور للحماية من جهة البر. ويرجح اشتقاق اسمها من الصيد أى صيد السمك. وينتسب إليها الإله الفينيقى «صيدون». وقد مارس أهلها صيد القواقع والأصداف التى استخرج منها الصبغة الأرجوانية. ووردت فى المصادر الأشورية باسم «صيدونا»، وفى اللاتينية «صيدون» أو «صيدونا» وفى رسائل تل العمارنة باسم «صيدون» وفى العبرية «صيدون»(١٥٢).

أما صور فانها على مبعدة ٤٠ كم جنوب صيدا. وهى من أعظم دويلات المدن الفينيقية. وكانت فى الأصل جزيرة اتصلت باليابسة عن طريق إنشاء سد يبلغ طوله نصف ميل قام ببنائه الإسكندر المقدونى أثناء حصاره لها. ويعنى اسمها «الصخرة»(١٥٣) وارتبطت صور بصلات عديدة مع جيرانها وخاصة فى عهد ملكها «أحيرام» (٩٨٠ ـ ٩٣٦ ق م) والذى خلف أباه «أبى ـ بعل». وقد اهتم أحيرام بتجميل صور وتوسيع رقعتها وشيد بها عدداً من القصور والمعابد الجديدة. وزاد على ذلك بأن جعل للمدينة ميناءين فى الشمال وإلى الجنوب منها وأقام جسراً يوصل بين الشاطئ والجزيرة الصغيرة التى أمامه. وكان لأحيرام علاقات مودة مع سليمان عليه السلام وأمده بالمعماريين والعمال الفنيين اللازمين لإقامة هيكل الرب فى أورشليم وكذلك قصر ملكى له(١٥٤). كما ساعد أحيرام سليمان فى إنشاء أسطول تجارى له فى البحر الأحمر وأمده بالبحارة الفنيين المهرة للعمل على السفن(١٥٥) وكانت نقطة الانطلاق لهذا الأسطول ميناء «عصيون جابر» مثلما أشارت نصوص التوراة» وقد عمل سليمان سفنا فى عصيون جابر التى بجانب إيلة على شاطئ بحر سوف فى أرض إدوم»(١٥٦)، كما تشير النصوص كذلك إلى أسطول للفينيقيين أرسله سليمان لإحضار «ذهب أوفير» ربما فى جنوب غرب الجزيرة العربية(١٥٧).

وقد عانت صور كثيرا من التوسع العسكرى الأشورى خاصة فى عهد أوسرحدون وقيامه بمحاصرته لها عام ٦٧٢ ق م، ثم تدمير المكان على يد «ارتاركسيس» الفارسى عام ٣٤٦ق م.

وقد عكست النصوص والآثار علاقات حضارية للمكان مع حضارتى وادى النيل وبلاد الرافدين بصفة خاصة. وترجع أقدم الإشارات لعلاقات المكان مع بلاد الرافدين إلى عهد الملك السومرى «لوجال زاجيرى، ملك الوركاء وإشارته إلى أن معبوده «إنليل» جعل شعوب كل البلاد من «البحر السفلى (الخليج العربى) إلى البحر العلوى (البحر المتوسط) توجه أقدامها نحوه، ولم يكن له مناوئ من الشرق إلى الغرب(١٥٨).

وأشار «سرجون الأول» (٢٣٧٠ ـ ٢٣١٥ ق م) إلى أن «إنليل» منحه كل المنطقة من البحر السفلى إلى البحرالعلوى، وأنه غسل أسلحته فى مياه البحر المتوسط، وأن المعبود «داجان» قد أعطاه الأرض العلوية، مارى (تل الحريرى) وبارمونى (جنوب ببلوس)، ابلا (تل مرديخ) حتى غابة خشب الأرز (لبنان) وجبل الفضة (تركيا)(١٥٩). وبالمثل تكررت نفس العبارات فى عهد نارام سين (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ق م) مما يوضح أهمية المكان وضرورة التحكم فى موارده الاقتصادية ليكون منفذاً بحريًا من جهة، وليكون مورداً هامًا للحصول على الأخشاب المرغوب فيها من قبل حكام كل من مصر والعراق القديم.

ولقد ظلت لمصر السيادة الحضارية على المكان وأهله خلال عصر الدولة الوسطى/ العصر البرونزى الوسيط فى دوره الأول، وتدعم ذلك من خلال ماحفظ من آثار بالمكان وما تردد ضمن المصادر النصية لعل من بين أهمها نص «سنوهى» الأدبى. وقد ورد ضمن هذا النص ما يدعم سيادة مصر الثقافية على المكان وأهله وعن معرفة أهل المكان للسان مصر (لغة مصر). وخلال العصر البرونزى الحديث (LB) وما يناظره من سيادة مصر السياسية والإدارية خلال عصر الإمبراطورية (الدولة الحديثة) على المكان وأهله نعلم أن مصر فرضت سيادتها الإدارية والعسكرية على لبنان من بين الأقاليم التى خضعت لمصرفى آسيا كان لبنان جزءا إداريا خاضعا لما يسمى ضمن الهيكل الإدارى المصرى «حكومة الخارج» وتحت إمرة أحد الولاة (Vasal) الذين تولوا تصريف أمور المقاطعات الإدارية الخاضعة لمصر فى آسيا. وبدأت تمثيلات أهل لبنان قادمين بهداياهم (الجزى) إلى فرعون مصر وبدأ اسم «لبنين» أو «ربرن» يتردد فى النصوص المصرية. وعكست بعض مناظر مقابر الأفراد فى جبانة غرب طيبة من الدولة الحديثة صوراً لهم(١٦٠).

وخلال العصر الحديدى فى الألف الأول ق م ومع الضعف السياسى والعسكرى لحضارة مصر القديمة بدأت السياسة الآشورية فى العمل على السيطرة وبسط النفوذ على الفينيقيين (لبنان) لتحقيق عوامل الثراء الاقتصادى، ولتوفير العمق الإستراتيجى الأمنى لها مثلها فى ذلك مثلما فعل ملوك الألف الثالث ق م/ العصر البرونزى المبكر خلال حضارتى العصرين السومرى والأكادى. وبدأ ملوكها خاصة من عهد تجيلات بليسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م) فى تنفيذ ذلك. وعكست نصوص العديد من ملوك العراق القديم خلال العصرين الآشورى (الحديث) والكلدانى خضوع إمارات ودويلات الساحل اللبنانى لهما، ودفع أهلها للجزية، وكذلك عن حالات للتمرد السياسى ضد هذا النفوذ الأجنبى، وما ترتب عليه من إلحاق الأذى بالمكان وأهله. كما خضع المكان للحكم الفارسى بدءا من عهد «قورش» (عام ٥٥٨ - ٥٣١ ق م) وما ترتب على ذلك فى مرحلة تالية من صدام مع الدولة الناشئة: اليونان أو تعاون معها ضد الحكم الفارسى. ولعل تدمير صور السالف الإشارة إليه دليل على ما لاقاه حكام دويلات المدن الفينيقية على الساحل اللبنانى من عقاب على تمردهم ضد النفوذ الفارسى.

ولعل أهم ما ارتبط بحضارة لبنان خلال الألف الأول ق م هو ما ارتبط بتوسع بحارتها الفينيقيين التجارى عبر البحر المتوسط وبدء تأسيس مراكز أو مستعمرات تجارية لها فى مناطق عدة على سواحل البحر المتوسط خاصة الساحل الشمالى الغربى الإفريقى. وكانوا يقومون بتصدير أصناف من السلع مطلوبة من أهل البحر المتوسط من بينها الخشب، القمح، الزيت، المصنوعات الحريرية والمنسوجات(١٦١).

وكانت «عوتيقة» Utica بمعنى «القديمة» أو «العتيقة» والتى أسماها ابن خلدون «وطاقة» أقدم مستعمرات الفينيقيين التجارية على الساحل الإفريقى وأسستها مملكة صور حوالى ١١٠٠ ق م. وكانت هناك مستعمرات أخرى مثل هيبو (بنزرته) وسرته[١٦٢]. وتقع بقايا مستعمرة عوتيقة على مرتفع من الأرض عند مصب نهر «بجراداس»، أهم أنهار تونس الذى يجرى فى أخصب بقاعها. وقد تغيّرت معالم الموقع اليوم عنه فى العصور القديمة[١٦٣].

وتعتبر قرطاجة المشتقة من الاسم الفينيقى القديم «قرت حد شت» بمعنى «المدينة» أو القرية الحديثة على مقربة من مدينة تونس الحالية أهم المستعمرات الفينيقية على الإطلاق بالمكان، وتأسست حوالى ٨١٤ ق م استناداً إلى ما ورد فى المصادر الأدبية الإغريقية والرومانية. وقد أشارت الأساطير إلى أن مؤسستها هى الأميرة «إليسا» ابنة «متان ملك صور، عندما هربت من ظلم أخيها «بيجماليون»[١٦٤]. ويسمى الرواة الأميرة إليسا هذه باسم «ديدون» أى الهاربة»، وإن لم تدعم وثائق أخرى مثل هذه الرواية[١٦٥] واعتبرت قرطاجة جزءاً وفى ارتباط مع مملكة صور على الساحل اللبنانى الأم. وكانت ترسل رسولا كل عام لتقديم القرابين فى معبد مدينة صور. وبدأت تحتل قرطاجة مكانة مميزة مع الضعف المتزايد لمملكة صور. وبدأت تنافس اليونايين تجاريا فى حوض البحر المتوسط، وكذلك فى مرحلة تالية ضد روما، وارتبط ذلك التوسع التجارى بتصادم عسكرى لمستعمرة قرطاجة ضد الرومان فيما عرف باسم الحروب البونية الثلاث: الحرب البونية الأولى (٢٦٨ ـ ٢٤١ ق م) وكتب النصر فيها لصالح قرطاجة، والحرب البونية الثانية (٢١٩ ـ ٢٠٢ق م) ومنى فيها «هانيبال (هانيبعل» بالهزيمة أمام روما، وأخيراً الحرب البونية الثالثة (١٤٩ ـ ١٤٦ ق.م) وتم فيها النصر النهائى لروما على قرطاجة واحتلالهم لها ثم سحقهم للمدينة وحرقها لدرجة أن الحرائق ظلت مشتعلة أوارها بها لمدة ١٧ يوما[١٦٦]. وعرفت للفينيقيين مستعمرات أخرى على شواطئ أسبانيا الغربية من أجل إحضار الفضة[١٦٧]. وبالمثل مستعمرات تجارية أخرى لهم فى صقلية ومالطة[١٦٨].

إضافة إلى ذلك النشاط التجارى الملموس فإنه ينسب إلى الفينيقيين دورهم الحضارى الهام، وفى مجالات متعددة إذ ينسب إليهم نشر حروف الهجاء للأبجدية الفينيقية فى أرجاء العالم القديم. ويرجّح أنهم نقلوا أبجديتهم هذه عن الأبجدية المصرية القديمة التى كانت مستعملة فى مناجم التعدين فى شبه جزيرة سيناء فى النصف الأول من الألف الثانى ق م[١٦٩]. ويعتبر النقش المدون على تابوت أحيرام حاكم جبيل من القرن العاشر ق م حلقة وصل بين مرحلة الكتابة السينائية وبين الأبجدية الفينيقية الحديثة. ويحتوى هذا النص على اثنين وعشرين حرفا ساكنًا تؤدى كل التعبيرات

الصوتية فى اللغة[١٧٠]. وفى مرحلة تالية كانت الحروف الفينيقية هى الأصل الذى أخذ الإغريق عنه أبجديتهم، وعنهم أخذ الإتروسكيون، وعنهم جاءت الحروف اللاتينية التى أصبحت حروف الكتابة لأكثر الدول الأوربية منذ القرون الوسطى[١٧١]. (انظر شكل ١٥).

كما برع الفينيقيون فى مجال البحر وما يرتبط به من صناعة للسفن وإلمام بقواعد الفلك. وقد ظهرت السفن الفينيقية فى مناظر الحضارة المصرية منذ ١٤٥٠ ق م فى شكل هلال ولها مؤخرة ومقدمة مرتفعتان ومجدافان يستعملان كدفة للسفينة، وفى أعلى الصارى شراع واحد مربع[١٧٢]. ولم يبرع الفينيقيون فى صناعة السفن فحسب وإنما برعوا فى فن الملاحة وتعمقوا فيه. وساعدهم على ذلك اكتشاف أهمية النجم القطبى مما ساعدهم على الإبحار ليلا معتمدين على النجوم[١٧٣]. وكان لتلك السمعة الطيبة والمهارة ما جعل ملوك حضارات الشرق الأدنى القديم يعتمدون عليهم ويستعينون بخبرة ملاّحيهم وأسطولهم. وتضمنت نصوص «هيرودوت» إشارةً إلى قيام الملك المصرى «نخاو» من الأسرة الصاوية (٦٠٩ - ٥٩٣ ق م) السادسة والعشرين بالاستعانة ببحارة فينيقيين للقيام برحلة بحرية انطلقوا بها من البحر الأحمر وتمكنوا خلالها من الدوران حول طريق رأس الرجاء الصالح، وقبل نجاح البرتغاليين فى ذلك بما يقرب من ألف عام، وأنهم فى عودتهم إلى مصر عبروا «أعمدة هيراكليوس» (جبل طارق) واستغرقوا فى رحلتهم ثلاث سنوات.

ولعل هذا يذكرنا بما سلف القول إليه من استعانة سليمان عليه السلام بأسطول أحيرام الفينيقى أيضاً[١٧٤].

وقد برع الفينيقيون أيضًا فى صناعة النسيج. وربما ساعد على رواج نسيجهم إتقانهم لصبغه بالألوان الزاهية وبخاصة اللون الأرجوانى[١٧٥]. كما يرجح أن مدينة صور عرفت صناعة الحرير فى القرن السادس ق م[١٧٦].

كما برعوا فى صناعة الزجاج، واشتهرت مدينة صيدا بذلك وربما نقل الفينيقيون أسرار هذه الصناعة عن مصر الفرعونية ثم ما لبثوا أن برعوا فيها. وعمدوا إلى تلوين الزجاج مستعينين فى ذلك بالأكاسيد المختلفة[١٧٧].

وتفوق الفينيقيون فى مجال الزراعة كذلك، واستخدموا المحراث وكان يجره أحيانا الفيل فى الزراعات الكبيرة. وكانت أكثر وسائل النقل استعمالا عندهم عربات ذات عجلتين تجرها أربعة خيول، كما عرف الفينيقيون صناعة النبيذ، واستخراج الزيوت وغيرها من الصناعات الزراعية[١٧٨].

وفيما يتعلق بالعـقائد الدينية فإنها فى جوهرها عبارة عن عبـادة للطبيعة، ويمثلها معبودان رئيـسيان لهما أسمـاء متنوعة ولكنهما يتمـثلان فى السماء الأب، وفى الأرض الأم. ويتســمّى إله السماء باسم «إيل» وإله الأرض «عـشترون» وكـان إيل يسيطر على المطر ويبعث الريح ويصنع البرق والرعـد وينضج المحاصيل[١٧٩]. كما كان لبعل بمعنى «السيد» أو «المالك» مكانة مميـزة وهامة فى كل من لبنان الأم ومستعمـراتها التجارية فى حوض البحر المتـوسط خاصة قرطاجة. وأيضًا كان «ملقـرت» الإله الرئيسى لمدينة صور ثم انتشرت عبادته فى البحر المتـوسط نتيجة التوسع الفينيقى[١٨٠]. كما تعبد الفينيقيون إلى بعض الألهة المصـرية وخـاصة الألهـة «باستت» فى النصف الأول من القرن السابع ق م، والإله آمون وحورس[١٨١]. وكذلك إلى بعض الألهة الآشـورية خاصة «نرجال» سيد الحرب والخصب، وإلى بعض الألهة الإغريقية[١٨٢].

وينسب إلى الفينيقين أيضًـا إقامتهم لأماكن للعـبادة فى الهواء الطلق على رءوس التلال أو الأمـاكن المرتفعـة، وكان يـوجد بـها فقط مـذبح وعمود أو حـجر مـقدس، وكرست غالبا لعبـادة آلهة محلية[١٨٣]. ويبدو أن الفينيقيين اعـتقدوا فى البعث استنادًا إلى ماعثر عليه من أوانى للطعام والشراب وأدوات الزينة والأسلحة مع موتاهم وربما فى تأثر مع العقيدة المصرية[١٨٤].

وكانت المعابد الفينيقية فى الوطن الأم (لبنان) خاصة فى مدينة صور تتلقى ضمن مصادر دخلهـا ضريبة العشـر (من الدخل العام) من أهل قرطاجة وفـقًا لما أوردته رواية «ديودور الصقلى»[١٨٥]. وكذلك أرسلت قـرطاجة إلى صور القرابين خـاصة إلى الإله «ملقرت»: «كل الخيرات وقرابين نفيسة»[١٨٦].

وقد ارتبط بالعقـائد الجنائزية لحضارة لبنان القديمة ما عـثر عليه من توابيت ذات أغطية بهـيئة الإنسـان من قرطاجة من الـقرن الثالث ق م، وفى الوطن الأم خـاصة فى صيدا، وتحمل أغطيتها غالبًا تماثيل لأشخاص مضطجعين، وتنطوى على تأثيرات يونانية بارزة، وبالمثل فى ارتبـاط حضارى مع مـصر القديمة[١٨٧]. وعثر كذلك على الأنصاب ذات الحجم الكبـير لمعبـد بعل حمون وتانيـت فى قرطاجة. ويلاحظ وجـود تصويرات لأزهار اللوتس المصرية الأصل على العديد منها وخـاصة تلك المؤرخة من القرن الثالث ق م[١٨٨].

ومن بين أهم ملامح الحضارة الفينيقيـة هو ما تخلف بمواقعها من فخار وتماثيل. وأهم ما يميز الفخـار الفينيقى استعمـاله لعجلة الفخرانى واستخدام القـصدير فى تلميع الخزف عليه وإكسـابه لبريق خاص[١٨٩]. وكانت ألوانه أحـمر قاتما. وتغيّـرت أوضاع المقبض مـن وجوده على حافـة (فوهة) الإناء إلى منتـصف الرقبـة الطويلة نسبـيا، إلى وجوده مباشـرة على الجسد الكروى الشكل للإناء، وخاصة خـلال المرحلة الأخيرة من

العصر الحديدى فى دوره الثانى (جـ) (IR II C)، وبوجود النمط المميز لشفة الإناء فى شكل نبات «الفطر» (Mushroom - Lip) مثلمـا يوجد فى بعض نماذجه فى مـتحف قرطاج وبين ما كشفت عنه أعمـال الحفائر فى موقع سرابته فى الوطن الأم (انظر شكل ١٦)(١٩٠).

كما عثـر فى قرطاج على العديد من الجرار ذات القاعـدة المخروطية أو الدائرية. وبجسم بيضاوى أو مستطـيل أو أسطوانى الشكل وبطريـقة مشابهة لما نعرف عن نماذجه فى لبنان الأم. كما عثر على نوع من القـوارير المستطيلة الشكل ذات طلاء أحمر فاتح، وعلى أقنعة تمثل الوجوه النسائية بطريقة مشـابهة للطريقة المصرية فى نهاية القرن السابع إلى القرن السادس ق م(١٩١).

إضافـة إلى ما سبق، فـإن الفينيقـيين قد برعوا كـذلك فى استخـدام المعادن فى صناعة الأسلحة على اختلاف أنواعها. وينسب إليهم أنهم توصلوا إلى صناعة الفولاذ. ونعلم كذلك أنهم كانوا يحصلون على الذهب والفضة والقصدير من أسفارهم البعيدة، وأنهم تقـدموا فى صناعـة الحلى وأدوات الزينة تقـدمًا ملحـوظا. كمـا عثـر لهم على مصنوعات عاجية وأدوات موسيقية ذات مستوى فنى راق(١٩٢).

وينسب إلى الفينيقـيين أيضًا تفوقهم فى فنون العمارة، وأكـد ذلك ما كشف عنه معول الآثار مـن أبراج وقلاع وحصون وعمـائر دينية ومدنيـة، وفيما عكسـته نصوص التوراة تدعيمًا لشهرتهم ودورهم فى إنشاء قصور داود وسليمان(١٩٣).

وأخيرًا ارتبط بهذا التطور الحضارى والتـوسع التجارى ما افترضه بعض المؤرخين من أن قرطاجة قرّرت ضرب عـملة لها ذات قاعدة فينيقية فى نهـاية القرن الرابع تماشيًا مع قرار الملك بطليموس الأول الذى تخلى عن القاعدة الأثينيـة، وتبنى القاعدة الفينيقية ليضمن وحـدة اقتصادية لإمبراطوريتـه البحرية التى كانت تضم مصر وقـورينة وقبرص وسورية وقرطاجة فى حدود أهمية علاقاتها بالشرق الفينيقى فى لبنان الأم(١٩٤). وأثبت «جنكينس» أن أول النقود الـقرطاجية (حـصان/ نخلة) ضربت عـام ٤١٠ ق م وبقيت مستعملة إلى عام ٣٩٣ ق م. ويدل اسم «قرت حدشت» المنقوش عليها أنها صنعت فى قرطاجـة. وضربت المجموعـة الثانية (رأس إلهه/ حـصان ونخلة) فى السنوات ٣٥٠/ ٣٤٠ ق م وبقيت مـستعـملة إلى حدود ٣٠٦ ق م، مع وجود أنواع أخـرى من النقود (رأس إلهه / رأس حصـان ونخلة) و(رأس يحمل تاجًا إفريقـيا / أسد ونخلة) ويرجّح ضرب كل هذه النقود الأخيرة فى صقلية التى كانت مركزا عسكريا. وأن قرطاجة بذلك قد ضربت العملة قبل عهد بطليموس(١٩٥).

إن الفينيقيين بصفتهم سادة البحار قد ساعدوا على نشر الثقافة والتجارة فى أرجاء البحر المتوسط، وكانت لمراكزهم التجارية المشيدة على شواطئه دور هام فى ذلك.

الفصل الخامس

سوريا عبر عصورها التاريخيـــة

الفصل الخامس

سوريا عبر عصورها التاريخية

تقع الجمهـورية العربية السورية بين خطى عـرض ۳۱°، ۳۷° شمالا وخطى طول ۳۲°، ٤٠ شرقا. وتتنوع الملامح الطبـيعية للسطح فى سوريا مـا بين الساحل المطل على البحر المتوسط، سلسلة الجبال الغربية، منطقة الداخل، سلسلة الجبال الشرقية والصحراء السورية. ويمتـد السهل السـاحلى على البحـر المتوسط من سيناء جنوبًـا، وحتى خليج إسكندرونة (إيسوس القديمـة) شمالا[١٩٦]. وتمتد سلسلة الجبـال الغربية من الأمانوس التى تفصل سوريـا عن آسيا الصغرى شـمالاً حتى سيناء جنوبًا، ويمكن اجـتيازها عند طرفها الشمالى عند خليج الإسكندرونة. وقـد سهل ذلك الارتباط بين أمانوس وسهول بلاد الرافدين (العـراق القديم). ويشق نهـر العاصى (الأورنتس Orontes) فى الطرف الجنوبى مرتفعات الأمانوس ويخترقها نحـو البحر. وتعبر هذه المرتفعات عدة طرق تمتد إلى أنطاكية وحلب وتمر بالممر الرئيسى وهو مـضيق بيلان المعروف باسم «أبواب سورية» (Pylae Syriae). وتتصل بمرتفعـات أمانوس جنوب مصب العاصى مرتفـعات أخرى تمتد حتى تصل إلى قرب اللاذقية تعـرف باسم جبل الأقرع (جبل كاشيوس Casius فى العصـر الكلاسيكى) الذى يصل ارتفاعـه فوق سطح البحر بحـوالى ٤٥٠٠ قدم، ومن هناك تمتد إلى جنوب اللاذقية، حيث تعرف بجبـال النصيرية، ثم تتابع سيرها إلى النهر الكبير الجنوبى. ويشـكل هذا النهر الذى ينبع من جبال الناصريـة الحد الفاصل بين هذه الجبال وبين جبال لبنان، كما أنه يكون الحدود السياسية الحالية بين لبنان وسورية[١٩٧].

وتبدأ سلسلة الجبال الشرقية من جنوب حمص وتسير موازية للجبال الغربية على طول واحد وارتفـاع واحد تقـريبًا، ثم تنحدر من حـرمون (جبل الشـيخ) نحو هضـبة حوران ومنطقه التلال فى الجولان حيث تستمر فى شرق الأردن، وتنتهى فى جبل سعير جنوبى البـحر الميت. ويقّسم مـجرى بردى (نهـر أبانا فى التوارة) وواديه سلسلة جـبال لبنان الشرقـية إلى قسمـين. وينبع نهر بردى فى مرتـفعات وادى الزيدانى ويتجـه نحو الشرق حيث يروى جزءاً كبيراً من الأراضى السورية[١٩٨].

وتمتد الصـحراء السورية ـ وهى فى الواقع امـتداد للصحراء العـربية ـ بين وادى الفرات والمنخفض السورى الكبير وتفصل بلاد الشام عن العراق، كما تفصل بين طرفى الهلال الخصيب. ويعرف القسم المجاور للعراق «بادية الجزيرة» أو «بادية العراق» وتؤلف البادية السورية العراقيـة مثلثًا كبيراً تركز قاعدته على خلـيج العقبة فى الغرب والكويت

فى الشرق بينما تصل قمته منطقة حلب فى الشمال. ويبلغ عرض هذه البادية فى أوسع مناطقها ٨٠٠ ميل. وعاش الرعاة الرحل على المراعى التى تغطى هذه المنطقة فى الربيع، وكانت تطرقها منذ أقدم العصور آلاف القوافل التى تتخذ طريقها من حلب ودمشق وبترا إلى بابل والخليج العربى لتبادل المحاصيل ونقل المتاجر. كما شيّدوا بعض المدن مثل تدمر الواقعة عبر البادية بين الشرق والغرب(١٩٩). (انظر خريطة ١٠).

وقد غلب على سورية خلال تاريخها الطويل نظام دويلات المدن. وكانت سورية عادة إما جزء من دولة أكبر أو مجزأة بين دول وطنية أو أجنبية. وغلب على تاريخها الطويل الصراع المتواصل بين البدو والحضر المستقرين. وتعددت الهجرات البشرية إليها من البدو الساميين من آموريين إلى الآراميين، وكان آخر تلك الهجرات التى تزامنت مع دعوة الإسلام فى القرن السادس الميلادى(٢٠٠).

ونتيجة لموقعها الجغرافى المميز شهدت جبالها ووديانها تصارع الكثير من جيوش الدول المجاورة من بابليين وآشوريين ومن مصر الفرعونية وبلاد فارس والأناضول، ثم من بعد ذلك جيوش الإسكندر والرومان والعرب وبالمثل للجيوش أثناء الصراع الصليبى(٢٠١) (انظر خريطة ٦).

ويبدو أن كلمة Syria محرفة عن أصل يونانى مشتقة من «أسيريا» Assyria (آشور) أو عن أصل سامى قديم وردت فى نصوص أوجاريت حوالى ١٤٠٠ ق م بشكل «شرين» Shryn أو ربما عن كلمة سيريون Sirion العبرية الأصل التى قصد بها فى الأصل جبال لبنان الشرقية(٢٠٢). واستعمل اسم «سورى» باللغة الإنجليزية حتى العصر الحديث كتسمية عرقية تشمل سكان سوريا كلها غير أنه يستعمل الآن للدلالة على رعايا الجمهورية السورية فقط، وكمصطلح لغوى فإن اسم «سورى» Syrian بالإنجليزية يشير إلى جميع الشعوب التى تتكلم السريانية والآرامية، ومنهم الذين فى العراق وإيران. كما أنه يشير إلى أتباع الكنيسة السورية القديمة أو السريانية كمصطلح دينى، وانتشر بعضهم حتى فى جنوب الهند(٢٠٣)، وعرفت النصوص السومرية جيرانها إلى الغرب باسم «مار ـ تو» (Mar - Tu)، وفى النصوص الأكادية باسم «أمورو» (Amuru) الذى يفيد معنى «الغرب» والذين ربما كانوا فى الأصل اسمًا لقبيلة قديمة أو مجموعة من القبائل ثم عمّم الاسم وأصبح يطلق على البدو القاطنين فى بلاد الشام(٢٠٤). وأطلق البابليون الاسم كله على سوريا وأسموا البحر المتوسط باسم «بحر أمورو العظيم»(٢٠٥). وورد أول ذكر لأرض الأموريين فى عهد سرجون الأكدى الذى ذكر فى نصوصه أنه «قام فى مدينه توتول (إلى الغرب من بغداد بحوالى ٩٥ ميلا تقريبًا) بعبادة الإله داجان، الذى منحه منذ ذلك الوقت السيادة على الإقليم الأعلى مارى، إرياموتى، إبلا، وغابة الأرز (لبنان) وجبل الفضة (بلاد الأناضول)»(٢٠٦).

ولعل أهم ما تم من أعـمال للكشف الأثرى عن حضـارات المكان يرجع إلى ما قامت به بعـثة أثرية ألمانية عـام ١٩١١ برئاسة أوبنهايم فى تل حلف بالجـزيرة السورية، والبعثه الأثرية الفرنسيـة برئاسة بيزارد عام ١٩٢١ فى تل النبى مند القريب من حمص، وما ترتب علـى ذلك من كشف أجزاء من مـدينة قادش ذات الصلة بالمعـركة الحـربية الفاصلة بين الجيوش المصرية برئـاسة رمسيس الثانى وجيوش الحيثيين. كـما قامت بعثة أثرية فرنسـية برئاسـة دو بويسون عام ١٩٢٤ بإجـراء تحريات أثرية فى تل المشـرفة إلى الشمال الشرقى من حـمص، وبالمثل بعثة أثرية تشيكوسلوفاكيـة فى تل رفعت على بعد ٣٥ كم شمال غرب حلب. وينسب إلى البعثـة الأثرية الفرنسية حفائرها عام ١٩٢٩ فى مـوقع تل أحمـر (تل برسـيب) الواقع على الجـانب الشـرقى من الفـرات الكشف عن مجمـوعة من الرسوم الجدارية البـديعة التى كانت تزين قصـر الوالى الآشورى بالمدينة. وكانت هناك بعـثات أخرى أثرية. وبلغ هذا النشـاط الكشفى مداه حـتى اندلاع الحرب العـالمية الثـانية وتوقف. وبعـد الاستـقلال السـياسى لسـورية بدأ الجانب السـورى فى الإشـراف بنفسـه على الكشـوف الأثرية المتـزايدة، وأحـيانًـا بالاشتـراك مع بعـثـات أجنبية(٢٠٧)، وقد بلغ البحث الأثرى فى سورية مداه فى العقدين الأخـيرين، مستفيدًا من الظروف السيـاسية التى ألمت بكل مـن العراق وإيران خلال حروبهـما الأخيـرة وما ترتب عليه من تأثيـر سلبى على أعمال الحـفائر الأثرية بكل منها، ونقل نشـاط أعمال الكشف وتركيزه فى سورية(٢٠٨).

وتعددّت الملامح الحضارية لسوريا ومراكزها الحضارية عبر فترات تاريخية عديدة. وعكست الدلائل الأثرية المبكرة بالمكـان عن وجود ما يمـثّل حضـارات ما قبـل التاريخ خاصة ما يعكس حضارات العصر الحجـرى القديم (الباليوليثى) فى مواقع رأس الشمرة من فئوس ومكاشط حجرية(٢٠٩).

كمـا تمثلت حضارتى العـصر الحجرى الوسيط (الميـزوليثى) والحجـرى الحديث (النيوليثى) بالمكان. وتميّز فخار سوريـا خلال تلك المرحلة الأخيرة بلون واحد ثم فخار ملون فى موقع تل الجديدة إلى الشمال الشـرقى من أنطاكية من منتصف الألف الخامس قبل الميـلاد. وعثر بـين نماذجه عـلى رسوم بدائية، وبالمثل على بعض القطع الفـخارية المزينة فى شمال سـورية فى مناطق بعيدة إلى الشرق مثل سـامرا على نهر دجلة(٢١٠). وعرف سكان المكان بالمثل استخدام النحاس(٢١١)، وعكست بعض المواقع ملامح العصر الخالكوليثى وتأثيراته على حضارة العبيد (فى بلاد الرافدين).

وخلال العصور البرونزية بأدوراها الثلاث: المبكر والوسيط والحديث (المتأخر) كانت هناك عدة مراكز حضارية هامة لعبت دوراً فى الإطار السياسى لسورية، وكان لها علاقات متميّزة مع الحضارات المجاورة فى بلاد الرافدين ووادى النيل لعلّ من بين أهمها دويلات المدن فى مارى (تل الحريرى)، أوجاريت (رأس الشمرة)، وإبلة (تل مرديخ) وعكست المصادر النصية المصرية والعراقية علاقات متعددة للمكان وأهله مع الحضارات المجاورة منذ العصر البرونزى المبكر ومايليه. ولم تنقطع صلات مصر الفرعونية بالمكان خلال العصر البرونزى المبكر وما يليه. وعكست الآثار المكتشفة بالمكان خاصة من مواقع الساحل السورى «رأس الشمرة» دلائل متزايدة عن صلات للمكان مع مصر الفرعونية، بينما كان الداخل فى اتصال أو تصادم مع حضارات بلاد الرافدين خاصة خلال العصرين السومرى والأكادى. وتردد صدى لاسم المكان فى تلك النصوص باسم «أمورو» أو «مارتو» بمعنى «الغربيين» أو أرض «الغرب»، إلى الغرب من بلاد الرافدين.

بينما تردد فى النصوص المصرية اسم «رتنو» كمصطلح جغرافى عام يشمل كل من سورية وفلسطين الحالية، ثم فى مرحلة تالية بدأ تخصيص صفة «رتنو العليا» كمصطلح يقصد به سوريا فقط فى حين كان مصطلح «رتنو السفلى» يقصد به فلسطين. وخلال العصر البرونزى الوسيط عكست نصوص ملوك الأسرة الثانية عشر المصرية علاقات لمصر وحكامها مع المكان. وأوضحت قصة «سنوهى» الأدبية ملامح عامة عن المكان خلال تلك الفترة من الألف الثانى ق م. ودلت الآثار المكتشفة بالمكان خاصةً من أوجاريت (رأس الشمرة) عن وجود آثار مصرية هامة من عهد سنوسرت الأول، أحد ملوك الأسرة الثانية عشر. كما كان يوجد عند مدخل معبد الإلة «بعل» فى تلك المدينة تمثال بهيئة أبى الهول للملك أمنمحات الثالث من ملوك نفس الأسرة(٢١٢) وعثر على تماثيل أخرى مصرية الطابع فى قطنة «تل المشرفة، جنوبى حمص» وبالمثل فى المنطقة الوسطى من سوريا قريباً من دمشق وفى غيرها من البلاد(٢١٣).

وخلال العصر البرونزى الحديث (المتأخر)/ عصر الإمبراطورية المصرية كانت سوريا فى جزئها الجنوبى على الأقل وساحلها المطل على البحر المتوسط خاضعاً للنفوذ المصرى الإدارى والعسكرى، وتمثلّ بها أحد ثلاثة مراكز إدارية مصرية لتنظيم شئون الدولة على مستعمراتها هناك(٢١٤). وعكست رسائل تل العمارنة ملامح متعدّدة للمكان وعلاقاته مع مصر وما عاناه من ضغوط الحيثيين من الشمال وصراعات مصر الفرعونية ضد الميتانيين (العراق) لعلّ قمته كانت خلال معركة قادش الشهيرة بين مصر والحيثيين، وكان أهم نتائجها أن خسرت مصر مناطق نفوذها الآسيوى فى كل المناطق إلى الشمال من نهر الكلب (اللبنانى) ولصالح النفوذ الحيثى.

وخلال الألف الأول ق م/ العصر الحديدى، استفادت سوريا من تغير الظروف الدولية ومن اختفاء بعض القوى الرئيسية من على المسرح السياسى خاصة فى مصر وبلاد الأناضول، وبدأت تظهر بها بعض دويلات المدن الهامة أيضًا، وفى ارتباط مع تلك الموجة الآرامية البشرية والتى كوّنت لها إحدى أهم الإمارات السياسية بالمكان: «مملكة آرام دمشق».

مارى (تل الحريرى)

تتميز مارى (تل الحريرى حاليًا) بموقع هام فى حوض الفرات الأوسط، جنوب مصب نهر الخابور، وبالقرب من دير الزور، على مبعدة ميل واحد غربى الفرات قرب قرية «البوكمال» الحالية قرب الحدود العراقية السورية. ولعبت الصدفة دورها فى الكشف عن أهمية المكان عندما توفى أحد الأعراب فى منطقة الفرات الأوسط، وبينما كان أفراد عائلته يقومون بحفر قبر له على ظهر (تل الحريرى) فوجئوا بظهور تمثال حجرى ضخم يزن اكثر من ٣٠٠ كيلو جرام لرجل ملتح، فأخطرت السلطات الإدارية وتم نقل التمثال إلى متحف حلب. وبدأت السلطات الأثرية - فى ظل الانتداب الفرنسى لسورية - بتشكيل بعثة من متحف اللوفر برئاسة «أندريه بارو» للتنقيب المنهجى فى موقع الاكتشاف بدءًا من عام ١٩٣٣. ثم توقفت بعد ١٩٣٩ بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية. ثم استأنفت أعمالها بين ١٩٥١، ١٩٥٥ ثم توقفت بسبب حرب ١٩٥٦، ثم عاودت الحفر منذ ١٩٦١ للآن[٢١٥].

وقد سجلت قوائم ملوك سومر أسماء ست من حكام مملكة مارى[٢١٦] ووردت إشارات إليها فى نصوص «لوجال زاجيرى» التى يوضح فيها قيامه بشن حملة ضد المكان، وتدميره للمكان. وقد أعيد الموقع إلى سابق حالته ولكن إلى حين، حينما شن عليه «سرجون الأكدى» حملة ضخمة دعّمها ما ورد فى نصوصه السالف الإشارة إليها[٢١٧]. وفى عهد «نارام سين» (حوالى ٢٢٥٠ ق م) عكست نصوصه تولى اثنتين من بناته كهانة معبد الإله «داجان» فى مارى. كما نعلم من عهد «شاركالى». نشاطا له ضد المنطقة بين نهر الخابور وشاطئ البحر المتوسط ودويلة مارى أيضًا[٢١٨].

وبلغت الحضارة بالمكان شأوًا عظيما حوالى ١٨٢٠ ق م وإن لم تستمر أكثر من ستين عامًا عندما قام «حمورابى» حوالى ١٧٦٠ ق م بتدمير المكان. وأوضحت لنا الدلائل النصية والأثرية من مارى مدى ما كانت تتمتع به مثلها فى ذلك مثل دويلة «إبلة» من استقلال سياسى، وما تمتعت به من نفوذ مستقل عن بلاد ما بين النهرين، وبرغم ما عكسته تلك القوائم الملكية السومرية فيما يتعلق بعلاقاتها مع المكان، وبالمثل عن توافر البنية الأساسية بالمكان من مصادر للمياه، وعن وجود تحصينات تحيط بها وعن

وجود معبد ضخم خصص للآلهة عشتار وآخر للإله داجان، وعن معرفة أهلها للكتابة مثلما فى إبلة[٢١٩]. وكان من بين أهم من تولى السلطة هو الملك «زمرى ليم» الذى وسع من ممتلكاته لتضم إلى جانب وادى الفرات الأوسط حوض الخابور، وبلغ حتى ثنية الفرات لدرجة هددت مناطق نفوذ «حمورابى» وصلاته التجارية مع حوض البحر المتوسط، وكانت دافعًا إلى تصادمه العسكرى مع المكان. وتدعم الشواهد والبقايا الأثرية مدى ما حاق بالمدينة من دمار وخراب[٢٢٠].

وكانت النصوص المكتشفة بالمكان مدونة بالخط السومرى، وبلغ عدد الألواح المدونة عشرون ألفًا من قصر الملك «زمرى ليم» أخر ملوك مارى (١٧٣٠ ـ ١٧٠٠ق م)، والمحفوظة حاليًا فى متحف اللوفر. ويغلب على تلك النصوص الطابع الإدارى والاقتصادى، وأيضًا حفظت لنا بعض الرسائل الدبلوماسية المتبادلة بين ملوك ملكة مارى وأتباعهم[٢٢١]. ونعلم من هذه الوثائق على سبيل المثال بوجود مملكة أمورية اسمها يمخد (وكانت عاصمتها حلب)، وأن جبيل كانت مركزًا صناعيًا هامًا للنسيج، وأن قطنة (تل المشرفة) كانت مركزًا تجاريًا هامًا[٢٢٢].

ومن الجدير بالذكر أن قصر الملك «زمرى ليم» الذى عثر فيه على هذه الوثائق كان يشغل مساحة تزيد عن خمسة أفدنة ويضم حوالى ٣٠٠ غرفة حليت جدرانها بألواح ذات إطارات، زينت برسوم متقنة للرجال والآلهة، وعثر فى القصر على غرفتين مزودتين بالمقاعد تشبهان قاعات التدريس. ومن بين المناظر المصورة بالمكان رسم ملون بألوان زاهية يمثل الملك وهو يتسلم من عشتار رموز السلطة. وقد ألحقت به عدد من الساحات والحمامات وألحقت به كذلك بعض الدوائر الحكومية[٢٢٣]. (انظر شكل ١٧).

أما التماثيل التى عثر عليها بالمكان فقد غلب عليها الطابع السومرى الفنى لعلّ من بين أهمها تمثال ربة الفرات التى يتدفق الماء من طاسة تحملها بين يديها والرسوم الجدارية الملونة التى كانت تزهو بها مختلف قاعات وغرف القصر وإن غلب عليها الطابع الدينى[٢٢٤]. (انظر شكل ١٨).

وفيما يتعلق بديانة المكان نعلم أنه كانت لديهم معبودات مثل أمورو المعروف له مراكز عبادة فى العراق القديم، وزوجته الإلهة عشتار إلهة الحب والقوة. وعكست بقايا المناظر فى قصر زمرى ليم السالف الإشارة إليه صورة للملك يتسلم شارات الملك من تلك الآلهة، ومن الإله «حدد» إله المطر والزوابع، ومن معبوداتهم كذلك كان الإله «داجان» إله الخصب ورب الحبوب، وانتقلت عبادته إليهم من بلاد النهرين. ومن المحتمل أنهم هم الذين أدخلوا إلى المكان عبادة تقديم الابن البكر كقربان للآلهة، وعادة تضحية أطفال فى أسس المبانى، وهى تلك التى ظلت إلى زمن العبرانيين[٢٢٥].

أوجاريت (راس الشمرة)

لعب عامل الصدفة دوره الأساسى فى اكتشاف العديد من الآثار عام ١٩٢٨ فى موقع ليس ببعيد عن المكان، حيث كللت جهود «كلود شيفر» بالكشف عن ميناء اللاذقية الحالى، ومن ثم بدأت أعمال الحفر الأثرى تتناول التل المجاور له بما كشف لنا عن موقع رأس الشمرة بكل ما يحمله من أهمية تاريخية(٢٢٦). ويبدو أن اسم «أوجاريت» لا يرجع إلى أصل سامى. ويرجح أن يكون مشتقًا من كلمة «أوجارو» بمعنى «الحقل» إذ يحيط بالمكان حقول خصبة جداً. أما التسمية الحديثة رأس الشمرة فربما لأن المكان تكسو سطحه نبات الشمرة(٢٢٧).

وعثر بالمكان على دلائل تنتمى إلى العصر الباليوليثى إلى الشمال من أوجاريت بحوالى سبعة كيلومترات. وعثر بالمكان على دلائل من العصر الحجرى الحديث (النيوليثى)، كانت المدينة محاطة خلاله بسور يبلغ سمك جدرانه نحو خمسة أمتار، وبالمثل عن ازدهار المكان خلال العصر البرونزى المبكر والوسيط والحديث(٢٢٨). وعثر بالمكان على العديد من الرقم المسمارية ضمن الأرشيف داخل القصر الملكى الكبير(٢٢٩).

وكان لموقع المكان الجغرافى على خليج بحرى، وعلى شريط ساحلى خصيب عريض دور هام فى ازدهار المكان وإضفاء الأهمية عليه وفى تسهيل اتصالاتها مع الداخل من جهة وحوض البحر المتوسط من جهة أخرى.

وقد سيطر الحوريون على أوجاريت أثناء احتلال الهكسوس لمصر. وبعد أن تمكن فراعنة مصر من طرد الهكسوس، وبدأوا فى تطبيق سياستهم الجديدة بإنشاء مناطق عازلة أو الحزام الأمنى Buffer Zone باحتلال أراضى خارج حدود مصر الجغرافية، وبدء تكوين إمبراطوريتهم الضخمة فى آسيا والنوبة، كانت أوجاريت من بين المواقع التى بسطت مصر نفوذها عليها. ونتيجة للتقارب المصرى الميتانى نعمت أوجاريت بفترة من أزهى عصورها من منتصف القرن الخامس عشر إلى أوائل القرن الرابع عشر ق م. وخلال الصراع المصرى الحيثى الذى بلغ ذروته فى عهد رمسيس الثانى من الأسرة التاسعة عشر نجد حكام أوجاريت يدينون بالولاء إلى الحيثيين(٢٣٠). وتعرضت المدينة لهزات وزلازل مميتة حوالى ١٢٠٠ ق م تزامن معها حرائق هائلة استنادًا إلى ما نلاحظه من الدمار الذى لحق بالمدينة، ولم يعد لها قائمة، وهجر فيما يبدو من نجا من أهلها المكان. وأكملت هجمات شعوب البحر على البقية الباقية للمكان وأهميته(٢٣١).

وكشفت التنقيبات الأثرية بالمكان عن قصرين ملكيين: الكبير منهما يحتل مساحة ٩٠٠ م^{2} مؤلفًا من عدة باحات وحوالى ٦٠ غرفة، وثمة أدراج تقود إلى طابق علوى

خصص لجناح الملك وحريمه، وقاعة للاستقبال(٢٣٢). كما كشفت أعمال الكشف الأثرى عن أجزاء من أحياء المدينة، وظهرت منازل كانت ذات يوم للموظفين وللتجار وللحرفيين والكهنة. أما حى الميناء، فلم يقتصر على المستودعات والمخازن والأرصفة، بل احتوى منازل التجار الأجانب وعائلاتهم(٢٣٣). وقد ظهرت تأثيرات فنون البحر المتوسط فى الأوانى الفخارية والبقايا للمنحوتات العاجية، وكذلك تأثيرات الفنون المصرية مع تماثيل الآلهة(٢٣٤).

وقدمت لنا مئات من الألواح والكسر المكتشفة فى رأس الشمرة مصدراً لغوياً هامًا عن الأدب الكنعانى، وبالمثل مجموعة الرسائل الدبلوماسية لملوك أوجاريت (رأس الشمرة) الموجّهة إلى ملوك الحيثيين وغيرهم من الدول، وعن أصول الأبجدية الأوجاريتية المكوّنة من ٣٠ حرفًا(٢٣٥).

إبلة (تل مرديخ)

عاصرت مملكة مارى مملكة أخرى فى سوريا هى إبلة Ebla. وتردد ذكرها فى النصوص السومرية ـ الأكادية مرات عديدة. ووردت أول إشارة إليها فى نصوص سرجون الأكدى (٢٢٦٧ ـ ٢٢١٢ ق م) السالف الإشارة إليها من تباهيه بامتداد سلطته ونفوذه إلى مارى وإبلة وغابة الأرز وجبل الفضة(٢٣٦).

وتقع إبلة فى الموقع المعروف حاليًا باسم «تل مرديخ» على مسافة ٦٥ كم إلى الجنوب الغربى من حلب، وعبر الطريق العام الواصل بين دمشق وحلب، وفى منتصف الطريق تقريبا بين حلب وحماة. ويبلغ مساحة الموقع ٥٦ هكتار (حوالى ١٤٠ فدان). ويعنى اسم إبلة: عبلة وهى الصخرة البيضاء الملساء.

وينسب الفضل الأكبر فى الكشف عن معالم المكان إلى بعثة أثرية إيطالية من جامعة روما برئاسة «باولو ماتييه» (P. Matthiae) بدءًا من عام ١٩٦٨. وسبق البعثة الإيطالية فى العمل بالمكان أعمال استكشاف أثرى فرنسى أوائل القرن العشرين وإن لم تكتمل آنذاك(٢٣٧). وقد تأكد أن تل مرديخ هو المكان الذى يضم بين جنباته بقايا مدينة إبلة القديمة عندما عثر فى بدء العمل بالمكان عام ١٩٦٨ على تمثال نصفى من البازلت لجسم رجل (بدون رأس) مدون عليه نقوش مسمارية باللغة الأكادية، أمكن تأريخه فيما بين ١٩٠٠ ـ ١٨٠٠ ق م. وتمت ترجمة النص المدوّن عليه إلى ما يلى: «تكريما للآلهة عشتار قد شيد «أبيت ـ ليم» ابن ملك إبلة «أجريس حيبا» حوضًا للطهارة فى المعبد. وأن أبيت ـ ليم الذى منحته هذا الاسم عشتار ـ والذى تقع ممتلكاته فى إبلة نحت تمثالاً من أجل حياته وحياة أبنائه، وحيث إن عشتار راضية عنه جداً فقد نصب التمثال أمام ربته عشتار»(٢٣٨).

ويبدو أن إبلة بموقعها الجغرافي الهام على مفترق الطرق التجارية الآتية من الشرق إلى الغرب من إيران وبلاد ما بين النهرين إلى البحر المتوسط، ومن الشمال إلى الجنوب من الأناضول إلى مصر قد أتاح لها أن تكون مركزًا لقوة سياسية مستقلة وباكتفاء اقتصادى متميّز. ووفقًا لما تبين فإنها هيمنت على بلدان آسيا: سوريا برمتها وفلسطين وشمال ووسط بلاد ما بين النهرين وجزء من بلاد الأناضول وقبرص، وإن تشكك البعض فى أن مناطق نفوذها لم تتجاوز لبنان، وذلك بطرق مباشرة بتنصيب الحكام المباشرين على المدن الهامة كما هو الحال بالنسبة لمدينة حلب، أو بطريقة غير مباشرة بتنصيب الولاة من الوجهاء المحليين كما حدث لمارى (تل الحريرى). وكانت إبلة تعتمد فى قوتها السياسية على حيوية اقتصادها. ويبدو أن الصراع بين إبلة وأكاد راجعًا فى أصله إلى محاولة التحكم فى طرق التجارة (نهر الفرات = مارى)، وأيضًا فى محاولة السيطرة على تجارة المعادن المستخرجة من بلاد الأناضول وتجارة الخشب المستخرجة من الساحل اللبنانى(٢٣٩). كما اضطر الإيبلائيون إلى خوض الحروب ضد المناطق المجاورة مثلما عكست أحد نصوص الأرشيف الملكى من هزيمة لجيوش ملك مارى وآشور على يد الإيبلائيين(٢٤٠).

ويعود الإطار التاريخى للموقع إلى أواخر العصر البرونزى المبكر مثلما انعكس فى وثائق العراق القديم، وقيام كل من سرجون الأكدى ونارام ـ سين بشن حملات عسكرية ضد المكان. وقد أكد سرجون استسلام المكان وأهله، وأنه أجبر أهلها على دفع الجزية له، وإن كان ذلك إلى حين، حين تمكنت من إعلان استقلالها، بل وتمكنت من توسيع نفوذها واسترداد سطوتها على مارى. وما ترتب على ذلك من عقد آشور لاتفاقية مع دويلة المدينة فى إبلة لتنظيم الأمور الخاصة بالتجارة، وكنموذج لأقدم الاتفاقيات من هذا النوع من العالم القديم. ولعلّ ذلك تزامن مع الضعف المتزايد لأكاد وصراعاتها الداخلية. وظل الحال هكذا خلال عهدى ريموش ابن سرجون ومانشيستوسو. وتغيّرت الأمور فى عهد نارام ـ سين حيث تمكن من وضع حد لنفوذ إبلة ومجدها الحضارى خلال العصر البرونزى المبكر. وينسب البعض الحريق الضخم الذى ألم بمكتبة القصر والوثائق المحفوظة فى أرشيفه إلى هذا النشاط العسكرى لنارام ـ سين حوالى ٢٢٥٠ ق م(٢٤١).

وكشفت البقايا الأثرية بالمكان أيضًا عن وجود ما يمثل حضارة إبلة خلال العصر البرونزى الوسيط، وإن كانت إبلة خلاله ليست بمثل هذا المستوى الحضارى والمكانة الاقتصادية والسياسية التى كانت لها خلال العصر البرونزى المبكر(٢٤٢).

كما أدرجت إبلة فى قائمة البلدان التى خضعت الجزية إلى مصر فى عصرها الإمبراطورى وذلك مثلما ورد فى قوائم تحوتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة/ العصر البرونزى الحديث(٢٤٣).

ويتكون تل مرديخ من تل مركزى (أكروبول) يبلغ ارتفاعه أحيانا ١٥م، وسهل منبسط محاط بتضاريس تشير إلى وجود سور فى باطنها. وبدأت البعثة الأثرية الإيطالية أعمالها فى بادئ الأمر فى منطقة الأكروبول وفى منطقة الباب الجنوبى (البوابة) فى سور المدينة فكشفت عن معالمها وعن بقايا المعبد وأجزاء من المنازل السكنية. وفى منطقة الأكروبول ذاته كشفت البعثة الإيطالية عن معالم معبد هام وعن بقايا القصر الملكى الكبير(٢٤٤). (انظر شكل ١٩). وكانت عناصر العمارة ونظم الرى والتصميم المعمارى بالمكان ذات طابع سومرى. ويمكن القول بإطلاق أن الحضارة الإيبلائية صورة متأخرة للحضارة السومرية (الحضارة السومرية فى الألف الثالث ق م بينما الحضارة الإيبلائية حوالى ٢٣٠٠ ق م). ودعّمت الآثار المكتشفة بالمكان وجود ملامح حضارة العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع، وأن إبلة تمثل مجتمعا عمرانيا متطوراً، على عكس ما كان معلومًا قبل اكتشاف الموقع عن عدم وجود مثل تلك المجتمعات فى تلك الفترة فى تاريخ سوريا القديم. وتعود مرحلة الاستقرار الحضارى بالمكان إلى فترتين أساسيتين وفقًا لتأريخ ماتيه (Matthiae): العصر البرونزي المبكر في دوره الرابع (أ) المتعاصر مع اللوحات والنصوص المكتشفة بالمكان، ثم مرحلة العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع (ب)، ويلى مرحلة النصوص واللوحات من الألف الثانى ق م. وأنه لم يتأكد مما كشف عنه بالمكان وجود آثار يمكن تأريخها بالموقع إلى أى فترة تاريخية أقدم. وقد جادل ماتييه فى إرجاع القصر الملكى (Palace G) إلى الدور الثالث من العصر البرونزى المبكر، وإن لم يتدعم ذلك بأى دلائل أخرى أثرية من المكان(٢٤٥).

وكانت إبلة خلال العصر البرونزى الوسيط صغيرة الحجم ومنازلها صغيرة وحجراتها قليلة. وما زالت هناك مشكلة فى ملء الفراغ الزمنى بالموقع فى المرحلة التالية من العصر البرونزى الوسيط فى دوره الثانى إلى العصر الحديدى.

وقد شيدت بالمكان حصون تتشابه بواباتها ـ مثل تلك الموجودة في الركن الجنوبى الغربى من السور المحيط بالمدينة ـ مع تلك التحصينات المعروفة في أماكن أخرى فى الشرق الأدنى القديم من مواقع رأس العين، جزر ومجدو على سبيل المثال(٢٤٦). (انظر شكل ٢٠). وكانت إبلة محاطة مثلها فى ذلك مثل باقى دويلات المدن بسور محصن عليه أربع بوابات تؤدى إلى أحياء المدينة الأربعة. وكانت توجد على الجانب الغربى البوابة الرئيسية وكان مركز المدينة الجنوبى فى منتصفها. وتضمنت البقايا المكتشفة به بقايا القصر الملكى بما فيه من سكن للملك والملكة وأعضاء الأسرة الحاكمة وإدارة شئون

الدولة، مقر الإدارة المحلية، إدارة الاسطبلات المرجح أنها كانت مقر إدارة الشئون التجارية فى الداخل والخارج والمنوط بها إيفاد البعثات التجارية، وأخيراً إدارة الخدمات مما يوضح لنا مدى ما كانت تتمتع به إبلة من هيكل إدارى على مستوى جيد من التنظيم(٢٤٧). كما يتضح وجود مجلس للشيوخ بين مؤسسات إبلة السياسية ينتخب الملك لفترة حكم تبلغ سبع سنوات. ووجدت حالة لمدعى يدعى «إبريوم» Ibrium تم تجديد الحكم له أربع مرات(٢٤٨). وكان يقف على رأس السلطة الملك الذى كان يقوم بتيسير كافة الشئون الداخلية والخارجية وكذلك تعيين جميع الموظفين الكبار(٢٤٩). وكان سكان إبلة ينقسمون إلى فئتين أساسيتين: أبناء إبلة أى المواطنين ذوى الحقوق الكاملة، والغرباء(٢٥٠).

وقد عثر بالموقع على أربعة معابد ترجع إلى العصر البرونزى الوسيط وإن تفردت فى تصميمها المعمارى. ولم يعثر على ما يمكن مقارنته بها بين البقايا المعمارية لحضارات الشرق القديم المعاصرة. وقد رجح البعض أن مثل هذه التصميمات المعمارية تتشابه، ولكن من مرحلة ثالثة مع تلك من العصر الفينيقى، وبالمثل ربما مع التصميم المقترح لهيكل سليمان(٢٥١). (انظر شكل ٢١). وعكست النصوص الإيبلائية أسماء العديد من آلهتهم من بين أهمها «داجان» رب الأرباب والمسئول عن المطر، والإله «زيبتش» إله الشمس شأنه شأن إله الرعد «حدد» وكذلك الإله كاميس ورشف(٢٥٢). ونعلم كذلك عن أهل المكان تفوقهم فى صناعة النسيج، وبالمثل كانت صناعة التعدين متطورة جداً، وبلغت أمور الزراعة وما يرتبط بها شأواً عظيماً(٢٥٣).

كما أبانت الحفائر عن العديد من الألواح الطينية بلغ عددها ١٦٥٠٠ رقيم، وإن لم يتجاوز الرقم الكاملة الصحيحة الألفين مدونة من الثلث الأخير من الألف الثالث ق م ومنتصفه على وجه الاحتمال مدونة بالكتابة المسمارية، ولكن بطريقة مميزة وتعرف اصطلاحا الآن باللغة الإيبلائية(٢٥٤). وقد دون عليها أهل إبلة شئون حياتهم الدنيوية والدينية. وعكست دلائل على وجود مدرسة لتخريج كتبة كان يدرس بها طلاب من إبلة جنبا إلى جنب مع زملاء لهم أجانب. وتعددت الموضوعات المدونة بها ما بين نصوص تتعلق بتجارتهم الداخلية والخارجية وأعمالهم الزراعية من محاصيل وتربية للماشية. إضافة إلى ذلك فقد عثر على نصوص تتناول علاقات إبلة السياسية وعلاقاتها بالبلدان المجاورة وخطابات متبادلة بين كبار موظفى الدولة بها، وأخيراً مجموعة من العقود للبيع والشراء وتقسيم الممتلكات وتسجيل العقارات ومجموعة من النصوص التشريعية. كما عثر بين تلك النصوص على ما يمكن أن نعتبره أقدم القواميس اللغوية من العالم القديم اشتمل بين دفتيه على مفردات لغوية سومرية وما يقابلها من المفردات السامية. كما تضمنت تلك النصوص نماذج للأدب وبعض المعتقدات الدينية(٢٥٥). ومن

الغـريب أنه لم يعثـر فى تل مرديخ/ إبلة حـتى الآن على أية نصـوص ذات مضـمون تاريخى وما يمثله من مشكلة فى وضع الإطار التاريخى لإبلة فى علاقاتها مع الحضارات المجاورة وممالكها بصفة خاصة مع بلاد ما بين النهرين. ومن المحتمل أن غياب مثل تلك الكتابات التاريخية يعود إلى أنها كانت تحطم عمدًا أو تنقل من قبل الغزاة الفاتحين الذين يقومون بتدمير المكان، وأن نقل مـثل هذه الغنائم كانت ظاهرة منتشرة على نطاق واسع فى بلدان الشرق الأدنى القديم خلال مراحل التاريخ القديم[٢٥٦].

وقـد جادل البـعض فى مـحـاولة الاستنبـاط، وقـراءة مـا بين السطور فى تلك النصوص اللغوية فى ارتباط إبلة بالتاريخ اليهودى خاصة ما أبداه العالم اللغوى چيوفانى بتيناتو G. Pettinato ومحاولة الربط بين أسماء الأعلام الواردة فى تلك الألواح الطينية من إبلة مـثل إيبـروم Ibruim مع إبراهيـم ومـثل دا ـ أو ـ دو مع داود ومـيـكائيل، وإشرائـيل، وإسمـاعيل وكـذلك أسمـاء بعض المدن والمواقع مثلمـا حاول مع مـدينتى صودوم Sodom وچومورا Gommra، وبين ما ورد من أحداث فى التـاريخ اليهودى مرتبطا بـهما. كـما حاول الربط بين التـشابه فى العـادات والأساطير وبـعض الطقوس المرتبطة بعـادة «مسح الجـسد بالزيت» والطقـوس اليـهـودية مستنـتجا من أن مـثل تلك العناصر الدينية من الديانة اليـهودية كانت معلومة وموجودة منذ أكـثر من ألف عام قبل الوجود التاريخى لمملكة إسرائيل خلال عهدى داود وسليمان[٢٥٧]، وإن كانت مثل تلك الاستنتاجات الآن لا تلق قبولا أكاديميا لها على الإطلاق.

وأخيـرًا، فإن الأنماط الفخارية المكتـشفة بين بقـايا المواقع الأثرية فى تل مرديخ/ إبلة تشيـر إلى أنها مصنوعة على عـجلة الفخرانى وأنهـا بدون تلوين. ووجدت بعض الأنماط الزخرفـية المموجة علـى حوافها وأسطحـها الخارجـية إضافة إلى نماذج لزخـرفة الخطوط المتوازية أحيانا. ويمكن إطلاق صفة «فخار الكئوس» (Chalice Culture) على أنماط الفترة المبكرة من الحـضارة الإيبلائية خلال العـصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع (أ) (EB IV A). وتميـزت الأوانى الفخـارية أيضًا من تـلك الفتـرة بنحافـة جدرانهـا وحريقها الجيد، وبوجود قاعدة مسطحة أحيانًا لها. وتتفق تلك الأنماط الفخارية من إبلة مع الأنماط المعروفة للفـخار المكتشف فى مواقع أخرى داخل سوريا، وكـلاهما مختلف عن تلك الأنماط الفخارية لمواقع الساحل السـورى. كما عكست أنماط المرحلة التالية من العصر البرونزى المبكر فى دوره الرابع (ب) (EB IV B) وجود أشكال بهيـئة الفناجين والأكواب وجـرار بيضاوية الشكل بقواعـد واسعة مـسطحة. وخلال العصـر البرونزى الوسيط تمثلت نماذج فخاره فى الأشكال الجؤجؤية (Carinated Shape) وبوجود أنماط زخرفية فى هيئة خطوط متوازية. (انظر أشكال ٢٢ ـ ٢٥).

مملكة آرام دمشق والآراميون

يمثل الآراميون الموجة الثالثة من موجات الهجرات السامية القادمة من شبه الجزيرة العربيـة، وتوزعت فى مناطق بلاد الشـام من نهر الفـرات شرقا إلـى خليج العقـبة فى الغـرب. وقد ورد أول ذكر لكـلمة آرام فى نصـوص نارام سين حفـيد سـرجون الأول (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق م) وبالمثل ضمن وثائق مدينة مـارى، ووثائق مدينة أوجاريت وفى الوثائق الآشورية المبكرة من القـرن الرابع عشر ق م، مثلما أوضـحت نصوص تجيللات بليسر الـذى أشار إلى انتصاراته على الآرامـيين والأخلامو القادمين من الصـحراء وبثوا الفوضى على شواطئ الفرات(٢٥٨). (انظر خريطة ١١).

وعرفت منطقة سوريا تكوين دويلة لهم باسم آرام ـ نهريم أى آرام النهرين «فدان آرام التوراة» وقـد قضت عليها آشـور فى القرن التاسع قـبل الميلاد وكان مركـزها مدينة حران. وكـانت دويلة آرام دمشـق أكثر ممالك الآرامـيين شهـرة، وتأسست فـى القرن الحادى عـشر ق م. وكانت عاصـمتها فى مكان يسـمى «حلوبا» إلى الجنوب من زحلة الحالية. وتعددت صراعـاتها السياسية مع جيرانها خـاصة العبرانيين إلى الجنوب وتمكنوا فى فترة من الاسـتيلاء على مملكة إسرائيل حوالى ٨٧٥ ق م. كـما شاركت مملكة آرام دمشق فى التحـالف الدولى بإشراف ملكها « ين ـ هدد» ضـد آشور، وكان من بين من شاركوا فى هذا التـحالف أيضًا أخاب ملك إسرائـيل وملك حماة وبعض دويلات المدن الفينيقـية خلال تلك المعركة المدونـة باسم معركة «قرقـر» عام ٨٥٣ ق م. وعانت مملكة آرام دمشق كـثيرا من تدخل «تجـيللات بليسـر» الحربى ضدها، والذى نجح فى القـضاء عليها، وتخريب عاصمتها، وإجلاء بعض أهلها عام ٧٣٢ ق م، ولم يقم لها قائمة بعد ذلك الوقت(٢٥٩). وكما اشتهر الفـينيقيون بالتجارة البحرية، اشتـهر الآراميون بالتجارة البرية وأرسلوا قوافلهم إلى جميع الأقطار المجاورة، وتاجـروا فى الأرجوان من فينيقيا، والمطرزات والكتـان والـنحـاس والأبنوس والعـاج من أفـريقـيـا، واللؤلـؤ من الخليج العربى(٢٦٠). وقد انتشر الآرامـيون كشعب بعد أن قضت عليـهم الدول الكبرى ككيان سيـاسى. وبقـيت لغتـهم بعد سـقوط دويلاتهم من غـير أن تتـأثر باللغـات الأخرى. وانتشرت اللغة الآرامية مع كون أهل المملكة الآراميـة أهل تجارة، وسيادتها كلغة رسمية فى جميع بلاد الهلال الخصيب فى القرن الخامس ق م. وكانت لغة شبه رسمية فى فترة حكم الفرس لها بدءًا من عهد قورش، وقد استخدمها اليهود لغة فى المناطق بعد سبيهم البابلى. ولما كـانت الآرامية لغة المسيح عـيسى عليه السلام فـقد صارت اللغة الرسـمية للكنيسة السريانية، وبهذه الصفة عـاشت قرونا طويلة، وأنتجت أدبًا دينيا ضخمًا(٢٦١).

ولعل من الأهميــة بمكان الإشارة إلى أن اسم الآرامـيين بعد ظهور المسـيحيـة أصبح له مدلول وثنى غير مستحب، ومن ثم فقـد سمّى القوم أنفسهم بالاسم اليونانى «سوريين» بالنسبة للشعب و«سريانى» بالنسبة للغة تمييزًا لها عن الآراميات الوثنية واليهودية(٢٦٢).

أما عن عقائدهم فلم تكن تخـتلف كثيرا عن عقائد الشعوب السـامية الأخرى إذ كانت تقـوم على عبادة قـوى الطبيعـة وتقديسهـا. وكان إلههم الـرئيسى هو «هدد» إله الزوابع والرعد والأمطار، وانتشرت عبادته فى مناطق مـتعددة بسوريا،وتوحد مع عبادة الشـمس. ومن المحتـمل أنه أصبح فـيمـا بعـد الإله «چوبتر» الإله المعـبود فى دمـشق وبعلبك(٢٦٣). وذاعت كذلك عبادة الإله «خماتى» فى منطقة حلب منذ الألف الثانى ق م وكان لمعبده شهـرة كبيرة فى الوحى. كما تعبّد الآراميـون إلى عدد من الآلهة الثانوية بعضـها محلى والبـعض الآخر انتقلت عـبادته من الأقطار المجاورة مـثل الإله «شمس» الآشورى والإله «رشف» الفينيقى(٢٦٤).

الفصل الأخـــير

بلاد الرافدين (العراق) ملامح عامة

الفصل الأخير

بلاد الرافدين (العراق)... ملامح عامة

يقع العراق فى الجزء الجنوبى الغربى من قارة آسيا، ويتمتع بموقع إستراتيجى وتجارى ذى أهمية قصوى باعتباره ملتقى الطرق التجارية الموصلة بين البحر المتوسط والمحيط الهندى والشرق الأقصى والهند، مما كان له أثره الواضح فى حياة سكان العراق القديم واهتمامهم بالتجارة ونشاطهم فى تطوير النظم الاقتصادية المختلفة.

وتتألف أراضى العراق فى جزئها الشمالى بصفة أساسية من هضاب ومرتفعات (الأراضى المرتفعة) وفى جزئها الجنوبى من مساحات واسعة صالحة للزراعة فى جزء كبير منها. ويجرى بها أنهار عظيمة خاصة نهرى دجلة والفرات، وإن كانت فيضاناتهما مدمرة أحيانًا وفى وقت لا يتناسب والدورة الزراعية. وقد لعب نهرا دجلة والفرات دورًا محدودًا كطريق للملاحة الداخلية ووسيلة للاتصال. وينبع نهرا دجلة والفرات من هضبة أرمينيا. ويبلغ طول نهر الفرات ٢٩٦٠ كم تقريبا ويسير فى خط متعرج عبر تركيا. بينما يبلغ طول نهر دجلة والى ١٩٢٠ كم ويسير فى اتجاه جنوبى. وينفصل النهران بمجرد خروجهما من مرتفعات طوروس، وتزداد الشقة فى البعد بينهما حتى تبلغ ٣٢٠ كم من الأراضى السهلية ثم يعودا ليقتربا عند بغداد بحوالى ٣٣ كم. ويلتقى نهرى دجلة والفرات عند القرنة ١٠ كم شمالى البصرة ليكونا شط العرب الذى يصب فى مياه الخليج[٢٦٥].

ويتعرض القسم الجنوبى من البلاد لنسبة عالية كذلك من الأمطار السنوية اللازمة لنمو المحاصيل الزراعية. وقد كان لتعدد الأنهار وكثرة الأهوار والمستنقعات بالعراق أن تجزأت إلى أجزاء منفصلة عن بعضها البعض، يعتمد كل منها فى حياته على مورد مستقل مما كان له أثره فى غلبة نظام دويلات المدن السياسى عليها بما يحمل من صفات التعاون أحيانًا والتصادم العسكرى والحروب بين تلك الدويلات أحيانًا أخرى[٢٦٦]. (انظر خريطة ٣، ١٢). واتصل العراق فى جزئه الجنوبى مع الخليج العربى. وقد وردت تسميات عدة للخليج العربى فى المصادر النصية العراقية القديمة أمثال «تامتوم ابيتوم» (البحر الكبير)، «تامتوم شاميت شمش» (بحر شروق الشمس)، «تامتوم

شابليتوم» (البحر الأسفل)، و«ثار ماررات» (النهر المالح «المر») و«تامتو شامات كالدى» (بحر بلاد الكلدانيين). كما ورد فى شكل «ساينوس أرابيكوس» فى المصادر الكلاسيكية خاصة كتابات سترابون بمعنى «الخليج العربى» فى مقابل «ساينوس بير سيكوس» (الخليج الفارسى)(٢٦٧). وعكست المصادر النصية مدى أهمية هذا الطريق الملاحى للحضارة العراقية والذى تم عبره اتصالاتها المتعددة مع حضارات الخليج العربى وحضارات السند. وحفظت تلك النصوص أسماء العديد من الموارد الاقتصادية التى كان مرغوب فيها من الحضارة العراقية استقدمت عبر الخليج العربى من المكان أو من خلاله وترددت أسماء مواقع جغرافية ذات أهمية فى ارتباط بذلك، خاصة ماجان (عمان أو سهل مكران الإيرانى المقابل لها)، ملوخا (سهل السند) وتلمون (دلمون) ويعادله حضارة البحرين القديمة آنذاك(٢٦٨).

وتعددت الأسماء التى أطلقها الباحثون على العراق القديم من بينها «بلاد سومر» (ماتى شوميوم) بمعنى «أرض سيد القصب» وهو مصطلح كان يستخدم قديما للدلالة على الجزء الجنوبى من السهل الرسوبى، بلاد آكاد (آكد) «مات أكديم» الذى كان يدل على الجزء الشمالى من السهل الرسوبى، بلاد سومر وآكد؛ أو بلاد بابل Babylonia، وبلاد آشور Assyria فى القسم الشمالى من العراق القديم. ومن التسميات التى استخدمها الباحثون «بلاد ما بين النهرين» إما بصيغتها العربية أو بصيغتها الأجنبية «ميزوبوتاميا» Mesopotamia لتشمل الجزء الواقع بين نهرى دجلة والفرات حتى حدود بغداد، ثم كان للمؤرخ الرومانى بلينى الفضل فى توسيع حدود هذا المصطلح الجغرافى ليمتد إلى الخليج العربى. كما استخدم العلماء لفظ وادى الرافدين، وبلاد الرافدين، وإن كان من الأفضل استخدام مصطلح «العراق القديم» للدلالة على كل مواقع المكان وحضاراته(٢٦٩). أما العرب فقد استخدموا مصطلح «الجزيرة» فى مقابل التسمية اليونانية للدلالة على الأراضى الواقعة بين نهرى دجلة والفرات حتى حدود بغداد. كما استخدموا مصطلح «العراق» ربما مشتقًا من أصل عربى للدلالة على الأقسام الجنوبية والوسطى بمعنى «الشاطئ» أو «حرف الجبل» المشتق بدوره عن أصل فارسى بمعنى «الساحل». ومع مرور الزمن أصبح «العراق» لفظًا ومصطلحًا يشير إلى جميع الأراضى التى تمثلها اليوم الجمهورية العراقية بالتقريب(٢٧٠).

وقد وردت إشارات متفرقة فى النصوص المصرية القديمة إلى وحدات جغرافية بعينها فى العراق القديم مثلما نعلم عن «بابل» التى وردت فى شكل «ببر» مرتين فى نصوص الدولة الحديثة وحتى عهد تحوتمس الثالث. وبعد انتقال الحكم إلى الكاشيين وردت تسمية «سنجر» لمدلول يتسع جغرافيا عن مدلول كلمة بابل. كما وردت إشارات

عـدة إلى أرض مـيـتـان (متن) «الميتانيـون» فى شـكل «تا مـتن» أو أحيـانًا فى شكل «خاست متن» بمعنى برارى (أقطار) متن[٢٧١]. (انظر خريطة ٦).

ويعتـمد المؤرخـون فى تناول التاريخ العـراقى القديم السـومرى على مـصدرين أساسـيين هما الآثار والنصوص. ولقد كـان لأعمال الكشف الأثرى خـاصة فى أطلال المدن القديمة مثل أور، كيش، أوروك، وغـيرها من تلك المدن التى لعبت دورًا هامًا فى التاريخ السياسى والحضارى للعـراق القديم الفضل فى إلقاء المزيد من الضوء على تاريخ المكان. وبدأت تلك الأعمال الكشـفية بصفة أسـاسية من منتصف القرن التـاسع عشر، وشارك فيها العديد من البعثات الإنجليزية، الألمانيـة، الفرنسية، والأمريكية بصفة خاصة من متحف الجـامعة بجامعة بنـسلفانيا، والتى كان لها دورها الهـام والفعال فى الكشف عن العديد من ملامح الحضارة العراقية القديمة[٢٧٢].

وقد حفظت لنا الكثير من القوائم لأسماء الملوك من تولوا السلطة بالعراق القديم وما ورد بها من إشارات لأحداث تاريخية أحيانًا، وإن واجهت الباحث فى تاريخ العراق القديم مشكلة التعامل مع المصادر النصية، خاصة وأن القائمين على تدوين تلك القوائم لم يقصدوا بها تقديم تاريخ مترابط ومنسّق ومـفهوم عن بلادهم بقدر ما كان الهدف من ذلك هدفا دينيا أو لغرض اقـتصادى بصفة رئيسية. كـما غلب الطابع الأسطورى أحيانًا على بعض تلك النصوص[٢٧٣]. إضافة إلى ذلك يمكن القـول أن هناك مصادر أخرى ثانوية تفيدنا فى فـهم التاريخ العراقى القديم تمثلت فى نقـوش الأبنية والكتابات النذرية (Votive Inscriptions) التى تشـهد بنشـاط الملك الحاكم وعـلاقاته بالآلهـة، الوثائق الاقتصادية والإدارية لملك ما، المراسلات الملكـية لملوك أسرة أور الثالثة من أواخر الألف الثالثة ق م، المصادر النصية فى الوثائق الأجنبية للحـضارات المعاصرة للحضارة العراقية القديمة وخـاصة مـا حفظته لنا النصـوص المصرية القـديمة، كتابات المـؤرخين والرحالة الكلاسـيكيين (اليونان والرومـان) من أمثـال هيرودوت، سـترابون وديودور الصـقلى، وأخيرًا المـصادر اللاهوتية خاصـة ما حفظته إصـحاحات التوراة فى ارتبـاط مع أحداث السبى اليـهودى الأول والثانى وما قام به قـورش الفارسى لصالح اليهـود وعودتهم إلى فلسطين[٢٧٤].

وكان للجـهود اللغوية المبذولة لفـهم اللغة السومـرية وفك أسرارها دور هام فى الاسـتفادة من تلـك النصوص العراقية القـديمة خاصة جهود جـورج فردريك جروتفند G.F. Grotefend الألمانى الجنسية عام ١٨٠٤ من فك رموز ١٣٧ علامة من نص الملك الفارسى دارا، ثـم ما أكمله هنـرى رولنسون H. Rawlinson الإنجليـزى الجنسيـة عام ١٨٤٦ حينـما تمكن من فك طلاسم نص بهيسـتون، بالقـرب من كومنشاه الإيـرانية، وتمكنه من تعيين قيمـة ٢٤٦ علامة مسمارية، وكشفه لتـعدّد الأصوات وتوضيح وجود علامات مسمارية لكل منها عدة قيم أو معان وعدة أصوات[٢٧٥].

وعكست تلك الدلائل النصية والأثرية وجود ملامح حضارية متعددة بالعراق منذ فجر التاريخ وحتى نهاية العصر الحديدى فى الألف الأول ق م. وعكست مواقع العراق القديم العديد من ملامح العصر الباليوليثى (العصر الحجرى القديم) من فئوس يدوية ومباشر من الشظايا خلال هذا العصر الذى كان الإنسان الأول فيه جامعًا للطعام وقانصًا للحيوان، وذلك فى أكثر من ناحية على مقربة من السليمانية وكهف شانيدار بجبال زاجروس القديمة(٢٧٦). وخلال العصر الحجرى الوسيط (الميزوليثى) كانت مواقع بالى كورا وكهف شانيدار وزاوى شمس بين أهم مواقع تلك الحضارة الممثلة فى الصناعة القزمية Microlithic Industry والمجارش والمدقات. وعندما بدأ الإنسان فى العصر الحجرى الحديث (النيوليثى) فى الاستقرار نتيجة التغير فى المناخ واضطرار الإنسان للاستقرار حول مصادر المياه وفى احتراف مهنة الزراعة لإنتاج طعامه والاستقرار فى قرى، وما يرتبط بذلك من نشأة النظم الاجتماعية والتنظيمات الإدارية عثر على ما يمثل تلك المرحلة حضاريا فى مناطق تل جرمو حوالى ٣٥ كم شمال كركوك، تل حسونة فى لواء الموصل ثم سامراء فى لواء بغداد(٢٧٧). وعكست حضارة حلف المعاصرة تقريبا لحضارة البدارى فى صعيد مصر، والواقعة إلى الشمال من قرقميش جنوب الحدود السورية التركية نموذجًا للعصر الحجرى النحاسى (الخالكوليثى) من حضارات العراق القديم.

وقد تمثلّ خلال هذه المرحلة قدرة الإنسان على استخدام المعادن وبصفة خاصة النحاس، وشهدت تلك المرحلة الحضارية أولى المحاولات لاختراع الكتابة. وبالمثل تزامن معها أعمال ضخمة للتوسع الزراعى واختراع آلة المحراث والعربات ذات العجلات التى تجرها الحمير أو الخيول الوحشية، وبدء ظهور مفهوم دويلة المدينة كوحدة سياسية. وتطورت كذلك مساكن الأفراد من حيث الفخامة ومادة البناء، وكذلك مقابر الموتى، وعكست المادة الأثرية المكتشفة بالمثل من هذه الحضارة تماثيل صغيرة لثيران وكباش من الصلصال تعكس مفهوم الخصوبة(٢٧٨). وكانت حضارة العبيد المعاصرة تقريبا لحضارتى نقادة والعمرة والواقعة إلى الجنوب من أور (المقير حاليا) بحوالى ٧ كم من أهم حضارات ما قبل التاريخ بالعراق القديم خلال مرحلة العصر الخالكوليثى(٢٧٩). وقد انتشرت معالمها الحضارية عبر مواقع عدة بالعراق وخارجه أيضًا فى مناطق شرق المملكة العربية السعودية بصفة خاصة، مما دعا د. عبد الله المصرى إلى افتراض أصول سعودية لها هاجرت إلى جنوب العراق فى مرحلة تالية(٢٨٠). وتمثلت كذلك ملامح الحضارة العبيدية بين آثار حضارات الخليج العربى فى قطر فى مواقع خور ودعاسة وبيرأباروك، والبحرين والإمارات العربية المتحدة(٢٨١).

وتمثل حضارة الوركاء وجمدة نصر أهم حضارات مرحلة النقلة إلى العصور التاريخية أو ما يعرف اصطلاحًا بمرحلة ما قبل الكتابة Proto - Literature (٣٥٠٠ ـ ٢٨٠٠ ق م). وتقع فى منتصف المسافة من بغداد إلى البصرة فى شرق الفرات. وتوزعت أماكنها فى الوركاء والعقير وتل أسمر وتل العبيد وإشنونا. وقد توصل أهل تلك الحضارة إلى المراحل الأولى من الكتابة التصويرية، وتطورت معابدها وخاصة معبد الفسيفساء(٢٨٢).

ويمكن القول أن هناك العديد من ملامح الصلات الحضارية بين حضارتى وادى النيل والعراق القديم خلال تلك المرحلة من أواخر عصور ما قبل التاريخ، والنقلة إلى العصور التاريخية تمثلت فى العثور على الأختام الأسطوانية أحد الأنماط الفنية العراقية فى مقابر ما قبل الأسرات المصرية، وبعض مقابر الأسرة الأولى، وكذلك التأثيرات العراقية فى فنون العمارة خاصة ما يعرف «بنظام الدخلات والخارجات» المعمارى، وبعض التأثيرات الفنية على الفنون المصرية مثل رسم السفن العراقية التى ترتفع كل من قدمتها ومؤخرتها ارتفاعًا عموديًا، ورسم الحيوانات ذات الأجنحة أو الحيوانات ذات الأعناق الطويلة التى تتقاطع مع بعضها البعض مثلما انعكس فى لوحة التوحيد للملك المصرى «نعرمر ـ مينا»(٢٨٣).

وتمثل حضارة العصر السومرى أقدم حضارات العراق فى العصور التاريخية فى الألف الثالث ق م/ العصر البرونزى المبكر. وقد تعدّدت الآراء الخاصة بأصولها البشرية وموطنها الأصلى حيث ذكرت الأساطير أنهم جاءوا من الجنوب، ومنهم من ذهب إلى أنهم مهاجرون من منطقة ما تقع فيما بين شمال الهند وأفغانستان وبلوخستان عن طريق الخليج العربى وجزيرة البحرين بعد أن استقروا لبعض الوقت فى غربى إيران. فى حين يذهب رأى آخر نادى به صموئيل كرامر إلى اعتبارهم بدو قدموا مما وراء القوقاز أو بحر قزوين، أو أنهم من السند، ويربط رأى آخر بينهم وبين المكان وحضاراته، وأنهم مرحلة حضارية تلت مرحلة العبيد بصفة خاصة(٢٨٤). وغلب على النظام السياسى للحضارة السومرية نظام دويلات المدن، وكان لطبيعة المكان الجغرافية ما يجعل تلك الدويلات فى صراع سياسى وحربى متواصل أحيانًا أو دافعًا للتعاون الاقتصادى وخاصة فى مجال شئون الرى وتنظيم المياه أحيانًا أخرى(٢٨٥). وتعددت الإشارات إلى صدامات عسكرية بين دويلات المدن العراقية وخاصة لجش، كيش، أور وأوما. وقد عكست النصوص من أور جهدًا ملحوظا فى النشاط التجارى لها مع الخليج العربى، واستوردوا من هناك المعادن وبخاصة النحاس من ماجان، والأحجار الكريمة والعاج، والأخشاب الجيدة من ملوخا (السند) واللؤلؤ والتمر من البحرين (دلمون). وكانت تنقل تلك المواد على ظهر

السفن عبر مياه الخليج العربى وصولا إلى مرافئ العراق الجنوبية فى أور بصفة خاصة[٢٨٦]. وتخلف عن تلك الفترة نصوص تشريعية خاصة من دويلة كيش التى عثر بها على أقدم النصوص التشريعية. وعثر بالمثل على أقدم معاهدة دولية فى التاريخ القديم عقدت بين دويلة لجش وأوما بعد نزاع استمر بينهما لعدة أجيال. وعثر كذلك على مجموعة النصوص التشريعية المعروفة باصطلاحات «أوركاجينا» آخر حكام سلالة لجش[٢٨٧].

وانتهت المرحلة السومرية فى تاريخ العراق القديم بظهور دور سياسى فعال لمجموعات سامية الأصل عرفها التاريخ بالأكاديين (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق م). وعكست نصوص ملوكها العديد من النشاطات الداخلية والخارجية، لعلّ من بين أهمها نشاطات سرجون الأكدى، ومن بعده نارام - سين. وجاء اسم آكد أو آكاد من كلمة «آكادو» وهو الاسم الذى أطلق على مدينة آكد عاصمة الدولة الأكادية التى أسسها شروكين، ولا يعرف مكانها للآن، ولكنها ربما كانت قريبة من موقع كيش/ الأحيمر[٢٨٨]. ويرجع شروكين (سرجون) بمعنى «الملك الشرعى» بأصله إلى الأقوام السامية التى كانت قد هاجرت إلى جنوب العراق منذ الألف الرابع قبل الميلاد على أغلب الظن، وعاشت جنبا إلى جنب مع السومريين وأثرت فيهم حضارتها[٢٨٩]. وتمكن سرجون (٢٣٧١ - ٢٢٣٠ ق م) من إقامة دولة ضمت تحت نفوذها جميع الدويلات والمدن السومرية، ونجح من بعده نارام - سين من توسيع نفوذ الدولة ومد سيطرتها على المدن المجاورة سواء ضد لوجال زاجيرى ملك أوروك وضد مملكتى أور ولجش، ووصول كل منهما إلى الخليج العربى (البحر السفلى) وتدميره لأوما، واستيلائه على مارى، وجبل الصنوبر (لبنان)، وجبل الفضة (مرتفعات طوروس شمال سوريا) وعيلام من خلال الفتوحات العسكرية والتى كان هدفها الرئيسى السيطرة على الطرق التجارية ومصادر المواد الخام المرغوب فيها من حكام العراق. وامتد نفوذ الأكاديين التجارى كذلك إلى ماجان وملوخا ودلمون وبعض جزر البحر المتوسط[٢٩٠]. وقد حمل كل من سرجون الأكادى ونارام - سين لقب «شاركبرات أربعيم» بمعنى «ملك الجهات الأربع» بما يحمله من مدلولات سياسية ودينية، ومن تحكم فى جميع أرجاء العالم المعروف للعراق القديم آنذاك[٢٩١].

وعانى العراق القديم فى أواخر العصر الأكادى من عديد من مظاهر الضعف الداخلى والانشقاق ربما لتعمد ملوكها محاباة العنصر الأكدى على حساب العنصر السومرى، والإسراف فى تأكيد ملوكها لمظاهر سلطانهم الفردى، إضافة إلى الأخطار الخارجية المتمثلة فى هجمات «الجوتيين» القادمين من جبال زاجروس الإيرانية، الذين عاثوا فسادًا وتخريبًا[٢٩٢]. والصقت النصوص الأدبية العراقية صفات بغيضة بهم.

ووصفت عصرهم (٢٢٥٠ ـ ٢١٢٠ ق م) بأنه «العصر الذى نهبت فيه المعابد، وأسيئت معاملة الآلهة، وقتلت فيه النساء والأطفال». كما أشار أحد الأدباء السومريين إلى الجوتيين باعتبارهم «وحوش الجبال الذين فتكوا بالسكان، واغتصبوا النساء من أزواجهم وسلبوا الأطفال من أمهاتهم». كما أشارت نصوص «أوتوحيجال» (٢١١٦ ـ ٢١١٠ ق م) مؤسس أسرة أوروك الخامسة من مرحلة تالية، خلال ما عرف باسم عصر الأحياء السومرى خلال صراعه ضد الجوتيين على أنهم «الحية وعقرب الجبل، عدو الإله الذى نقل ملكية سومر إلى الجبال، وملأ الأرض بالشر». ولم تكن تلك الأقوام الجبلية تتمتع بقسط وافر من الحضارة. ويعتبر الباحثون الفترة التى سيطر فيها الجوتيون التى دامت أكثر من قرن من الزمان فترة مظلمة لولا نشاط بعض المدن السومرية الحضارى خلال ما عرف باسم «عصر الأحياء السومرى»(٢٩٣).

وتمثل سلالة أور الثالثة (عصر الأحياء السومرى) (٢١٥٠ ـ ٢٠٠٦ ق م) آخر أدوار السومريين السياسية وقمة ما وصلت إليه. وتزعمت مدن لجش، وخاصة من عهد ملكها جوديا، والذى تعكس تماثيله من حجر الديوريت مدى تقدم فنون النحت آنذاك(٢٩٤)، وأوروك الخامسة وأسرة أور الثالثة والذى ينسب إلى «أورنامو» أحد ملوكها صراعاته ضد آكد، وقيامه ببناء المعابد وتأمين خطوط التجارة وكذلك بعض التشريعات القانونية(٢٩٥) دور هام فى ذلك. وقد حاول ملوك هذه الفترة العمل على إعادة النظام الإمبراطورى الذى كان قد بدأ به الآكاديون، ونشطوا كذلك فى إحياء التراث السومرى الحضارى. ولكن ما لبث أن دبّ الضعف إلى هذه السلالة فى عهد آخر ملوكها «إبى ـ سين» الذى وقع تحت ضغوط القبائل الآمورية السامية القادمة من الغرب، وضغوط الأقوام العيلامية وهجماتها من الشرق، إضافة إلى ضغوط الأزمات الاقتصادية التى حلت بالبلاد(٢٩٦).

وينسب إلى تلك الفترة التاريخية من أواخر الألف الثالث ق م العثور على العديد من الوثائق التجارية والقانونية المدوّنة باللغة السومرية، وكذلك نصوص قوانين «أورنامو» السالف الإشارة إليها، وبعض المظاهر الحضارية المتمثلة فى دويلة المدينة، الجيش، الأسرة، الأدب، ومن بين أشهر نماذجه قصة أدبا، جلجميش وقصة الطوفان، وبعض المظاهر المعمارية. كما انتعشت الفنون مثلما عكسته لنا تماثيل «جوديا» حاكم لجش وغيرها من التماثيل كشاهد على مدى تقدم فنون النحت. وبالمثل تعكس مجموعة الحلىّ التى عثر عليها فى أور من عهد أسرة «أور ٣» وتزدان بها قاعات متحف الجامعة بنسلفانيا الأمريكية نموذجًا جيدًا لفنون تلك المرحلة(٢٩٧).

وقد تفاوتت مساحات دويلات المدن فى حضارة العراق القديم وتعددت مصادر اقتصادها. وكانت منازلها موزعة على جوانب شوارع رئيسية تمتد من أبواب المدينة حتى

حرم المعبد، أو على جوانب شوارع أخرى ضيقة وملتوية غير ممهدة فى معظمها. وكانت المساكن مشيّدة من الطوب اللبن، ومؤلفة من طابق واحد فى الغالب ونوافذها قليلة وأحجامها صغيرة. واستخدمت الإضاءة الصناعية بواسطة مسارج على شكل أوانى مسطحة بها زيت يطفو عليه الفتيل.

وكان المعبد أهم وأضخم مبنى داخل كل دويلة مدينة. وكان يقام على منصة مرتفعة تطور حجمها ضخامة وارتفاعًا بمرور الأعوام إلى ما يعرف بشكل الزاقورة. والتخطيط المعمارى للمعبد بسيط يتكون غالبًا من حجرة مستطيلة الشكل بأحد جوانبها كوة يوضع بها تمثال الإله. وأمام تلك الكوة مذبح للقرابين. ويوجد عدد من الحجرات بالمعبد لاستخدامات الكهنة وخدمة المعبد. أما الجزء الآخر فكان يؤجر للزراع مقابل نسبة السبع ( )، أو الثمن من المحصول السنوى[٢٩٨].

ووفقًا للمفهوم العقائدى القديم فإن كل مدينة كانت تحت رعاية إله حامى لها لدرجة أن ملكية الإله لمدينة ما تؤخذ بحرفيتها بحيث إذا تغلبت مدينة ما على أخرى، أعتُبر ذلك بمثابة انتصار لإلهها على ما جاوره[٢٩٩].

ويبدو أنه كان فى كل دويلة مدينة مجلس عام من المواطنين الأحرار رجالا ونساءً تركزت سلطة الحكم فى أيديهم. وكانت هناك حرية مسموح بها لكل مواطن لإبداء الرأى والنقاش مع الأخذ فى الاعتبار لآراء ذوى الخبرة وكبار السن. وكان يختار موظف من قبل هذا المجلس الحاكم يعرف بالسومرية بـ «إن» (En) بمعنى «سيد» كانت له أهمية دينية فى ارتباط بما يؤديه من طقوس دينية فى معبد إله المدينة، وأهمية سياسية فى مرحلة تالية بلغت مداها باعتباره الحاكم الفعلى للمدينة. وفى أواخر العصر السومرى المبكر عُرف حاكم المدينة باسم «إنسى» بمعنى «النائب أو وكيل الإله». وتلخّصت وظائفه فى تنظيم شئون الرى والزراعة. كما تلقّب الحاكم بلقب «لوجال» بمعنى «الرجل العظيم» ربما يرادف معنى «ملك». ويبدو أن لهذا اللقب أصولاً عسكرية (قائد عسكرى وقت الشدة والأخطار) ثم أصبح فى مرحلة تالية ذاته صبغة مدنية مطلقة[٣٠٠]. ويجدر بالملاحظة أن مبدأ الاختيار الإلهى كان أساسًا للملكية فى العراق القديم.

وتكون مجتمع دويلة المدينة من طبقتين أساسيتين: الأغلبية من الأحرار وأقلية من العبيد. وكان الرق نظاما معترفا به فى المدن السومرية.

وكانت الأسرة فى المجتمع العراقى القديم هى الوحدة الأساسية له وارتبطت برباط الحب والاحترام. وكان الزواج يتم فى العادة بناءً على ترتيب من والد العريس، وبمجرد أن يقدم الخطيب هدية مناسبة إلى والد العروس فإن الخطبة تعتبر رسمية. أما فيما يتعلق بالزواج ذاته فإنه كان يسجل فى عقد رسمى يكتب على لوح من طين. وكانت سلطة الزوج لا نزاع عليها، وخاصة الحق فى الطلاق ولو لأسباب واهية، وفى

حالة زوجه عاقراً يصبح له الحق فى الزواج عليها. وبلغ ذلك الحق مداه فى بيع زوجته وفاءً لدين عليه. وفى المقابل فإن للزوجة حقوقا شرعية معترفا بها تمثلت فى حق احتفاظها بما لها من عقارات منفصلة عن ملكية زوجها، ولها الحق فى الشهادة أمام المحاكم، ولها حق حرية إدارة شئون أسرتها حال غياب زوجها إن لم يكن لها ابن بكر. وتباينت عقوبة الزنا المفروضة على الرجل أو المرأة فقد صُفح عن الرجل حال ارتكابها، وأعدمت المرأة إن ثبت ارتكابها لها. أما فيما يتعلق بالأبناء فكانت لهم حرية الميراث، وإن ثبت أحيانًا وجود حالات حرمان لذلك، وبلغ التعسف المدى بحق الوالد فى بيع أبنائه رقيقًا. ويذكر أخيراً أن التبنى كان نظامًا معمولاً به فى العراق القديم وكان الأبناء بالتبنى يعاملون معاملة كريمة(٣٠١).

ويبدو أنه كان لكل دويلة مدينة جيشها النظامى المستعد دومًا للزود عن حدودها، وكانت أسلحته الأساسية مكونة من العربات الحربية والتى لم تكن معروفة فى مصر آنذاك. وتجر على أربع عجلات، وفى مرحلة تالية على عجلتين. ويقوم على جرها حماران وحشيان، أو بغلان. وكان بكل عربة سائق ومحارب. ولعل أهمية سلاح العجلات الحربية (أو ما يوازى حاليا سلاح المركبات) هو سهولة اختراق صفوف الأعداء وإحداث إرباك فى صفوفهم. كما كان الجيش يضم بين صفوفه ما يوازى سلاح المشاة متمنطقين بالسهام والحراب والخناجر الطويلة. وكانت تحركاتهم فى فيالق منظمة تنظيمًا عسكريا(٣٠٢).

وكانت الديانة العراقية ديانة طبيعية فى مجملها تخيّلوا فيها الماء والأرض فى بدء الخليقة ملتصقين معا ويحيط بهما محيط مائى عظيم. وكان أول الآلهة روح مذكر يدعى «ان» الجد الأكبر للمعبودات، وإله الماء إلهة مؤنثة تدعى «كى» إلهة الأرض نتج عن زواجهما إله ثالث هو «إنليل» إله الهواء. وتلا ذلك عديد من الآلهة سموا باسم «الأنوناكى» الخمسين العظام، والسبعة أصحاب الضمائر، ثم بدأ بعد ذلك خلق الإنسان والحيوان والنبات.

ونستمد معرفتنا عن طبيعة ومدى علم طب بلاد ما بين النهرين على نصوص طبية تتألف من كتيبات مختصرة ومجاميع وصفات طبية ألحقت برسائل وإشارات جاء ذكرها فى شرائع قانونية ونصوص دينية توضح حكمة الطبيب، وعلاقة الطبيب بالمريض، ومكانة الطبيب الاجتماعية. وحفظت لنا ألواح مكتبة نينوى وغيرها من المدن العراقية القديمة مادة كافية عن الطب العراقى القديم ومدارسه، والنصوص الطبية التى تناولت بعض الأمراض ووسائل الوقاية منها أو مداواتها(٣٠٣). وعكست المصادر المصرية إشارات إلى استعانة بعض ملوكها أحيانا بخبرة الطب والأطباء من حضارة العراق القديمة، مثلما كان يحدث أحيانا فى استعانة بعض الحكام الأجانب بخبرات

الطب والأطباء من مصر الفرعونية. ولعلّ من أشهر تلك الأمثلة ما حدث عندما أصيب الملك المصرى «أمنحتب الثالث» من ملوك الأسرة الثامنة عشر بمرض عضال فطلب من حليفه الميتانى المدعو «دوشراتا» أن يرسل إليه تمثال الإلهة عشتار لتساعد بسحرها على شفائه وتمكنها من إنجاز ذلك(٣٠٤).

ولقد شهد العراق خلال العصر البرونزى الوسيط فى الألف الثانى قبل الميلاد عودة إلى الازدهار الحضارى، وتمكنت بابل من أن تفرض نفوذها السياسى على المكان، ونشأت بذلك ما يعرف بالدولة البابلية القديمة (٢٠٠٦ ـ ١١٦٨ ق م) فى جنوب العراق على يد «سمسو ـ أبوم». وقد تمكن من بسط نفوذه على جنوب العراق ومن القضاء على سومر وآكد. وخلفه فى الحكم بعد وفاته أربعة ملوك جاء من بعدهم الملك الشهير «حمورابى» (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق م) فكان عهده بداية فترة من الازدهار فى المجالات السياسية والدينية والاقتصادية. كما ينسب إلى عهده أحد أهم التشريعات القضائية المعروفة باسم «قانون حمورابى» الشهير(٣٠٥). وقد عثر على هذا القانون مدونًا على مسلة من حجر الديورايت الأسود فى أعلاها نحت يمثل الملك البابلى يتلقى الشريعة والسلطة الملكية من الإله «شمس»، أثناء عمليات التنقيب التى كانت تقوم بها بعثة أثرية فرنسية عام ١٩٠٢ فى سوسة فى عيلام. وكان الملك العيلامى «شوتروك ناخوننه» قد استولى على المسلة ونقلها إلى عاصمته بعد دخوله بابل عام ١٢٠٠ ق م. ونقل هذا الأثر حال الكشف عنه إلى متحف اللوفر فى باريس. وأعطت مواد القانون البالغ عددها ٢٨٢ مادة صورة عن المجتمع العراقى القديم آنذاك وتقسيماته، وعن الأسر وأوضاعها، وقضايا التجنيد والجيش وغيرها من الموضوعات(٣٠٦). كما عثر بالمثل على آلاف النصوص المسمارية الأخرى المتعلقة بالنظم والقواعد القانونية كالمراسيم الملكية والوثائق والعقود التجارية والإدارية والشخصية والرسائل الملكية والخاصة(٣٠٧). كما تميّز العهد البابلى القديم بسيادة العناصر السامية، ودخول كثير من المعتقدات الدينية والنظم والقواعد القانونية السامية الغربية إلى البلاد، وخاصة ما يتعلق بالعقوبات(٣٠٨).

وانتهت فترة العهد البابلى القديم بسقوط مدينة بابل العاصمة فى عهد آخر ملوكها «سموديتانا» عام ١٥٩٧ ق م على يد ضربات الجيش الحيثى الغازى (من بلاد الأناضول) الذى اجتاح البلاد. وما لبثت أن انسحبت تلك القوات الأجنبية لظروف البلاط الحيثى الداخلية(٣٠٩).

وتزامن مع ذلك خلال النصف الثانى من الألف الثانى قبل الميلاد فيما يعرف بالعصر البرونزى الحديث (المتأخر) أن تعرّض العراق القديم إلى موجات بشرية هندوأوربية قادمة من أواسط آسيا استقر بعضها فى شمال ووسط العراق، وعرفتها النصوص باسم الحوريين أو الكاسيين والميتانيين(٣١٠).

وكان الكاسيون كأسلافهم الجوتيين من الأقوام الجبلية التى لم تكن تتمتع بحضارة متقدمة بل إنها اقتبست الحضارة البابلية. وشهدت هذه الفترة حركة استنساخ بعض النصوص الأدبية القديمة، وبالمثل انتشار الخط المسمارى واللغة الآكدية خارج حدود البلاد حتى غدت اللغة الآكدية فى القرن الرابع عشر ق م اللغة الدبلوماسية الدولية يتفاهم بواسطتها حكام وملوك الشرق الأدنى القديم من وادى النيل حتى آسيا الصغرى، مثلما نعرف من أحد نماذجه المعروف باسم «رسائل تل العمارنة»[٣١١].

وعكست نصوص تلك المرحلة العراقية منها أو المصرية القديمة تصادمًا عسكريًا وسياسيًا لفراعنة الأسرة الثامنة عشر ضد العراق القديم والتى عرفتها النصوص المصرية باسم «نهارين» أو «نهرين» أرض النهرين، أو تحت اسم أرض متن أو برارى (أقطار) ميتان. وتعددت أطوار العلاقات بين مصر والعراق القديم من الصراع العسكرى خلال النصف الأول من الأسرة الثامنة عشر إلى التصالح والعلاقات السياسية الودّية التى دعمتها أحيانًا عمليات المصاهرة السياسية (الزواج الدبلوماسى) لأميرات عراقيات من الحاكم المصرى ربما لمواجهة العدو المشترك المتمثل فى القوة السياسية والعسكرية المتزايدة للحيثيين فى بلاد الأناضول القديم[٣١٢]. (انظر خريطة ١٣).

وبلغ العراق قمة مجده السياسى والعسكرى خلال الألف الأول ق م/ العصر الحديدى خلال ما عرف باسم العصر الآشورى الحديث وما يليه فى العصر البابلى الأخير (العصر الكلدانى).

والآشوريون قوم من الأقوام السامية التى قدمت إلى العراق القديم منذ فجر الألف الثالث ق م، ومروا فى عصورهم الأولى بفترات كانوا فيها خاضعين سياسيا وحضاريا للدول والممالك فى جنوب العراق فى العصر الآكادى وسلالة أور الثالثة. ويقسم الباحثون التاريخ الآشورى إلى ثلاث عهود رئيسية: العهد القديم من ٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق م، ويقابل تقريبًا العهد البابلى القديم، العهد الآشورى الوسيط من ١٥٠٠ ق م تقريبًا حتى بداية حكم الملك «أدد - نرارى» عام ٩١١ ق م. والعهد الآشورى الحديث الذى يبدأ بحكم أدد - نيرارى وحتى سقوط العاصمة السياسية نينوى عام ٦١٢ ق م.

وتوسعت العراق ضد جيرانها وخضعت لسيطرتها حضارات بلاد الشام ووادى النيل. ومارس حكامها سياسة من العنف والقسوة مع أعدائها لم تعرفها حضارات المنطقة من قبل. ومارس حكامها تنفيذ سياسة التهجير لبعض سكان المناطق المغلوبة، لعلّ من أشهر نماذجها ما حدث لليهود من نفى وتهجير إلى العراق. كما كان لملوك العراق القديم خلال العصرين الآشورى الحديث والكلدانى دور توسعى آخر فى مناطق

الخليج العربى وأطراف شمال الجزيرة العربية. ووردت أقدم إشارة فى النصوص الآشورية إلى كلمة «عرب» التى أصبحت علمًا على شبه الجزيرة العربية أهلها وموقعا جغرافيا ـ(٣١٣). وتعددت بالمثل الإشارات إلى أسماء ملوك وبعض ملكات حكمن بعض مناطق شمال الجزيرة العربية، وكان لهم صدامات عسكرية ضد النفوذ الآشورى كان دافعه النهائى تحقيق أغراض اقتصادية بحتة بهدف تأمين خطوط الاتصالات التجارية وتأمين الحصول على ما تبغى آشور من موارد اقتصادية(٣١٤).

ومن بين أهم ملوك هذه الفترة آشور دان الثانى (٩٣٤ ـ ٩١٢ ق م) وآشور ناصربال الثانى، والتى تعكس نصوصه قسوة حربية فى التعامل مع الأعداء والقيام بالتمثيل بجثث القتلى وقطع الأنوف والآذان، وشلما نصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق م) الذى دارت فى عهده معركة «قرقر» الشهيرة حيث واجه خلالها حلفًا عسكريا ضخما من اثنى عشر ملكا بقيادة ملك حماة ودمشق والتى حفظت نصوصها على نصب يعرف بالمسلة السوداء ضمن محتويات المتحف البريطانى حاليا، والتى ورد بها أول إشارة إلى «أريبو ـ عريبو» فى ارتباط بعرب الجزيرة العربية(٣١٥). كما كان من بين أهم ملوكها أيضًا تجيلات بليسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق م) والذى ينسب إليه فضل السيادة على أمورو ودويلات المدن فى فينيقيا وإسرائيل وبالمثل «زبيبة» ملكة العرب، وكذلك تنفيذه لسياسة الترحيل والتهجير البشرية لأهالى الأقاليم المهزومة.

وكذلك سرجون الثانى (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق م) وسنخريت الذى ينسب له تصادمه مع الجيش المصرى المساند للتمرد على السلطة الآشورية فى بلاد الشام، مما كان دافعًا إلى التقدم باتجاه مصر لاحتلالها ووصوله بالفعل إلى مدينة الفرما على بعد ٤٥ كم شرق قناة السويس الحالية، وإن اضطر إلى العودة بدون تنفيذ ذلك ربما لتفشّى وباء الطاعون بين جنوده(٣١٦).

وفى عهد أوسر حدون ٦٨١ ـ ٦٦٩ ق م واجه أحداث التمرد فى مدن فينيقيا وخاصة صيدا، وواصل تقدمه إلى العريش المصرية ونجح بمساندة القبائل البدوية فى سيناء من عبور الصحراء وتقدمه إلى دلتا مصر وحتى منف، مما اضطر معه طهرقا حاكم مصر آنذاك من أصل كوشى (النوبة) إلى الهروب خارج مصر إلى النوبة وإن سقطت زوجته وأطفاله أسرى فى يد الملك الآشورى. وقام بعد ذلك بتنظيم أمور السلطة على مصر ومع عودته إلى العراق عاد طهرقا شمالا وطرد الحاميات الآشورية مما كان دافعًا لعودة الجيوش الآشورية ولكن فى عهد «آشور بانيبال» (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق م) إلى مصر، ومعها هرب طهرقا جنوبًا إلى نباتا على الجندل الرابع من نهر النيل. وبمجرد عودة

الحاكم العراقى عاد التمرد المصرى ولكن بقيادة «تانوت آمون»، خليفة طهرقا آنذاك مما كان له دافعًا للعودة إلى مصر وإلحاق الكثير من الدمار بها. وظل الوضع هكذا حتى تمكن أبسماتيك الأول مؤسس الأسرة الصاوية، السادسة والعشرين من تحرير مصر من السيطرة الآشورية. وكان عهد آشور بانيبال آخر عهود آشور من القوة والسيطرة(٣١٧).

ولعب الجيش الآشورى خلال تلك المرحلة دورا هاما فى المجد الإمبراطورى للحضارة العراقية فى الألف الأول ق م. وتألف من سلاح المشاة المسلحين بالدروع والرماح والسيوف والأقواس وسلاح الفرسان(٣١٨). وقد شارك فى تكوين الجيش الآشورى كذلك قوات من الدول التابعة لآشور والحليفة معها. ولعب سلاح الهندسة دورا هاما فى شق الطرق وبناء الجسور وتجهيز وسائل الحصار ونقب الأسوار المحصنة وتسلقها، ونصب السلالم وتعليق الحبال. كما كان للجيش الآشورى عيونه واستخباراته. ولجأ الجيش الآشورى إلى سياسة «الأرض المحروقة» لإرغام العدو، ولكنهم كانوا يلتفون أحيانًا حول عدوهم عندما لا يستطيعون مجابهته(٣١٩).

وينسب كذلك إلى الآشوريين دورهم فى تنظيم البريد والاتصالات الإدارية والحربية واستخدام الدواب وخاصة الخيل والجمال فى ذلك(٣٢٠). كما يرجع إلى تلك الفترة نماذج فنية متعددة لعلّ من بين أهمها ما بدأه الآشوريون من زخرفة جدران قصورهم بنقش بارز بدءًا من عهد «آشور ناصربال» الثانى فى عاصمته الجديدة نمرود (كالح) على الضفة اليسرى من نهر دجلة حاليا. وتظهر الموضوعات المختارة اهتماما بمشاهدة إعلان الولاء الاحتفالية وتصوير مطول عن الإنجازات الملكية، وبمشاهد مفصلة عن الفتوحات العسكرية وقمع أعمال التمرد فى الأقاليم الخاضعة للنفوذ الآشورى(٣٢١).

ولم تدم الإمبراطورية البابلية الحديثة (الكلدانية) التى تلت العصر الآشورى الحديث طويلا (٦٠٩ ـ ٥٣٩ ق م) فقد سارت فى طريق الانهيار السريع بعد موت نبوخذ نصر (٦٠٤ ـ ٥٦٢ ق م). وكان «نبونيد» آخر ملوكها (٥٥٥ ـ ٥٣٩ ق م). وكان نبونيد شخصية غريبة ومتميزة فى آن واحد حكم بابل فى ظروف يتهددها الأخطار من كل حدب وصوب داخليا فى صراعه ضد الكهنة، وخارجيا من النفوذ الإيرانى المتزايد فى العهد الأخمينى/ الفارسى. ونجح قورش الفارسى عام ٥٣٩ ق م من دعم توسعه العسكرى والسياسى غربا ضد العراق ثم ما يليه إلى الغرب والجنوب الغربى وليشيد إمبراطورية تصل إلى وادى النيل ومنهيا بذلك آخر أدوار التاريخ العراقى القديم وآخر حضارته المحلية(٣٢٢).

هوامش الكتاب:

(١) مهران (محمد بيومى)، **مصر والشرق الأدنى القديم**، الجزء الثامن: **بلاد الشام**، الإسكندرية: ١٩٩٠، ص ١١.

(٢) مهران، **المرجع السابق**، ص ١١.

(٣) سليمان (عامر)، **القانون فى العراق القديم**، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد: ١٩٨٧، ص ٢٢.

(٤) سليمان، **المرجع السابق**، ص ٢٢.

(٥) سليمان، **المرجع السابق**، ص ٢٢.

(٦) صالح (عبد العزيز)، **الشرق الأدنى القديم. الجزء الأول: مصر والعراق**. الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٠، ص ٤٣٣.

(٧) البدر (سليمان)، «الصلات الاقتصادية والسياسية لمنطقة الخليج العربى فى أواخر الألف الثالث ق م» **مجلة كلية الآداب والتربية**، جامعة الكويت، العدد ٩ (يونيو ١٩٧٦)، ص ٢٨ ـ ٢٩، خريطة ص ٣٦.

(٨) صالح، **المرجع السابق**، ص ٩٩

(٩) شاهين (علاء الدين) التاريخ السياسى والحضارى لمصر الفرعونية، القاهرة ١٩٩٦، ص ٣٧ ـ ٣٩.

(١٠) شاهين (علاء الدين)، «المسح الأثرى والحفائر فى سيناء خلال القرن العشرين: «الهدف والمضمون» ، مجلة إبداع تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٣ (فبراير ١٩٩٥)، ص ٣٨ ـ ٤٥؛ خريطة (٥).

(١١) شاهين (علاء الدين) «أحداث تاريخية فى الأدب المصرى القديم» مجلة المؤرخ العربى، العدد ٥ سنة ١٩٩٧، ص٩ ـ ٣٢.

(١٢) شاهين، المرجع السابق، ص٩ ـ ٣٢؛ حسن (سليم)، الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة، الجزء الأول: فى القصص والحكم والتأملات والرسائل، مطبوعات كتاب اليوم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٠، ص ٤٤ ـ ٥٦، ص ١٧٣ ـ ١٨٠.

(13) **Oxford Bible Atlas,** edited by H.G. May, 3rd Edition, Oxford University Press:1984, p. 48.

(14) **Oxford Bible Atlas,** p. 48.

(15) **Oxford Bible Atlas,** p. 48.

هوامش الكتاب

(16) Aharoni, Y. .**The Land Of The Bible: A Historical Geography,** Philadelphia: 1979, P. 22; map no. 2.

(17) **Oxford Bible Atlas,** p. 48.

(18) **Oxford Bible Atlas,** p. 48.

(١٩) صالح (حسن عبد القادر)، بحث عن حوض نهر الأردن (دراسة إقليمية). رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة: ١٩٦٤،(غير منشورة)، ص٩١.

(٢٠) صالح، المرجع السابق، ص ٩١.

(21) Aharoni, Op. cit, P. 36.

(22) **Oxford Bible Atlas,** p. 49.

(23) Kenyon, K. **Archaeology in The Holy Land**, New York: 1979, p.19.

(٢٤) الناضورى (رشيد)، **جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا**، الكتاب الأول، بيروت: ١٩٦٧، ١١٣.

(25) Kenyon, **Op. cit.**, P. 20.

(26) Mellart, J. **Earliest Civilization of The Near East,** London: 1965, p. 23.

(27) Kenyon, **Op. cit.**, P. 20.

(٢٨) الناضورى، **المرجع السابق**، ص ١١٤.

(29) Kenyon, **Op. cit.**, P. 20.

(٣٠) الناضورى، **المرجع السابق**، ص ١١٦.

(٣١) الناضورى، **المرجع السابق**، ص ١١٦؛ سليم (أحمد أمين)، **إيران منذ أقدم العصور وحتى أواسط الألف الثالث ق م**، بيروت: ١٩٨٨، ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٣٢) الناضورى، **المرجع السابق**، ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٣٣) الناضورى، **المرجع السابق**، ص ١٣٧؛ سليم (أحمد أمين)، **فى تاريخ الشرق الأدنى القديم. مصر ـ سورية القديمة**، دار النهضة العربية: ١٩٨٩، ص ٢٥٥.

(34) Keuyon, **Op. cit.**, pp. 52 - 53; fig.8.

(٣٥) الناضورى، المرجع السابق، ص ١٧٦، أحمد سليم، المرجع السابق، ص٢٦٣.

(36) Mellart, J. **The Chalcholithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia**, Beirut: 1960, P. 35.

(37) Amiran, R. **Ancient Pottery of The Holy Land**, Massada: 1969, P.28.

(38) Amiran, **Op. cit**, P. 23, Pls. 2 - 3.

(٣٩) أولبرايت (وليم ف.)، آثار فلسطين، ترجمة زكى إسكندر ومحمد عبد القادر محمد، ومراجعة د. سعاد ماهر. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة: ١٩٧١، ص ٧٤.

(40) Archaeological Encyclopedia of the Holy Land, Edited by, A. Negev, Jerusalem: 1972, P. 248; Amiran, Op. cit, p. 43; pp. 1 - 9.

(41) Archaeological Encyclopedia, P. 249.

(42) Archaeological Encyclopedia, P. 249.

(43) Shaheen, Alaa el - din "EB III - MBI Axe in The Egyptian Private Middle Kingdom Tombs: An Assessment," Gottinger Miszellen 117 / 118 (1990),pp. 253 - 217; figs. 11 - 4.

(44) Kenyon, Op. cit., P. 119

(45) Lichtheim, M. Ancient Egyptian Literature, Y, I: The Old and Middle Kingdoms, University of California Press: 1973, PP. 18 - 23.

(٤٦) شاهين (علاء الدين)، مدخل إلى آثار المملكة الأردنية وحتى نهاية العصر الحديدى الثانى» مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب جامعة المنيا، المجلد لأول، العدد الثانى، (١٩٩١)، ص ١٦.

(47) Kenyon, Op.cit., P. 119.

(٤٨) شاهين، المرجع السابق، خريطة رقم (٢)، Dever, W. G. "From The End Of The Early Bronze Age To The Beginning oOf The Middle Bronze," Biblical Archaeology Today. (1985), P. 114; Fig. 10.

(49) Shaheen, A. "Apossible Synchronization Of EBIVC Ceramic Ware In Syro - Palestinian and Egyptian Sites" Journal of **The Faculty Archaeology** V (1991), PP. 107 - 109; Figs. 1 - 2.

(50) Kenyan. Op.cit., PP. 120 - 22; figs. 37 - 38.

(51) Kenyon, Op. cit, PP. 121 - 22; Figs. 28, 1 - 5; 35, Pls. 46 - 47.

(٥٢) فخرى (أحمد)، مصر الفرعونية. موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ قبل الميلاد. الطبعة الخامسة، القاهرة: ١٩٨١، ص ٢٣٥؛ السعدى (حسن محمد) **المعالم الرئيسية لتاريخ مصر الفرعونية**، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية: ١٩٩٥، ص ٢١١.

(53) Posner, G. "Les Asiatiques en Egypte," Syria 34 (1957), pp. 145 - 53; Kemp, p. **Ancient Egypt**: A Social History, Cambridge University Press: 1983, P. 155.

(54) Yadin, Y. "Warefare In The Second Millennium B.C.," The World History Of The Jewish People" Chapter 7. Israel, 1961, P. 130.

(55) Weinstein, J. "The Egyptian Empire In Palestine: A Reassessment," BASOR 241 (1981), P.6; Vandersleyen, Les Guerres d'Ahmosis Foundateur de La XVIIE dynasti MREI, 1971, p.41.

(٥٦) انظر علاء شاهين، **ملامح تاريخ مصر القديمة**، الكتاب الأول من سلسلة الثقافة التاريخية للناشئة، إصدار مركز الدراسات التاريخية بجامعة القاهرة، دار الفكر العربى، القاهرة: ١٩٩٨.

(٥٧) أولبرايت، **المرجع السابق**، ص ١٠٢.

(58) Kenyon, Op. cit., pp. 212 - 32; Fig. 63; figs. 67 - 68

(٥٩) أولبرايت، **المرجع السابق**، ص ١١٠.

(٦٠) شاهين، «المسح الأثرى والحفائر فى سيناء خلال القرن العشرين: الهدف والمضمون»، ص٣٨ ـ ٤٥.

(٦١) راجع حسن أحمد محمود، «الساميون القدماء: العبرانيون، الآراميون الفينيقيون» **حضارة مصر والشرق القديم**، تأليف إبراهيم رزقانة وآخرون، القاهرة (بدون تاريخ)، ص ٣٦١ ـ ٣٦٦؛ مهران (محمد بيومى)، **إسرائيل**. الجزء السابع والثامن من سلسلة دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم. لمزيد من التفصيلات..

(٦٢) شاهين، «مدخل إلى آثار المملكة الأردنية وحتى نهاية العصر الحديدى الثانى»، ص ١١.

(٦٣) شاهين، **المرجع السابق**، ص ١٢.

(٦٤) أبو طالب (محمود) آثار الأردن وفلسطين فى العصور القديمة. أضواء جديدة (١٩٥٢ - ١٩٧٧)، وزارة الثقافة والشباب، المطبعة الأردنية: ١٩٧٨، ص ٣٤ - ٣٥.

(٦٥) أبو طالب، المرجع السابق، ص ٣٩.

(٦٦) أبو طالب، المرجع السابق، ص ٤٠ - ٤٣.

(67) Sauer, J. "Prospects for Archaelogy in Jordan and syria," **Biblical Archaeologist** 45 (Spring 1982), P. 80; R. Thomas Schaub", The Origin of The Early Bronze Walled Town Culture of Jordan "**Studies in The History and Archaeologyg**" **I.** Edited By Dr. Adnan Hadidi, Amman, 1982, P. 73.

(68) **Arcbaeolgical Encylopedia of The Holy Land**, p. 30.

(69) Schaub, **Op. cit.**, p. 73.

(70) Sauer, **Op. Cit**, P. 80' W. E. Rast "Bronze Age Cities along The Dead Sea", **Archaeology** 40, 1 (1987), pp. 43 - 49.

(71) **Archaeological ExcyclOPedia y The Holy Land**, P. 30.

(72) Saver, J. "Syro - Palestinian Archaeology. History and Biblical Studies", **Biblical Archaeologist** 45 (Fall 1985), P. 207.

(73) Raste, **Op. cit.**, P. 47.

(74) Raste, **Op. cit.**, P. 47.

(75) Sauer, J. "Ammon, Moab and Edom, "**Biblical Archaeology To-day**" Israel Exploration Society, 1985, P. 208; Dever, Op. cit., P. 123; Fig. 1; Rast, **Op. cit.**, P. 48.

(76) Raste, **Op. cit.**, P. 48.

(77) Rast, **Op. cit.**, P. 48; Shaheen, "A Possible Cynchronization of EB IV C Ceramic", PP. 107 - 109; Figs. 1 - 2.

(78) Smith, R. H. **Pella of The Decapolis.** Vol. 1: **The 1967 Season of The College of Wooster Expedition To Pella**. The College of Wooster, 1973, Pl: 27: 496 and 482; Pl. 88 A; 982; Sauer, **Op. cit.**, P. 209.

(79) Gerstenblith, P. **The Levant at The Beginning of The Middle Bronze Age. Dissertation Series 5** (1983), P. 49; A. W. MC - Nicoll, J. B. Hennessy A. G. Walmsley, T. F. Potts, "A Third Season of Excavations at Pella, 1980 / 81, **ADAJ** 26 (1982), PP. 243 - 45; Feg. 3 - 5.

(80) Gerstenblith, **Op. cit.**, P. 49; Loud, **Megiddo II: Season of 1935 - 39 (Text Sand Plates), OIP** 62 (1948), Pls. 12: 20 and 22 and 13: 1 - 2.

(81) Sauer, "Prospectsl/ for Archaoelogy", P. 81.

(٨٢) أبو طالب، المرجع السابق، ص٦٦

Yadin, Op.cit., PP.150-55; Figs.15 - 17;

(٨٣) أبو طالب، المرجع السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

(84) Sauer, "**Ammon, Moab and Edom**", **P. 209.**

(85) Dajuni, A. K. "A Hyksos Tomb at Kalandia", **ADAJ** 2, PP. 75 - 77.

(86) Sauer, **Op. cit.**, P. 209.

(87) Shaheen, A. **Historical Significance of Selected Scenes Involving Asian and Nubian People**, Ph. D. Dissertation, University of Pennsylvania, 1988, Chapter one: Review of The Campaigns of The XVIII the Dynasty in Syro - Palestine and Nubia, PP. 1 - 66.

(88) Redford, D.B. "A Bronze Age Itinerary in Transjordan (Nos. 89 - 101) of Thutmose III `s List of Asiatic Toponyms", **SSEA(J)** 22.2 (March 1982), PP. 55 - 74.

(89) Sauer, **Op. cit.**, P. 206; G. Wright, **Biblical Archaelogy**, The Westminster Press: 1957, P. 73.

(90) Leonard, A. "Katret Es - Samra ? "**BASOR** 234 (1979), PP. 57 - 59; Fig. 8; Sauer, **Op. cit.**, P. 209.

(91) Sauer, Op. cit., P. 209; J.B. Pritchard, The **Cemetry at Tell Es - Saidyeh, Jordan UMM** 41 (1980), Fig. 11.

(92) Sauer, **Op. cit.**, PP. 209 - 210.

(93) Nicolaon, K. "The Mycenaeans in The East", **Studies in The History and Archaelogy of Jordan**, I. Edited by Dr. Adnan Hadidi, Amman: 1982, PP. 121 - 122; Map No. 2; Figs. 4 - 5.

(94) Parr, P. "Contacts between North West Arabia and Jordan, in The Late Bronze and Iron Age", **Studies in The History and Archaelogy of Jordan I**, Edited by Dr. Adnan Hadidi, Amman: 1982, P. 129.

(95) Saver, **Op. cit.**, PP. 209 - 210.

(٩٦) شاهين، المرجع السابق، ص ٢٣

(٩٧) فخرى (أحمد) بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٥٨، ص ٧٢.

(98) Smith, R. H. "The 1980 Season at Pella of The Decapolis", **BASOR** 243 (1981), P. 208; Fig. 5.

(99) **Archaeological Encyclopedia of The Holly Land**, P. 30.

(100) Sauer, "Syro - Palestine Archaeology", P. 208; Mazar, M., "The Israelite Settlement in Canoan in The Light of Archaelogical Excavatious" **Biblical Archaeology Today**. Israel Explortion Society, Jerusalem: 1985, P. 68.

(١٠١) شاهين، المرجع السابق، ص ٢٥

(١٠٢) شاهين، المرجع السابق، ص ٢٦.

(103) **Archaeological Encyclopedia of The Holy Land**, P. 27.

(104) Ahroni, **Op. cit.**, P. 38; Wright, **Op. cit.**, P. 86.

(١٠٥) مهران، المرجع السابق، ص ٢٢٥

(106) Bernhardt, Karl - Heinz, "The Political Situation in The East of Jordan during The Time of King Mesha, **Studies in The History and Archaeology of Jordan** I. Edited by Dr. Adnan Hadidi, Amman: 1982, PP. 163 - 164.

(107) Oppenheim, A. L. "Assyrian and Babylonian Historical Texts, "**ANET, I (Texts), Princeton University Press**: 1958, P. 193.

(108) Archaeological Encyclopedia of The Holy Land, PP. 22 - 23.

(١٠٩) مهران، المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(١١٠) شاهين، المرجع السابق، ص ٢٨.

(111) Coote, R. "Tell Siran Bottle Inscription," BASOR 240, (1980), p. 93.

(112) Thompson, H. "The Tell Siran Bottle: An Additional Note, **BASOR** 249 (1983).

(113) Herr, L. S. "The Formal Scripts of Iron Age Transjordan" **BASOR** 238 (1980), P. 21; Fig. 1.

(١١٤) شاهين، المرجع السابق، ص ٣٠.

(١١٥) شاهين، المرجع السابق، ص ٣٠.

(١١٦) اولبرايت، المرجع السابق، ص ٨٢.

(117) **Archaeological Encyclopedia of The Holly Land,** P. 212.

(118) Sauer, **Op. cit.,** P. 211.

(١١٩) شاهين، المرجع السابق، ص ٣١.

(120) Bernhardt. **Op. cit.,** P. 165.

(121) **Archaeological Encyclopedia of The Holy Land,** P. 211; Oppenheim, **Op. cit.,** P. 198.

(122) **Archaeological Encyclopedia of The Holy Land,** P. 212.

(١٢٣) مهـران، المرجع السـابق، ص ٢٢٣ م'لحوظة ٣٧، Herr, **Op. cit.,** P. 26; Fig.2;

(124) Albright, W. F. "The Moabite Stone", **ANET** I, Princeton University Press: 1958, PP. 209 - 210; Fig. 74.

(١٢٥) أبو طالب، المرجع السابق، ص ٨٣

Murphy, P. "A Fragment of Moabite Inscription", **BASOR** 225 (1952), PP. 20 - 23;

(126) Aharoni, Op. cit., P. 40; Beit - Arieh, "A New Light on The Edomites", **Biblical Archaeologist Review** 14, 2 (March - April 1988), P. 30.

(١٢٧) مهران، المرجع السابق، ص ٢١٩، ويفرسكى (جاسك)، «بتـرا .. العاصمة الحمراء» رسالة اليونسكو (يناير ١٩٩٢)، ص ٤٢ ـ ٤٤.

(١٢٨) شاهين، المرجع السابق، ص٣٣.

(129) **Achaeological Encylopedia of The Holy Land**, P. 95.

(130) Dayton, J.E. "Midianite and Edomite Pottery",**Proceedings of the Fifth Siminar for Arabian Studies**, London: 1972, P.32

(131) Beit - Arieh, **Op. cit.**, P.30; Wright, **Op. cit.**, P. 72.

(١٣٢) صـالح، الشـرق الأدنى القـديم، ص ٢٤٩؛ أبو طالب، المرجع السـابق، ص٨٤.

(133) Beit - Arieh, **Op. cit.**, P. 34.

(١٣٤) مهران، المرجع السابق، ص ٢٢١.

(135) Beit - Arieh, **Op. cit**, P. 34.

(136) Herr, **Op. cit.**, P. 28; Kig. 3; Beit - arieh, **Op. cit**, pp. 34 - 35; Picture on p. 34.

(137) Herr, **Op. cit.**, p. 28.

(١٣٨) محمود (حسن أحمد)، «الساميون القدماء: العبرانيون، الآراميون، الفينيقيون»، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(١٣٩) مهران، المرجع السابق، ص ٨٣.

(١٤٠) مهران، المرجع السابق، ص ٨٣.

(١٤١) محمود، المرجع السابق، ص ٣٨٨؛ كونتينو (ج)، الحضارة الفـينيقية، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة (بدون تاريخ)، ص ٣٩١.

(١٤٢) محمود، المرجع السابق، حتى (فيليب) تاريخ سـورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت: ١٩٥٨، ص ١٠٢.

(١٤٣) حتى، المرجع السابق، ص ١٠٧٠.

(144) Pritchard, J. B. "The Phoenicians In Their Home Land", Expedition. (Fall 1971), pp. 14 - 23.

(١٤٥) مهران، المرجع السابق، ص ٩٥ ـ ٩٦.

(١٤٦) مهران، المرجع السابق، ص١٠٧، سليم، المرجع السابق ص٢٩٠، ٢٩٢.

(١٤٧) مهران، المرجع السابق، ص ١١٠؛ شاهين، التاريخ السياسى والحضارى لمصر الفرعونية، ص ٣٧؛ فخرى، مصر الفرعونية، ص ١٠٠

(١٤٨) صالح، المرجع السابق، ص ٨٩؛ سليم، المرجع السابق، ص ٢٩٢

Montet, p. Byblos et L'Egypte, Paris 1928, pp. 285 - 86.

(١٤٩) فخرى، المرجع السابق، ص ٢٢٨؛ مهران المرجع السابق، ص ١١٩.

(١٥٠) مهران، المرجع السابق، ص ١٢٤.

(١٥١) مهران، المرجع السابق، ص ١٢٩؛ سليم، المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(١٥٢) مهران، المرجع السابق، ص ٩٧ ـ ١٠١ Pritchard, Op. cit; P. 18;

(١٥٣) حتى، المرجع السابق، ص ٩١؛ مهران، المرجع السابق، ص ١٠١. سليم، المرجع السابق، ص ٢٩٣

(١٥٤) فخرى (أحمد). دراسات فى تاريخ الشرق القديم. مصر والعراق ـ سوريا اليمن ـ إيران. مختارات من الوثائق التاريخية، القاهرة: ١٩٨٤، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

(١٥٥) فخرى، المرجع السابق، ص ١٠٩.

(١٥٦) مهران، المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(١٥٧) مهران، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(١٥٨) مهران، المرجع السابق، ص ١٠١.

(١٥٩) البدر، المرجع السابق، ص ٣٠.

(160) Shaheen, Historical Significance of Selected Scenes Involving Western Asiatics and Nubianus in The Private Theban Tomos of The XVlll Th Dynasty, pp. 182 - 83; Plan no. 13 on Page 430.

(١٦١) مهران، المرجع السابق، ص ١٧٨، سليم، المرجع السابق ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(١٦٢) فخرى، المرجع السابق، ص ١١٤؛ مهران، المرجع السابق، ص ١٨٨.

(١٦٣) مهران، المرجع السابق، ص١٨٨.

(١٦٤) فخرى، المرجع السابق، ص ١١٤؛ الفرجاوى (أحمد)، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقى وقرطاجة، المعهد الوطنى للتراث بتونس، تونس: ١٩٩٣، ص١١.

(١٦٥) مهران، المرجع السابق، ص ١٨٥.

(١٦٦) فخرى، المرجع السابق، ص١١٥ـ ١١٦؛ مهران، المرجع السابق، ص١٨٧؛ سليم المرجع السابق، ص٢٩٥.

(١٦٧) مهران المرجع السابق، ص ١٨١.

(١٦٨) فخرى، المرجع السابق، ص ١١٦؛ محمود، المرجع السابق، ص ٣٩٥.

(١٦٩) فخرى، المرجع السابق، ص ١١٧؛ عصفور (محمد أبو المحاسن)، معالم حضارات الشرق الأدنى القديم. دار النهضة العربية ببيروت: ١٩٨٧، ص ١٦٤.

(١٧٠) حتى، المرجع السابق، ص ١٢٠ ـ ١٢١؛ فخرى، المرجع السابق، ص ١١٨

(١٧١) فخرى، المرجع السابق، ص ١١٨.

(١٧٢) حتى، المرجع السابق، ص ١٠٦.

(١٧٣) مهران، المرجع السابق، ص ١٧٧؛ محمود، المرجع السابق، ص ٣٩٣.

(١٧٤) حتى، المرجع السابق، ص ١٠٨؛ مهران، المرجع السابق، ص ١٧٩؛ محمود، المرجع السابق، ص٣٩٤.

(١٧٥) فخرى، المرجع السابق، ص ١١٩؛ محمود، المرجع السابق، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨؛ عصفور، المرجع السابق، ص ١٥٩.

(١٧٦) فخرى، المرجع السابق، ص ١١٩، سليم، المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(١٧٧) حتى، المرجع السابق، ص ٩٩؛ عصفور، المرجع السابق، ص ١٥٩.

(١٧٨) عصفور، المرجع السابق، ص ١٦١ ـ ١٦٢؛ فخرى، المرجع السابق، ص ١١٩

(١٧٩) محمود، المرجع السابق، ص ٤٠٥؛ عصفور، المرجع السابق، ص ١٦٤.

(١٨٠) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ١٦٣ ـ ١٧٢.

(١٨١) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥.

(١٨٢) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ٢٠٦؛ عصفور، المرجع السابق، ص ١٦٥.

(١٨٣) عصفور، المرجع السابق، ص ١٦٦؛ حتى، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(١٨٤) حتى، المرجع السابق، ص ١٣٤؛ عصفور، المرجع السابق، ص ١٦٦.

(١٨٥) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ٤٠.

(١٨٦) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ٥١.

(١٨٧) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ٩٧ ـ ٩٨.

(١٨٨) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ١٠٢.

(١٨٩) محمود، المرجع السابق، ص ٣٩٨؛ عصفور المرجع السابق، ص ١٥٩.

(190) Amiran, Op. cit., PP. 272 - 73; pl. 92; Pritchard, Op. cit., P. 20; Fig. 2.

(١٩١) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ٧٤.

(١٩٢) محمود، المرجع السابق، ص ٣٩٩؛ عصفور، المرجع السابق، ص ١٦٢، حتى، المرجع السابق، ص٩٦؛ فخرى، المرجع السابق، ص ١١٩.

(١٩٣) فخرى، المرجع السابق، ص ٣٩٩.

(١٩٤) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(١٩٥) الفرجاوى، المرجع السابق، ص ١٠٧.

(١٩٦) حتى، المرجع السابق، ص ٣١٥؛ سليم، المرجع السابق، ص ٢٢١ ـ ٢٢٣.

(١٩٧) فخرى، المرجع السابق، ص٥٣؛ سليم، المرجع السابق، ص٢٢١ ـ ٢٢٣؛ حتى، المرجع السابق، ص٣٢ ـ ٣٣.

(١٩٨) حتى، المرجع السابق، ص٤٤؛ سليم، المرجع السابق، ص٢٢٦؛ فخرى، المرجع السابق، ص٥٤.

(١٩٩) سليم، المرجع السابق، ص ٢٢٧؛ فخرى، المرجع السابق، ص ٥٥؛ حتى، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢٠٠) سليم، المرجع السابق، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢؛ حتى، المرجع السابق، ص ٦٤.

(٢٠١) فخرى، المرجع السابق، ص٥٢ ـ ٥٣؛ حتى، المرجع السابق، ص٦٤.

(٢٠٢) حتى، المرجع السابق، ص ٦٢.

(٢٠٣) حتى، المرجع السابق، ص ٦٣.

(٢٠٤) عبد القادر (محمد)، **الساميون فى العصور القديمة**، القاهرة: ١٩٦٨، ص١١٠.

(٢٠٥) سليم، المرجع السابق، ص ٢٧٣؛ مهران، المرجع السابق، ص ٤٨؛ عصفور، المرجع السابق، ص ١٥٥.

(206) Barton, G.A., **The Royal Inscriptions Of Sumer and Akkad,** New Haven: 1929, P. 108; Bottero, J. "Syria befre 2200 B.C, CAH I, 2, Cambridge: 1971, pp. 322 - 24.

(٢٠٧) كلينكل (هورست) آثار سورية القديمة. **آثار ما قبل الإسلام فى الجمهورية العربية السورية.** ترجمة قاسم طوير، دمشق (بدون تاريخ)، ص٢٨ ـ ٣٣؛ فخرى، المرجع السابق، ص٧٣ ـ ٧٦.

(208) Chavalas, M. C. and J. L. Hayes, **New Horizons In The Study of Acient Syria,** Undena Publications, Malibu: 1992, p.3.

(٢٠٩) سليم، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٢١٠) سليم، المرجع السابق، ص ٢٦٢؛ Cavalas, Op.cit, P.3

(٢١١) فخرى، المرجع السابق، ص ٥٧؛ Chavalas, Op. cit., P.4

(٢١٢) فخرى، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢١٣) فخرى، المرجع السابق، ص ٧٣.

(214) O' Connor, D. "New Kingdom and Third Intermediate Perios," **Ancient Egypt: A Social Histaro,** Cambridge University Press:1983, pp. 208 - 211.

(٢١٥) كلينكل، المرجع السابق، ص ٣٦ ـ ٣٧؛ حتى، المرجع السابق، ص ٧٢؛ مهران، المرجع السابق، ص ٥٠٠

(216) Jacobsen, T. **The Sumerian King - Lists, Chicago:** 1939, p. 102;

سليم، المرجع السابق، ص ٢٧٤.

(217) Botteto, **Op. cit.,** p. 303 - 24.

(٢١٨) سليم، المرجع السابق، ص ٢٧٥.

(٢١٩) كلينكل، المرجع السابق، ص ٤٠. Chavalas, **op. cit.,** pp. 9 - 10.

(٢٢٠) مهران، المرجع السابق، ص٥٣؛ كلينكل، المرجع السابق، ص٣٩.

(٢٢١) عصفور، المرجع السابق، ص١٥٧؛ كلينكل، المرجع السابق، ص ٤٠؛ سليم، المرجع السابق، ص٢٨١.

(٢٢٢) حتى، **المرجع السابق**، ص٧٢ ـ ٧٤؛ عصفور، **المرجع السابق**، ص١٥٧ .

(٢٢٣) عصــفور، **المرجع السابق**، ص١٥٦؛ حتى، **المرجع السابق**، ص٧٤؛ سليم، **المرجع السابق**، ص٢٨١ .

(٢٢٤) كلينكل، **المرجع السابق**، ص٤٠، شكل ٩ ـ ١٠ .

(٢٢٥) عصفور، **المرجع السابق**، ص١٥٨؛ حتى، **المرجع السابق**، ص٨٣ ـ ٨٤ .

(٢٢٦) كلينكل، **المرجع الســابق**، ص٤٦ ـ ٤٧؛ سليم، **المرجع الســابق**، ص٢٨٨؛ مهران، **المرجع السابق**، ص٩٠

Schaeffer, C. F. **Ugaritica** Vol. 1 - III, Paris: 1939 - 1956.

(٢٢٧) سليم، **المرجع السابق**، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

(٢٢٨) كلينكل، **المرجع الســابق**، ص٤٦ ـ ٤٧؛ سليم، **المرجع الســابق**، ص٢٨٩؛ مهران، **المرجع السابق**، ص٩٠ .

(٢٢٩) كلينكل، **المرجع السابق**، ص٤٧ .

(٢٣٠) سليم، **المرجع السابق**، ص٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

(٢٣١) كلينكل، **المرجع السابق**، ص٤٨؛ سليم، **المرجع السابق**، ص٢٩٠ .

(٢٣٢) كلينكل، **المرجع السابق**، ص٤٩ .

(٢٣٣) كلينكل، **المرجع السابق**، ص٥٠

(٢٣٤) كلينكل، **المرجع السابق**، ص٥٠ .

(٢٣٥) كلينكل، **المرجع السابق**، ص٥١؛ مهران، **المرجع السابق**، ص٩٢ ـ ٩٣ .

(236) Matthiae, P. "Two - Princely Tombs at Tell Merdikh - Ebla", **Archaeology** 33.2 (1980), p. 10; Astour, M. "An Outline of The History of Ebla (part I), "**Eblaitica: Essays on The Ebla Archives and Eblaite Language**", Vol. 3 Edited by C.H. Gordon, Indiana: 1992, p.3.

(٢٣٧) كلوتشــكو، ف «تـل مـرديـخ ـ إيبلا القـديمــة «**الجديـد حول الشرق الـقديم**» ترجمـه عن الروسية د. جـابر أبي جابر، دار التـقدم بموسكو، ١٩٨٨، ص١٥٧؛ باترسون (شارل)، «**ألواح إيبلا والهجمة الاستشراقية**» ترجمة محمد فكرى أنور، **مجلة الفيصل** ١٦٨ (١٩٩٠)، ص٢٤ .

(٢٣٨) كلوتشكوف، **المرجع السابق**، ص١٦٠ ـ ١٦١ .

(٢٣٩) بهنسى (عفيف)، وثائق إيبلا. وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق: ١٩٨٤، ص٢٧؛ كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٧٩؛ ص١٨٤ ـ ١٨٦.

(٢٤٠) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٨٦؛

Astour, **op. cit**., pp. 26 - 50; map on p. 27.

(٢٤١) بهنسى المرجع السابق، ص١٥؛ كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٦١؛

Astour, **op. cit**., pp. 12 - 14.

(٢٤٢) بهنسى، المرجع السابق، ص١٥؛ Astour, **op. cit**., pp. 12 - 14

(٢٤٣) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٦٢.

(٢٤٤) كلينكل، المرجع السابق، ص٤٢؛ كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٥٩.

(245) Mathiae, "Two - Princely Tombs at Tell Mardikh - Ebla", pp. 10 - 11.

(246) Yadin, **op. cit**., fig on. p. 153.

(٢٤٧) كلينكل، المرجع السابق، ص٤٣؛ Chavalas, **op. cit**., p. 8

(٢٤٨) باترسون، المرجع السابق، ص٢٨

(٢٤٩) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٨٣.

(٢٥٠) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٨٣.

(251) Matthiae, P. Ebla, An Empire Rediscovered Translated into English, Rome: 1977, p. 131.

(٢٥٢) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٨٥.

(٢٥٣) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٨٥.

(٢٥٤) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٦٧.

(٢٥٥) كلينكل، المرجع السابق، ص٤٣؛ كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٧٠ ـ ١٧٣؛ Chavalas, **op. cit**., pp. 8 - 9.

(٢٥٦) كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٧٥؛ Chavalas, **op. cit**., p. 9

(٢٥٧) باترسون، المرجع السابق، ص٢٨ ـ ٢٩؛ كلوتشكوف، المرجع السابق، ص١٥٧.

(٢٥٨) محمود، المرجع السابق، ص٣٧٧؛ عصفور، المرجع السابق، ص١٦٦؛ فخرى، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٢٥٩) محمود، المرجع السابق، ص٣٨١؛ مهران، المرجع السابق، ص٢٠٥؛ حتى، المرجع السابق، ص٣٨١.

(٢٦٠) عصفور، المرجع السابق، ص١٦٧؛ محمود، المرجع السابق، ص٣٨٣؛ حتى، المرجع السابق، ص١٨١.

(٢٦١) سليم، المرجع السابق، ص٢٧٩؛ مهران، المرجع السابق، ص٢٠٩؛ حتى، المرجع السابق، ص٢٠٩؛ ص١١٢؛ محمود، المرجع السابق، ص٣٨٤؛ فخرى، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٢٦٢) مهران، المرجع السابق، ص٢١٢.

(٢٦٣) فخرى، المرجع السابق، ص١٠٥؛ عصفور، المرجع السابق، ص١٦٨؛ محمود، المرجع السابق، ص٣٨٦.

(٢٦٤) محمود، المرجع السابق، ص٣٨٦.

(٢٦٥) وبنهايم (ليوا)، **بلاد ما بين النهرين**. ترجمة سعدى فيضى عبد الرازق، بغداد: ١٩٨٦، ص٤٨ ـ ٤٩؛ سليمان (عامر)، **القانون فى العراق القديم**، دار الشئون الثقافية العامة ببغداد، ١٩٨٧، ص٢٢ ـ ٢٣.

(٢٦٦) وبنهايم، المرجع السابق، ص٤٨ ـ ٤٩؛ سليمان، المرجع السابق، ص٢٢ ـ ٢٣.

(٢٦٧) الأحمد (سامى سعيد)، **تاريخ الخليج العربى من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربى**، منشورات مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة: ١٩٨٥، ص٩.

(٢٦٨) **تقرير شامل عن الحفريات الأثرية فى جزيرة فيلكا ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣**. وزارة الإرشاد والأنباء، إدارة الآثار والمتاحف، الكويت، ص١٢٥؛ البدر (سليمان)، **منطقة الخليج العربى خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد**، الكويت، ١٩٧٤، ص١٧٨؛ وبنهايم، المرجع السابق، ص١١٤؛ شاهين (علاء الدين)، **تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم**، منشورات ذات السلاسل، الكويت: ١٩٩٧، ص١٥ ـ ١٦.

(٢٦٩) سليمان، المرجع السابق، ص٢٠ ـ ٢١؛ فرزات (محمد حرب) وعيد مرعى، **دول وحضارات فى الشرق العربى القديم. سومر وأكاد. بابل وآشور. أمورو**

وآرام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق: ١٩٩٠، ص١٩ ـ ٢٠؛ صالح، المرجع السابق، ص٤٣٢.

(٢٧٠) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٩ ـ ٢٠؛ مرعى (عيد)، **تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم لعصور حتى عام ٥٣٩ ق م**، ص١٣؛ البدر (سليمان) «الكتابة العراقية القديمة. حل رموز الكتابة المسمارية» **المتحف العربى**، السنة الأولى، العدد الثالث (ربيع الآخر) ١٤٠٦ هـ/ يناير ١٩٨٦، ص٨ ـ ٩.

(٢٧١) صالح، المرجع السابق، ص٥٦٢.

(٢٧٢) البدر، المرجع السابق، ص٨ ـ ٩؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٣٠ ـ ٣٣؛ مرعى، المرجع السابق، ص١٦ ـ ١٧؛ عصفور، المرجع السابق، ص١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢٧٣) على (محمد عبد اللطيف)، **تاريخ العراق القديم**، الإسكندرية: ١٩٧٧، ص١٨٩؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٦٣؛ وبنهايم، المرجع السابق، ص١٧٥ ـ ١٧٨.

(٢٧٤) مرعى، المرجع السابق، ص١٥؛ ص١٨ ـ ٢٠؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٣٤.

(٢٧٥) البدر، المرجع السابق، ص١٠ ـ ١٣؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٣٤؛ أبو بكر (عبد المنعم)، «العراق القديم. تاريخه وحضارته»، **حضارة مصر والشرق القديم** تاليف د. إبراهيم رزقانة وآخرون، مكتبة مصر، (بدون تاريخ)، ص٢٨٢ ـ ٢٨٤.

(٢٧٦) مهران (محمد بيومى) **تاريخ مصر الفرعونية والشرق الأدنى القديم**، القاهرة: ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥، ص١٦٢.

(٢٧٧) مهران، المرجع السابق، ص١٦٢؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٢٣؛ فخرى، المرجع السابق، ص٢٢.

(٢٧٨) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٢٤.

(٢٧٩) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٢٥.

(٢٨٠) المصرى (عبد الله)، «ما قبل التاريخ فى شرق المملكة العربية السعودية وشمالها»، **دراسات فى تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الثانى. أشرف على الطبع، د. عبد الرحمن الأنصارى، الرياض: ١٩٨٤، ص٧٩ ـ ٨٨؛ عبد النعيم (محمد)، **آثار ما قبل التاريخ وفجره فى المملكة العربية السعودية**. ترجمة

عبدالرحيم محمد خيبر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٩٩٥، ص٣١٣ ـ ٣١٦.

(٢٨١) شعث (شوقى)، «التنقيبات الأثرية فى الخليج العربى وأهميتها التاريخية»، **الخليج العربى. دراسات تاريخية وجغرافية منذ أقدم العصور حتى الوقت الراهن**، دمشق: ١٩٩٣، ص٥٠ ـ ٥٢؛ الأحمد، المرجع السابق، ص٧٧.

(٢٨٢) مهران، المرجع السابق، ص١٦٤ ـ ١٦٥؛ سليمان، المرجع السابق، ص٢٥؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٥٢ ـ ٥٣.

(٢٨٣) فخرى، المرجع السابق، ص٢٦.

(٢٨٤) مهران، المرجع السابق، ص١٦٤ ـ ١٦٥؛ سليمان، المرجع السابق، ص٢٥؛ فرزات، المرجع السابق، عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٤٤٧ ـ ٤٥٠.

(٢٨٥) سليمان، المرجع السابق، ص٢٥.

(٢٨٦) الهاشمى (رضا جواد)، **المدخل لآثار الخليج العربى**. منشورات مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة، بغداد: ١٩٨٠، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٢٨٧) سليمان، المرجع السابق، ص٢٦.

(٢٨٨) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٥٧.

(٢٨٩) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٤٨٠؛ سليمان، المرجع السابق، ص٢٧؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٠٨ ـ ١١٠؛ فخرى، المرجع السابق، ص٢٩.

(٢٩٠) صالح، المرجع السابق، ص٤٨٠؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٠٨ ـ ١١٠.

(٢٩١) صالح، المرجع السابق، ص٤٨٠.

(٢٩٢) صالح، المرجع السابق، ص٤٨٨.

(٢٩٣) صالح، المرجع السابق، ص٤٨٩.

(٢٩٤) عارف (عايدة سليمان)، **مدارس الفن القديم**، دار صادر، بيروت: ١٩٧٢، ص٧٨.

(295) Canby, J.V. "A Monumental Puzzle - Reconstructing the Ur - Nammu Stela", Expedition 29.1 (1987), pp. 54 - 64.

(٢٩٦) لويد (سيتن)، **فن الشرق الأدنى القديم**، ترجمة محمد درويش، دار المأمون، بغداد، ١٩٨٨، ص٨٧؛ عارف، المرجع السابق، ص٧٨؛ فخرى، المرجع السابق، ص٣٣.

(٢٩٧) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٩٧، عارف، المرجع السابق، ص٧٨؛ رشيد (فوزى)، الشرائع العراقية القديمة، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، سلسلة الكتب الحديثة (٥٧)، بغداد: ١٩٧٣، ص٢١ ـ ٣٦.

(٢٩٨) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٩٧.

(٢٩٩) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٩٢.

(٣٠٠) لويد، المرجع السابق، ص ٨٧؛ عصفور، المرجع السابق، ص١٩٩؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٩٥.

(٣٠١) عصفور، المرجع السابق، ص١٩٦ ـ ١٩٨.

(٣٠٢) عصفور، المرجع السابق، ص٢١٢ ـ ٢١٤؛ أبو بكر، المرجع السابق، ص٢٨٤؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١١٢ ـ ١١٣.

(٣٠٣) وبنهايم، المرجع السابق، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٣٠٤) شاهين (علاء الدين) «السياحة العلاجية فى مصر الفرعونية» مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، العدد السادس عشر، (يونيه ١٩٩٤)، ص١٤.

(٣٠٥) صالح، المرجع السابق، ص٥٢٩؛ سليمان، المرجع السابق، ص٢١٩ ـ ٢٧٣.

(٣٠٦) صالح، المرجع السابق، ص٥٣٠ ـ ٥٣٥؛ لويد، المرجع السابق، ص١٣٩ ـ ١٤٠، شكل ٩٢؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٤٠ ـ ١٤١؛ فخرى، المرجع السابق، ص٣٥ ـ ٤٠؛ سليمان، المرجع السابق، ص٢١٩ ـ ٢٧٣.

(٣٠٧) سليمان، المرجع السابق، ص٣٠.

(٣٠٨) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٣٩؛ سليمان، المرجع السابق، ص٢٩.

(٣٠٩) سليمان، المرجع السابق، ص٣٠.

(٣١٠) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٦٥ ـ ١٧٠؛ فخرى، المرجع السابق، ص٤١.

(٣١١) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٦٥ ـ ١٧٠؛ فخرى، المرجع السابق، ص٤١.

(312) Merrillees, R.S. "Political Conditions in The Eastern Mediterranean during The Late Bronze Age", **Biblical Archaeologists** 49.1 (March 1986), pp. 42 - 50; Laroche, L. **Monuments of Civilization, The Middle East**, London, p. 54.

(٣١٣) باقر (طه)، «علاقات بلاد الرفدين بجزيرة العرب» سومر الجزء الثانى، المجلد الخامس (١٩٤٩) ص١٢٣؛ شاهين، تاريخ الخليج والجزيرة العربية، ص٥٢ ـ ٥٣.

(٣١٤) صالح (عبد العزيز) تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، القاهرة ١٩٨٨، ص٤٧؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٨٥ ـ ١٨٧.

(٣١٥) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٨٥؛ فخرى، المرجع السابق، ص٤٦ ـ ٤٧.

(٣١٦) وبنهايم، المرجع السابق، ص٢١١؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٨٩ ـ ١٩٠.

(٣١٧) وبنهايم، المرجع السابق، ص٢١١؛ صالح، المرجع السابق، ص٦٠٨.

(٣١٨) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٩١؛ عصفور، المرجع السابق، ص٢١٤؛ أبو بكر، المرجع السابق، ص٣٤٠.

(٣١٩) فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٩١؛ عصفور، المرجع السابق، ص٢٣٦ ـ ٢٣٨؛ بارو (أندريه)، بلاد آشور، ترجمة وتعليق دكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتى، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد: ١٩٨٠، ص١٢١ ـ ١٢٨.

(٣٢٠) عصفور، المرجع السابق، ص٢٣٦ ـ ٢٣٨؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص١٩٣.

(٣٢١) لويد، المرجع السابق، ص٢٠٨ ـ ٢١٣؛ عارف، المرجع السابق، ص٨٤؛ بارو، المرجع السابق، ص١٢١ ـ ١٢٨.

(٣٢٢) وبنهايم، المرجع السابق، ص٢٠٣؛ فرزات ومرعى، المرجع السابق، ص٢٠٦.

الأشكال التوضيحيـــــــة

قائمة الخرائط و الأشكال

ص

أولا الخرائط

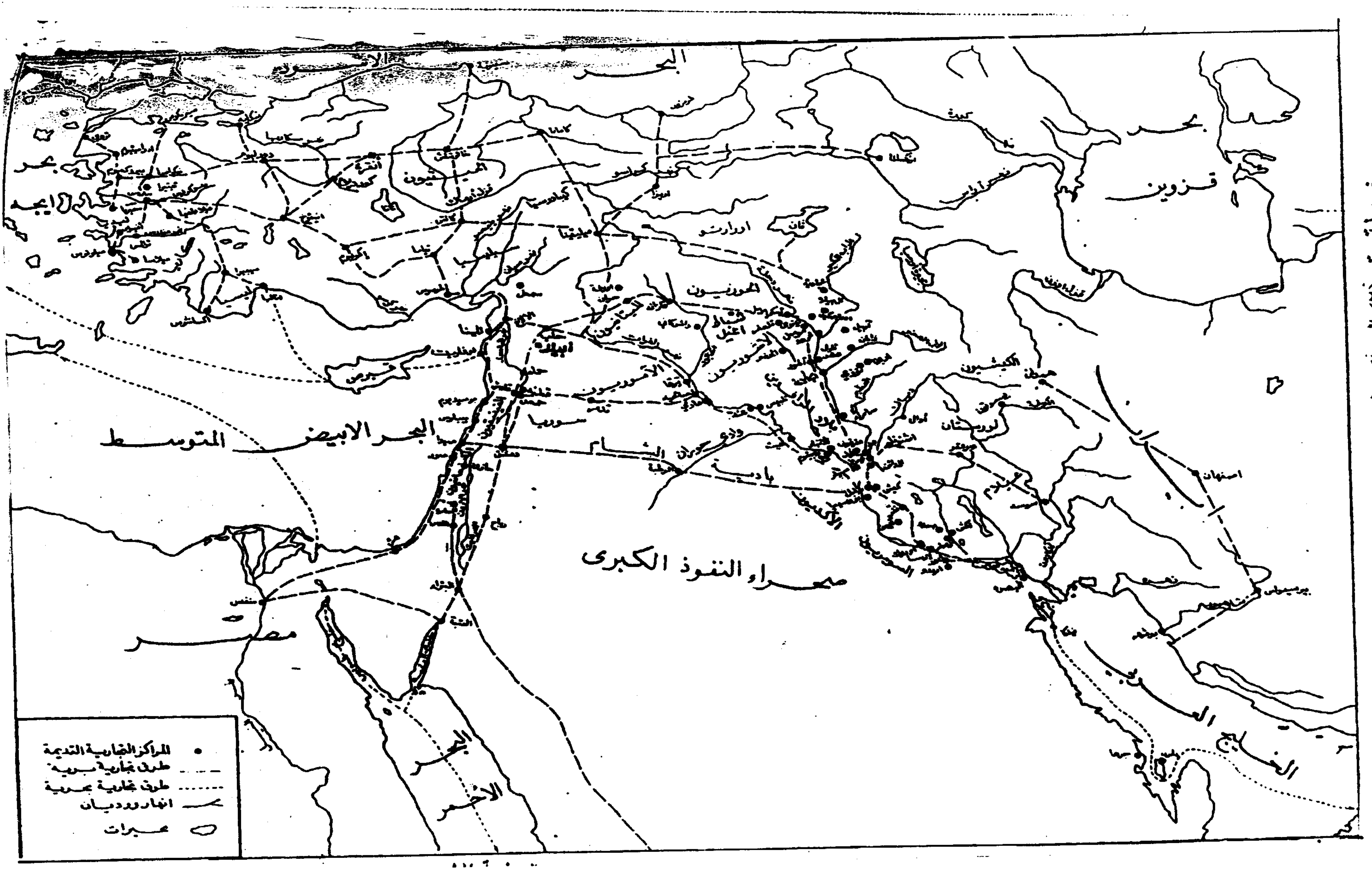
ثانيا : الأشكال التوضيحية

ثالثا: الجداول التوصيحية



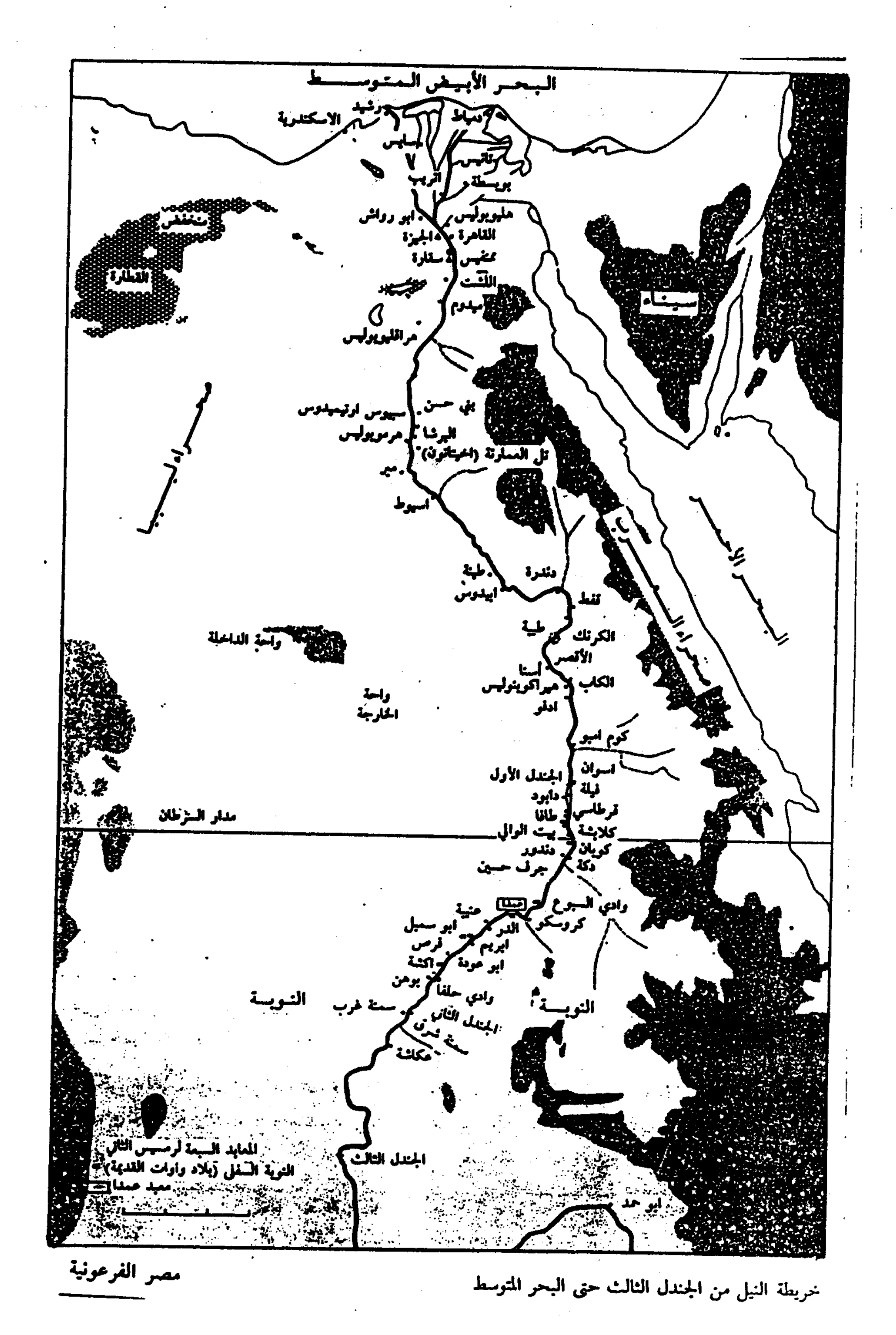
خريطة رقم (١): الشرق الأدنى القديـــــــم



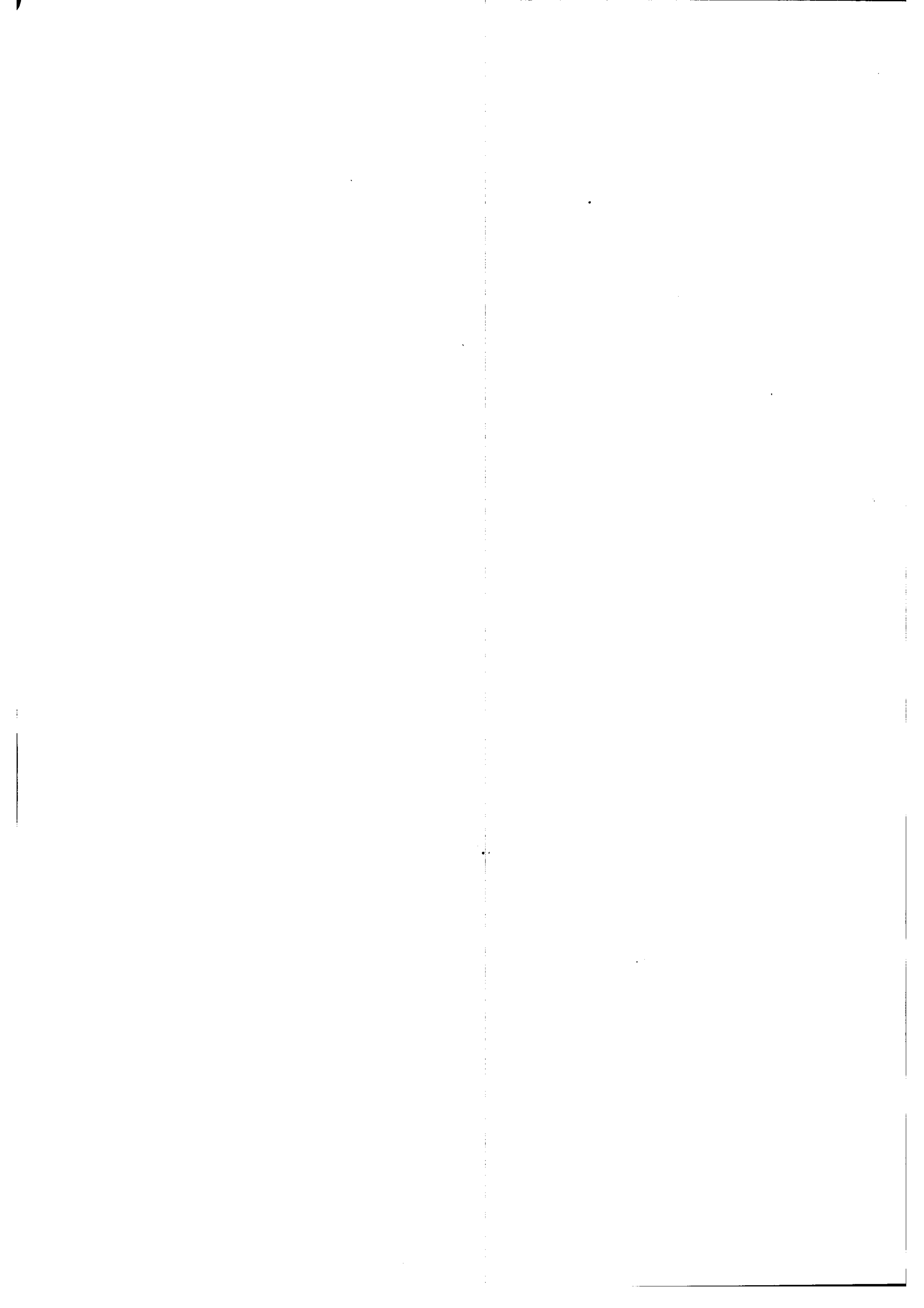


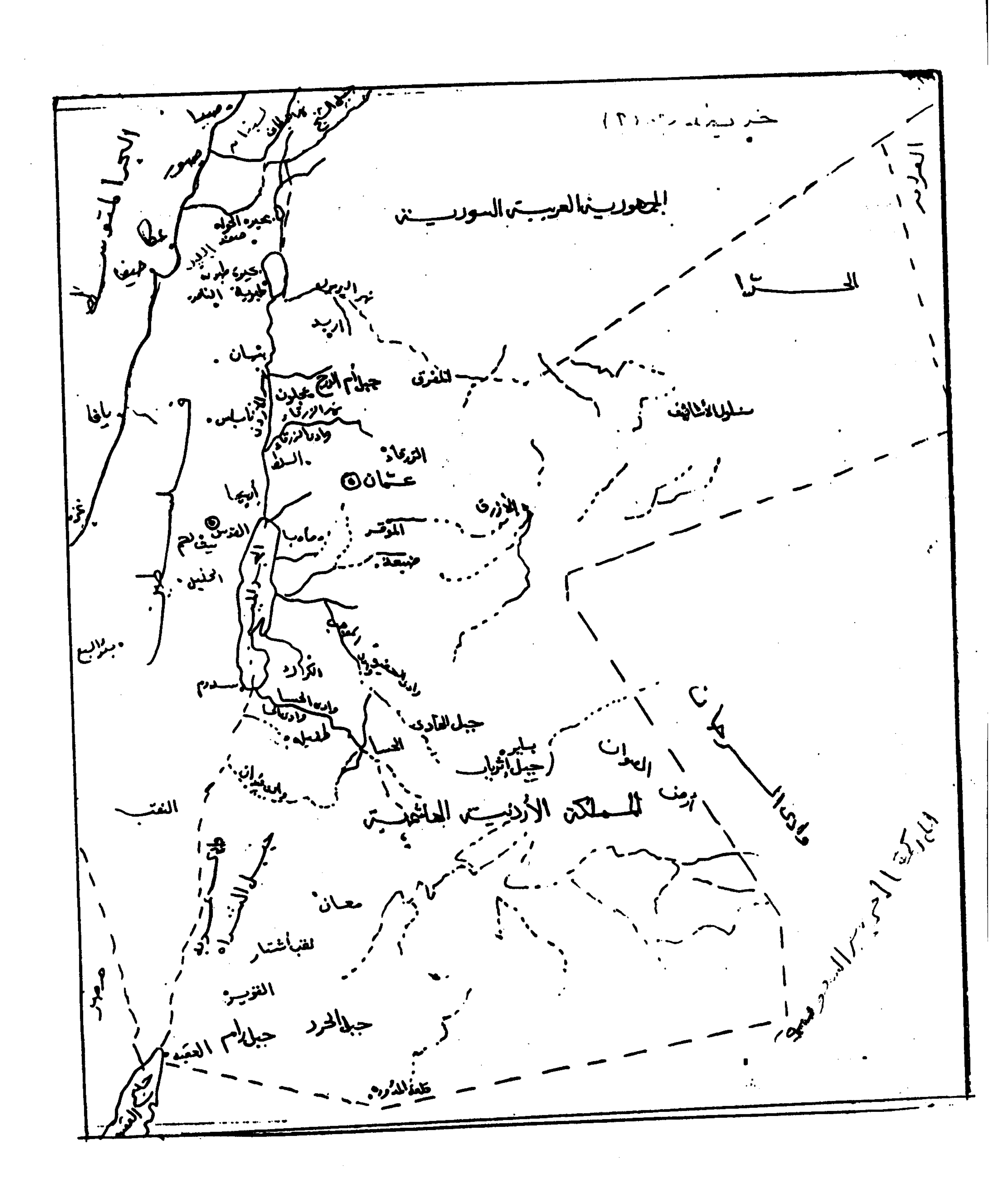
خريطة رقم (٢) المراكز الحضارية في الشرق الأدنى القديم



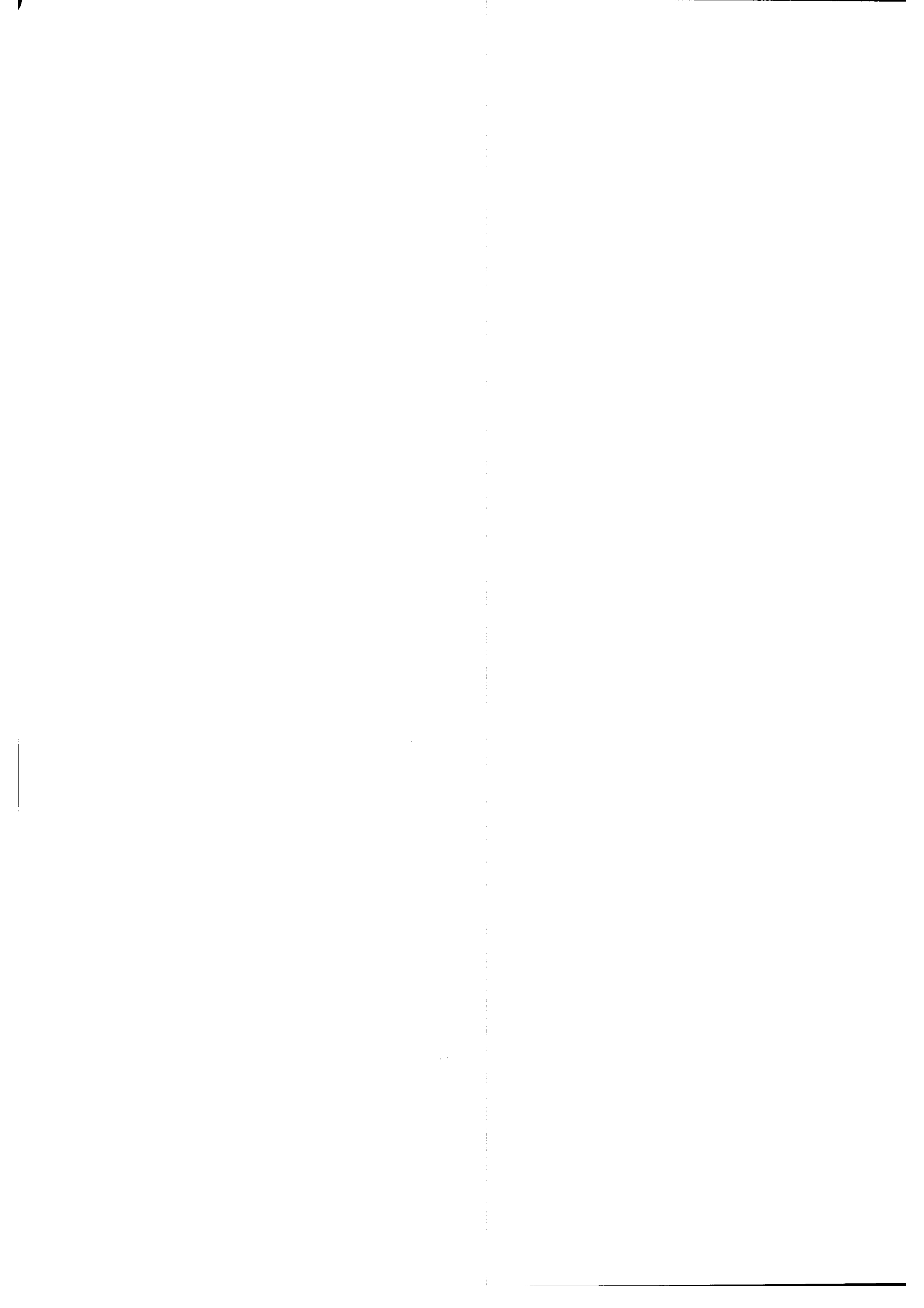


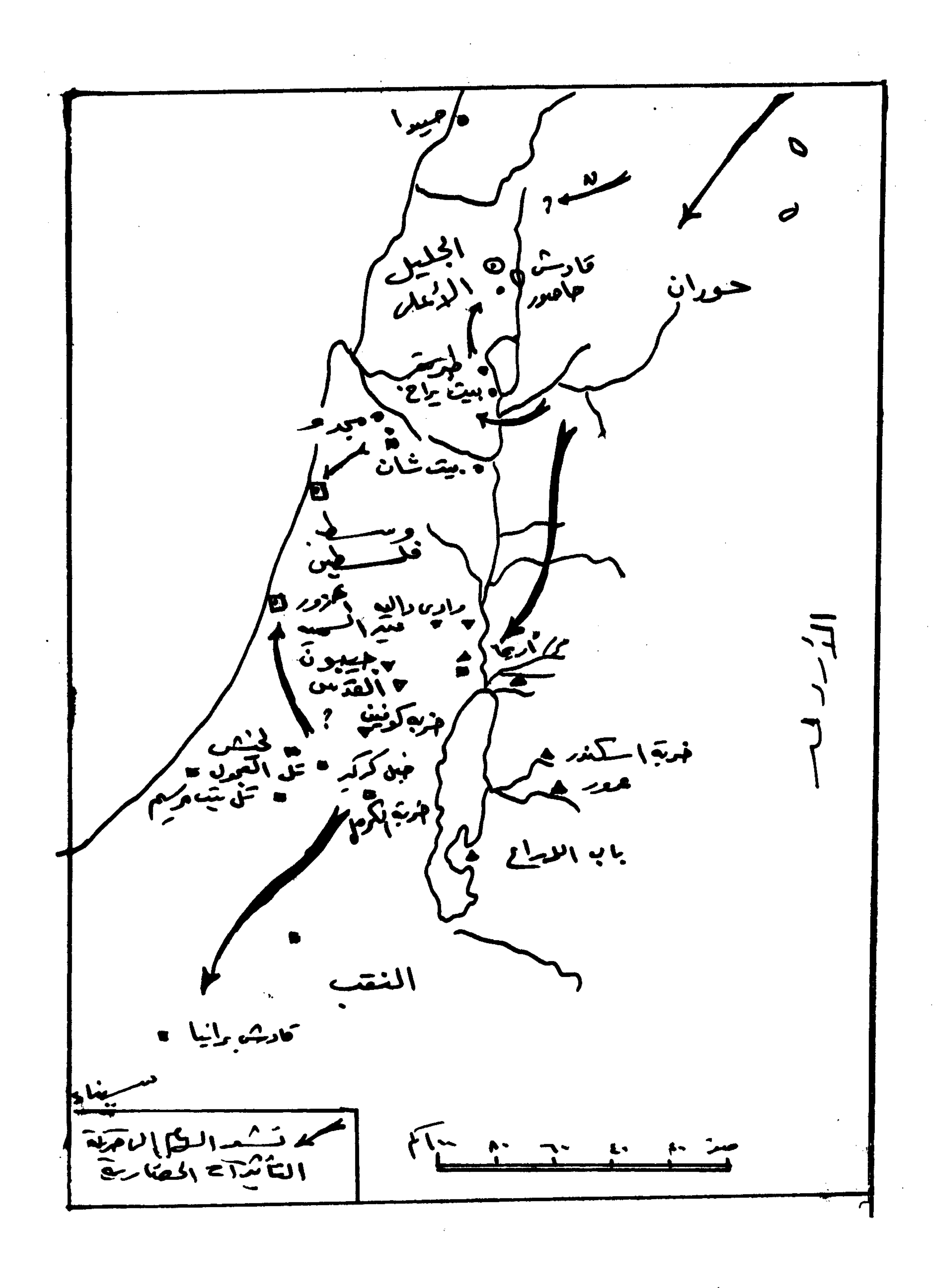
خريطة رقم (٣) جغرافية وادي النيل وأهم مراكزه الحضارية





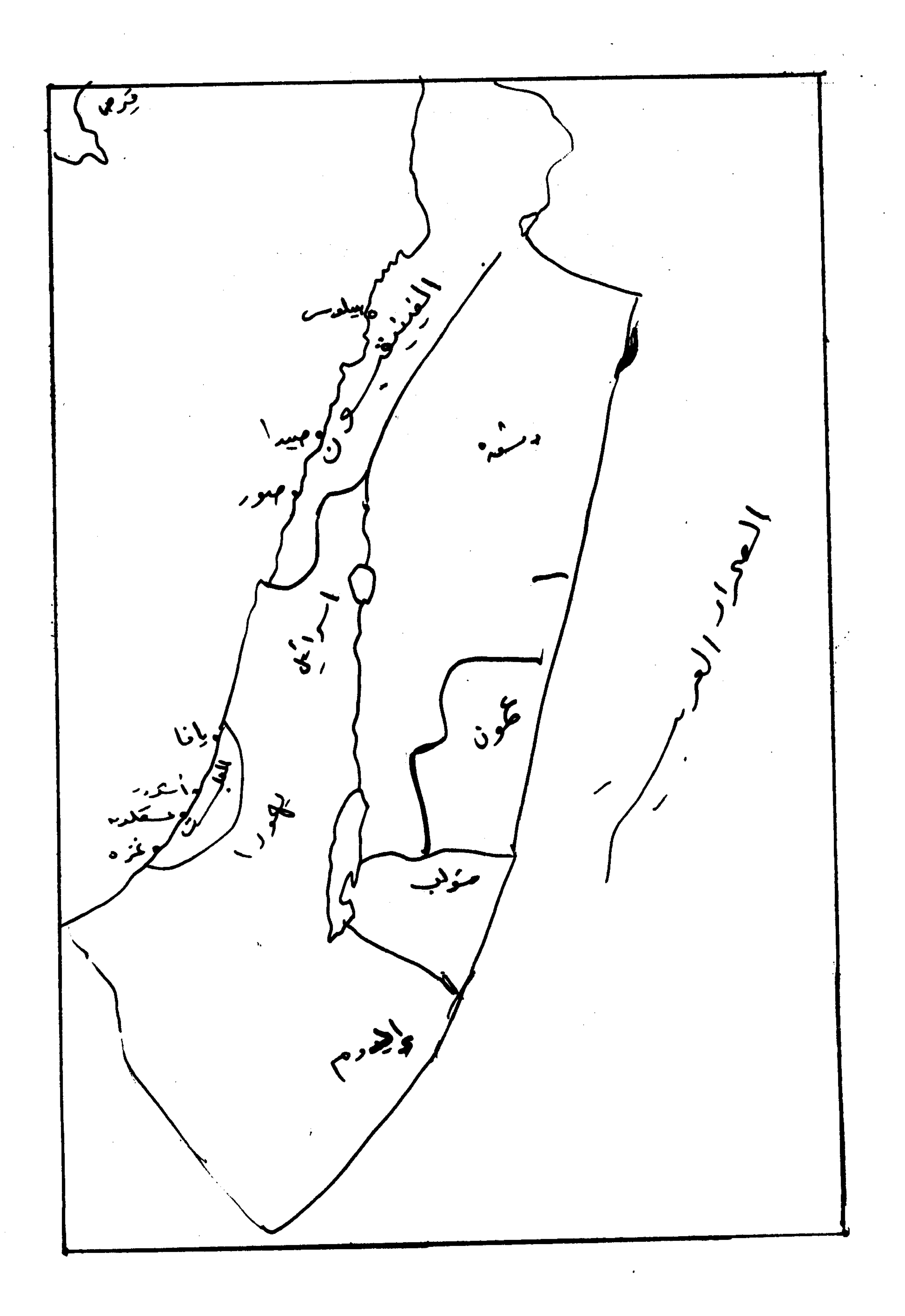
خريطة رقم (٤): جغرافية فلسطين و الأردن



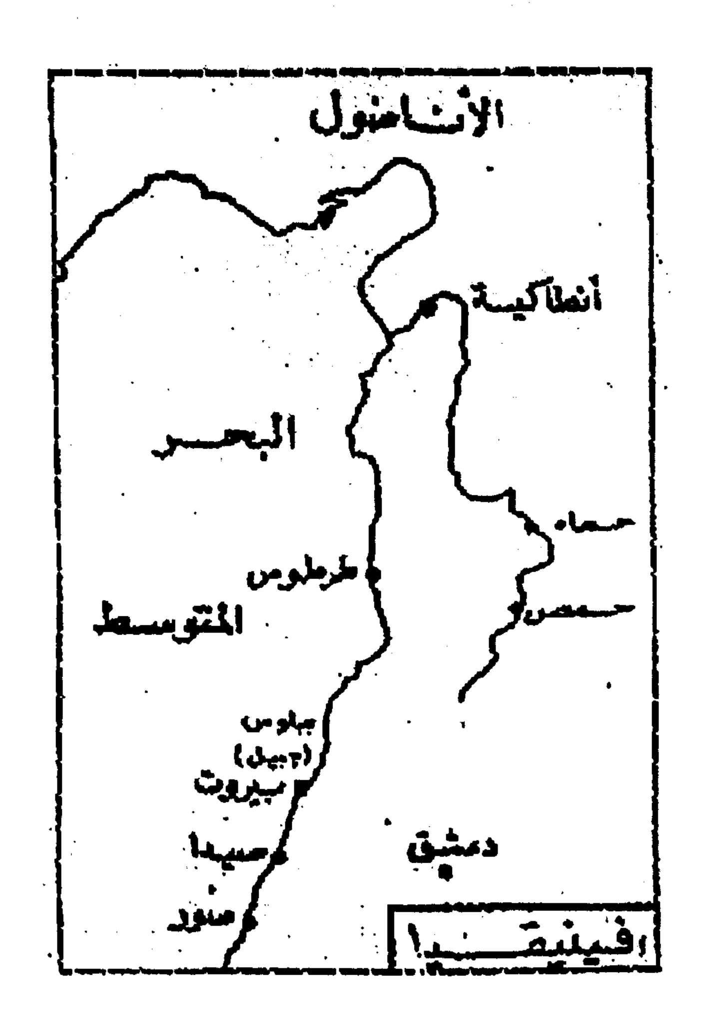


خريطة رقم (٥) : مواقع العصر البرونزي المبكر في دوره الرابع في فلسطين والأردن

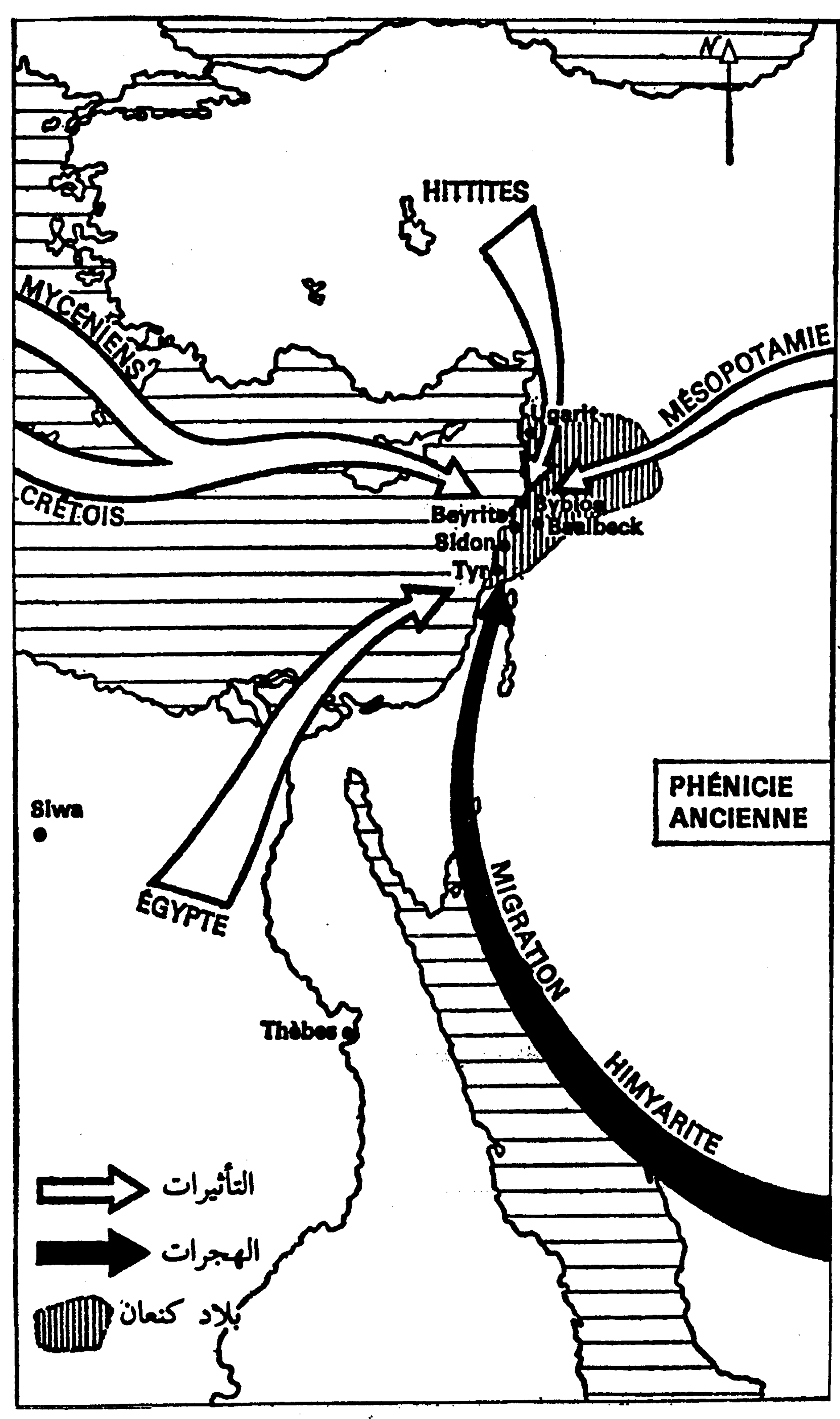




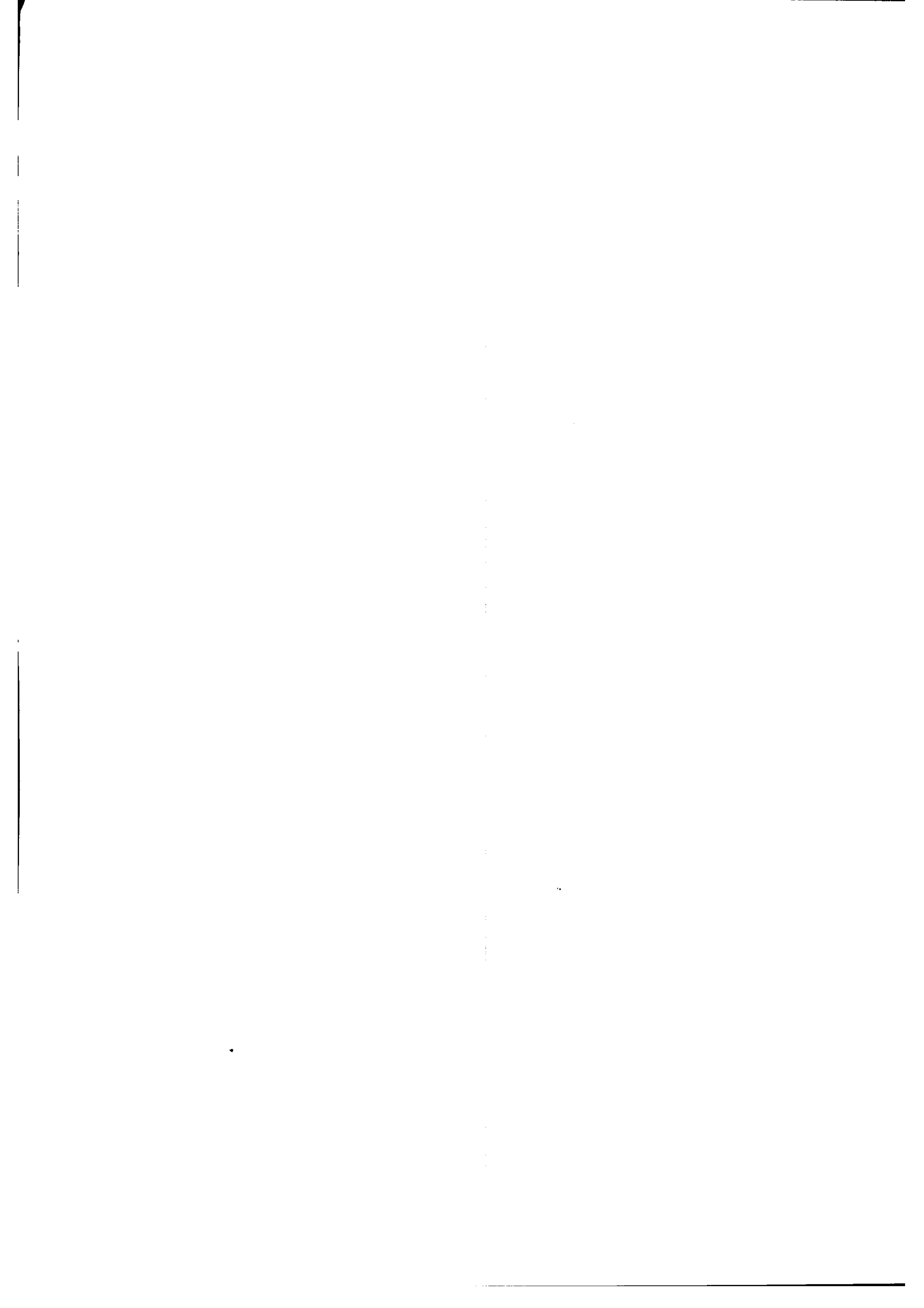
خريطة رقم (٦) : التقسيمات السياسية خلال مملكة داوود وسليمان وممالك شرق نهر الأردن

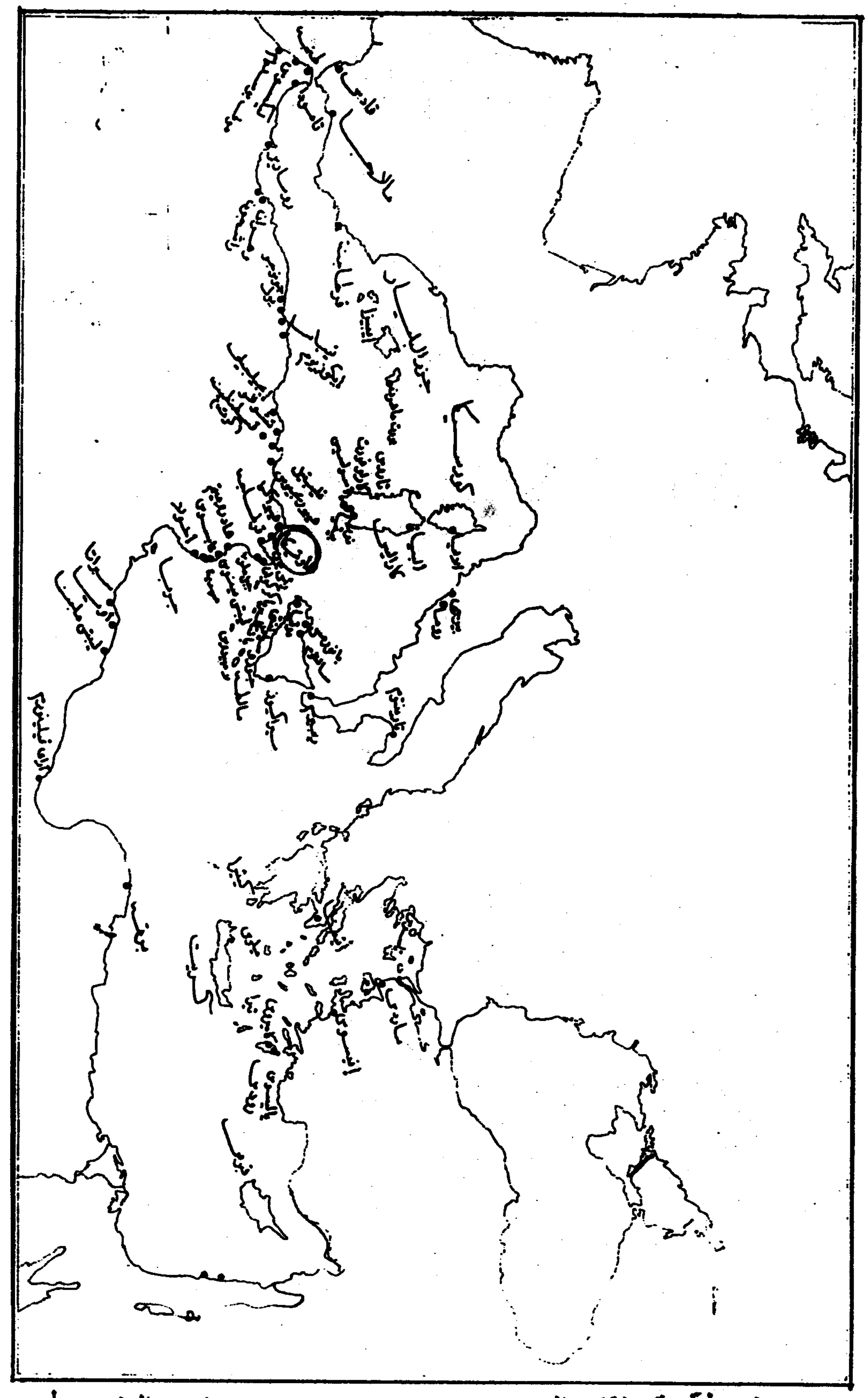


خريطة رقم (٧): مواقع الحضارة الفينيقيـــــة

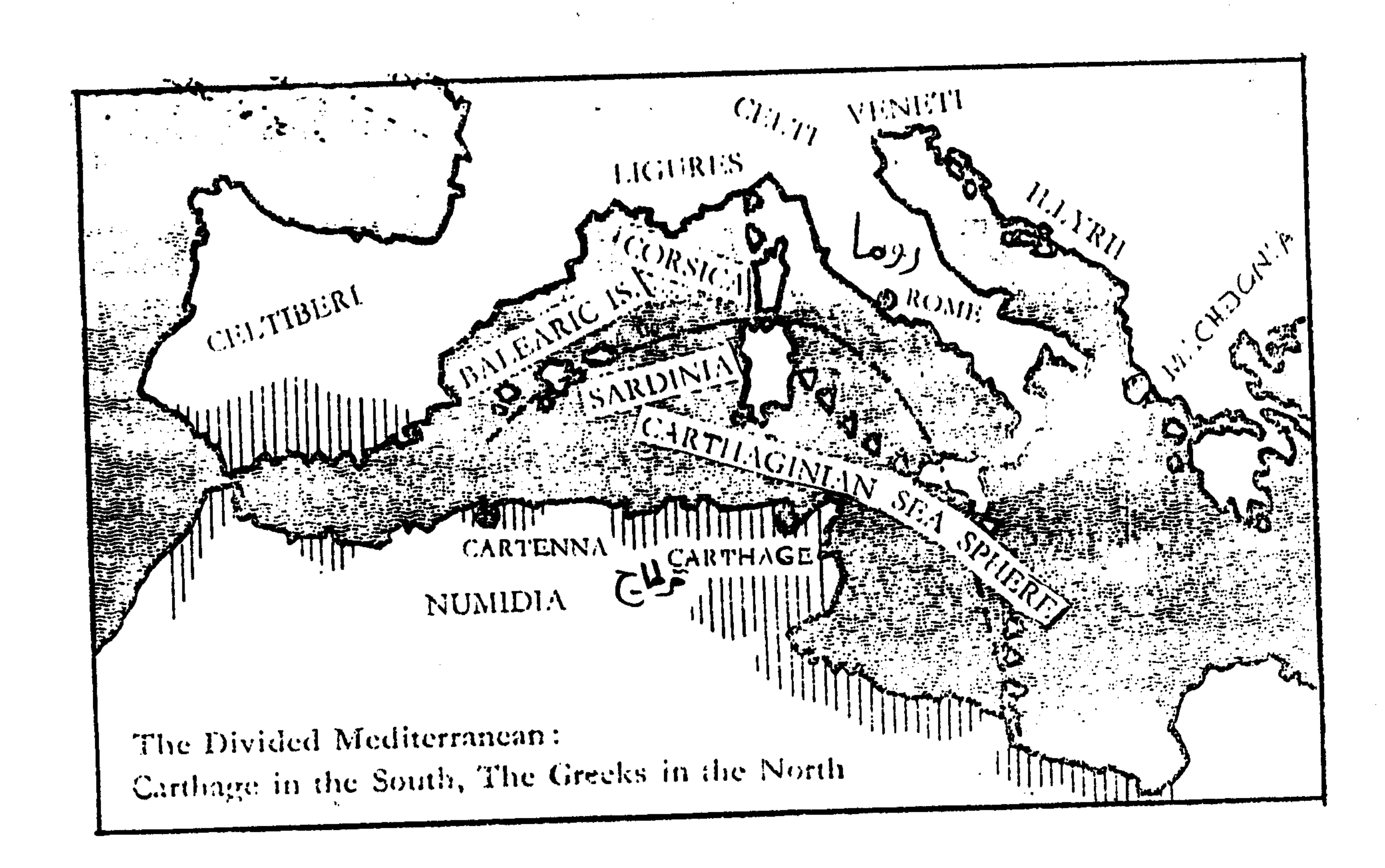


خريطة رقم (٨): التأثيرات المتبادلة بين فينيقيا والمناطق المجاورة

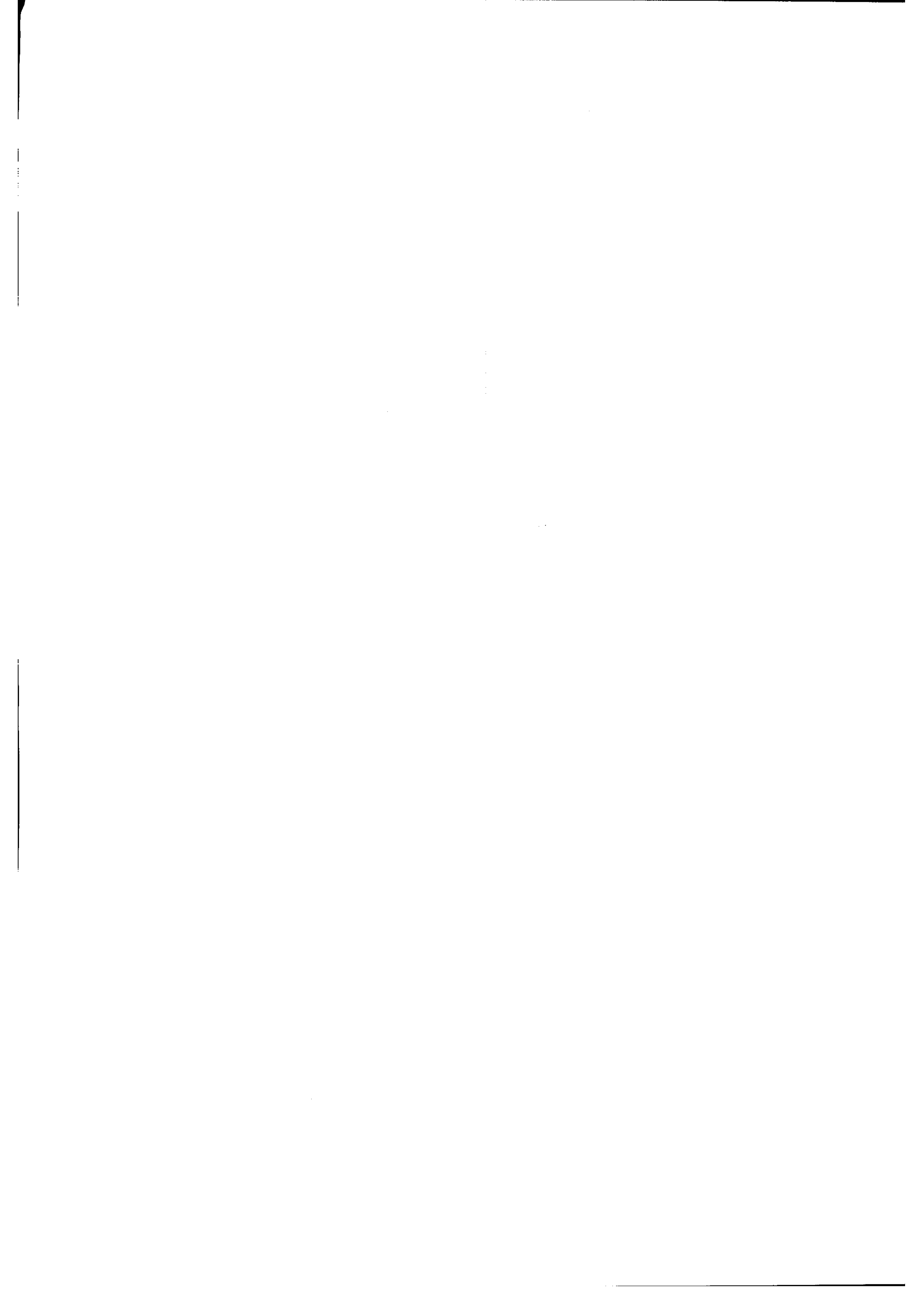


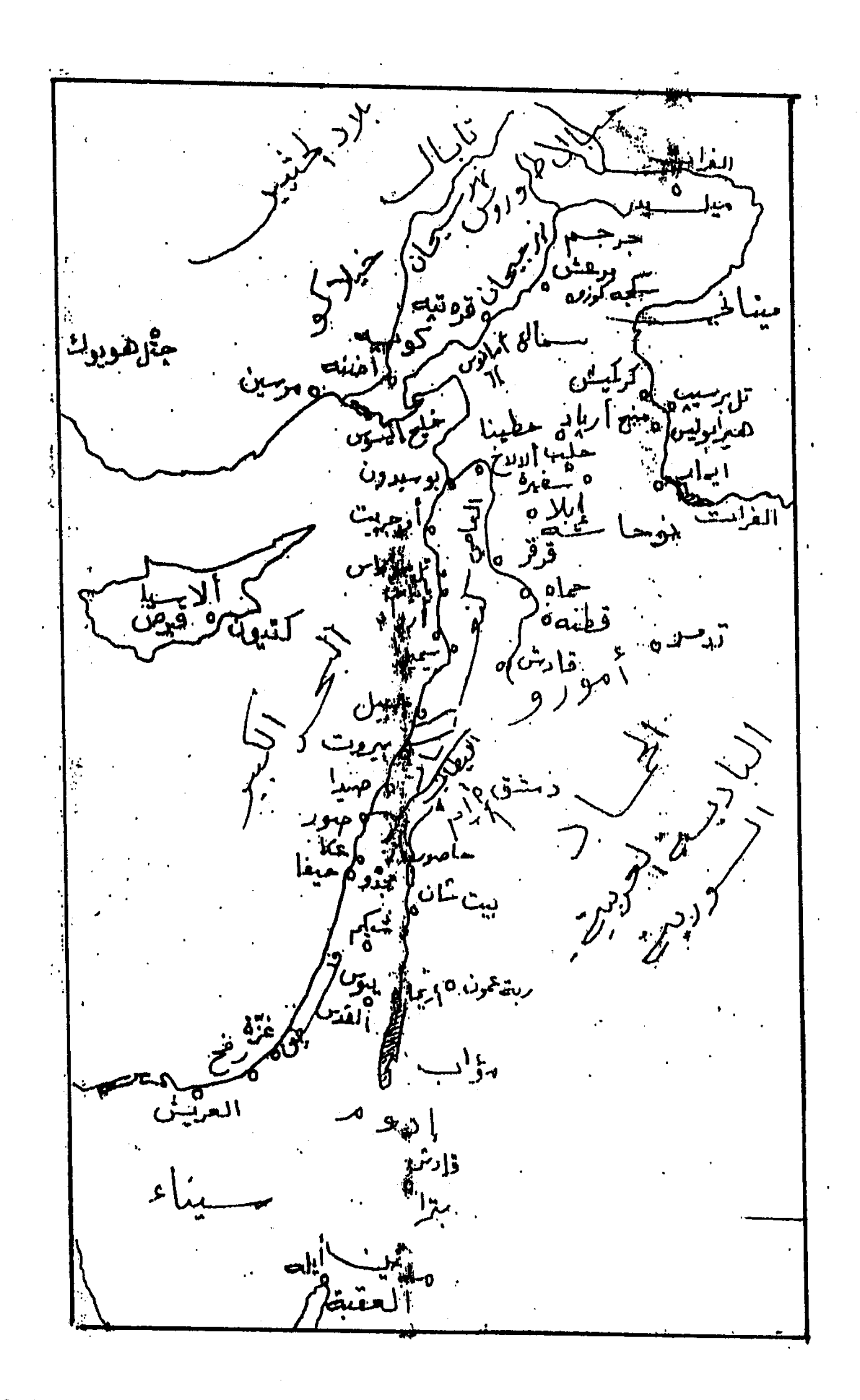


خريطة رقم (٩) : التوسع الفينيقي في غرب حوض البحر المتوسـط

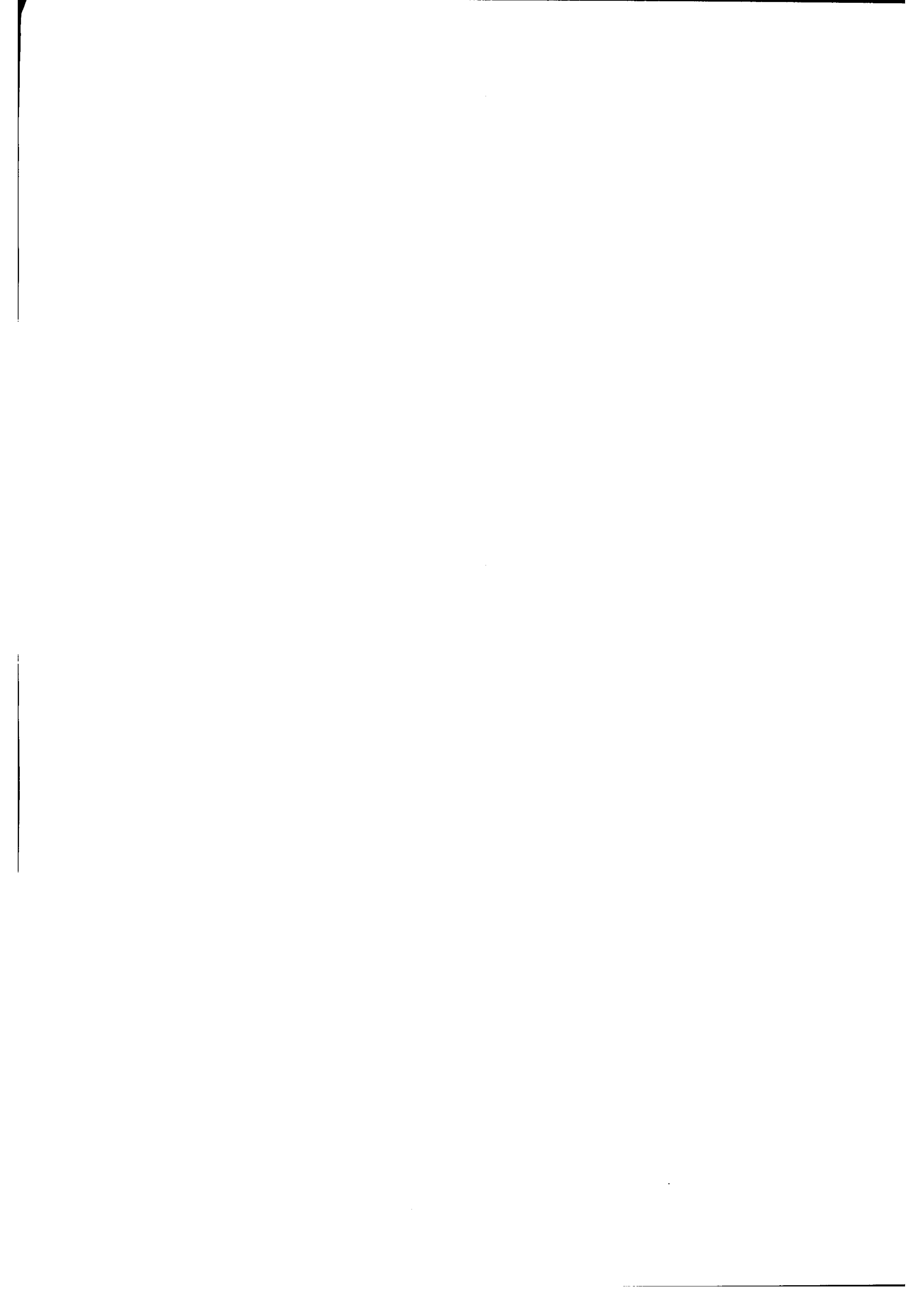


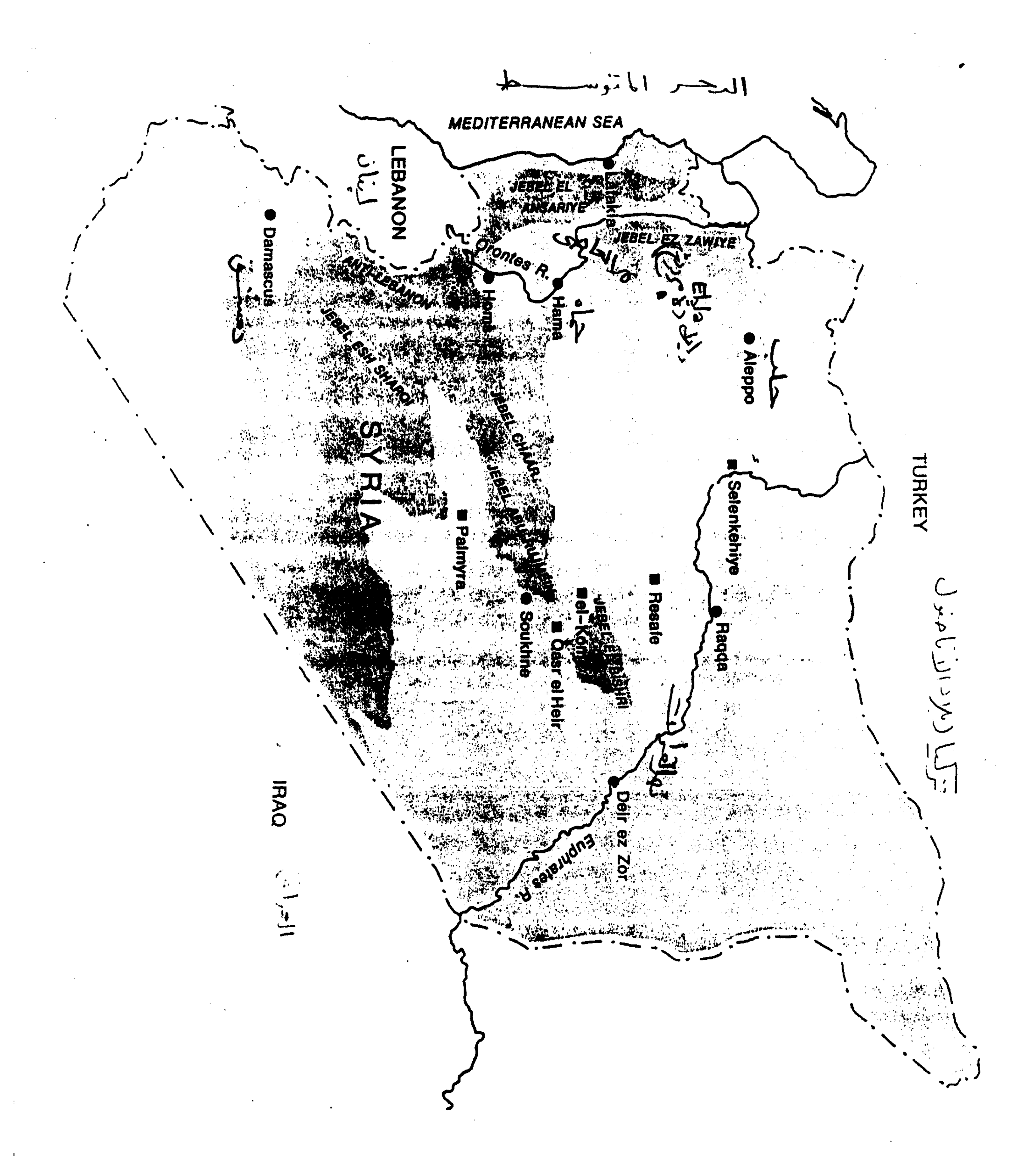
خريطة رقم ١٠: مناطق النفوذ الفينيـــــــقي في حوض البحر المتوسط



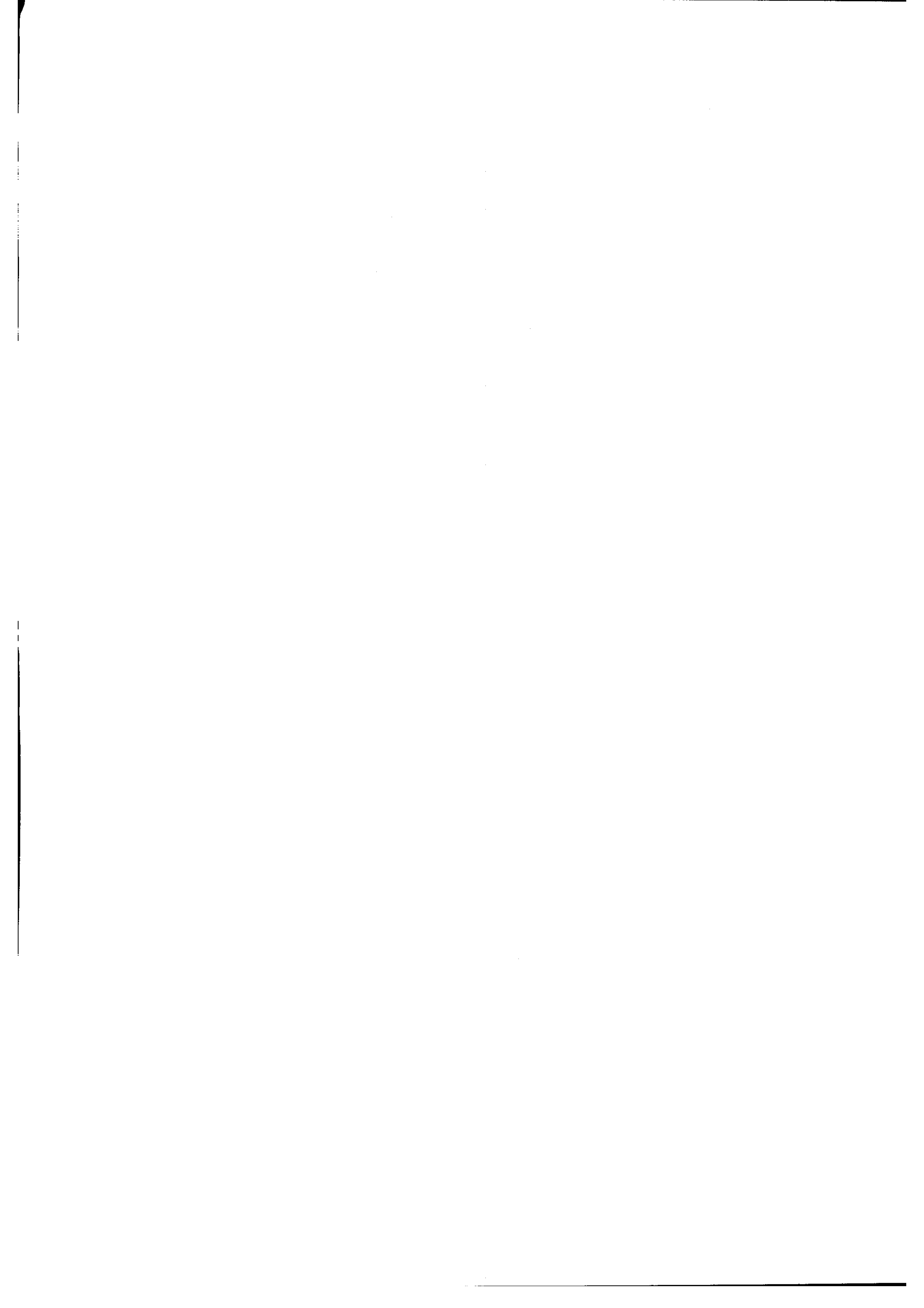


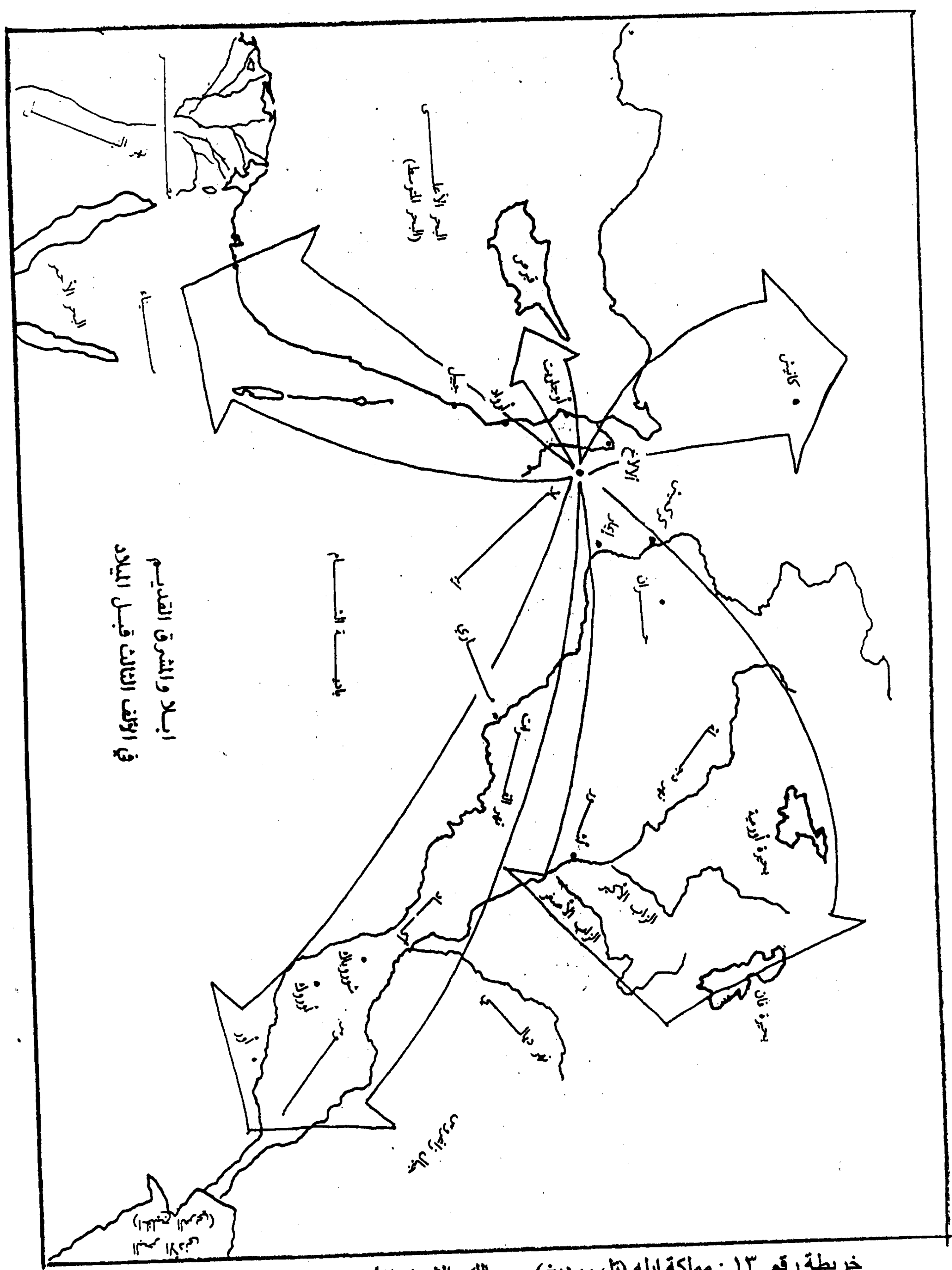
خريطة رقم ١١: المواقع الأثرية الهامة في فلسطين وسوريا : مملكة ابلة



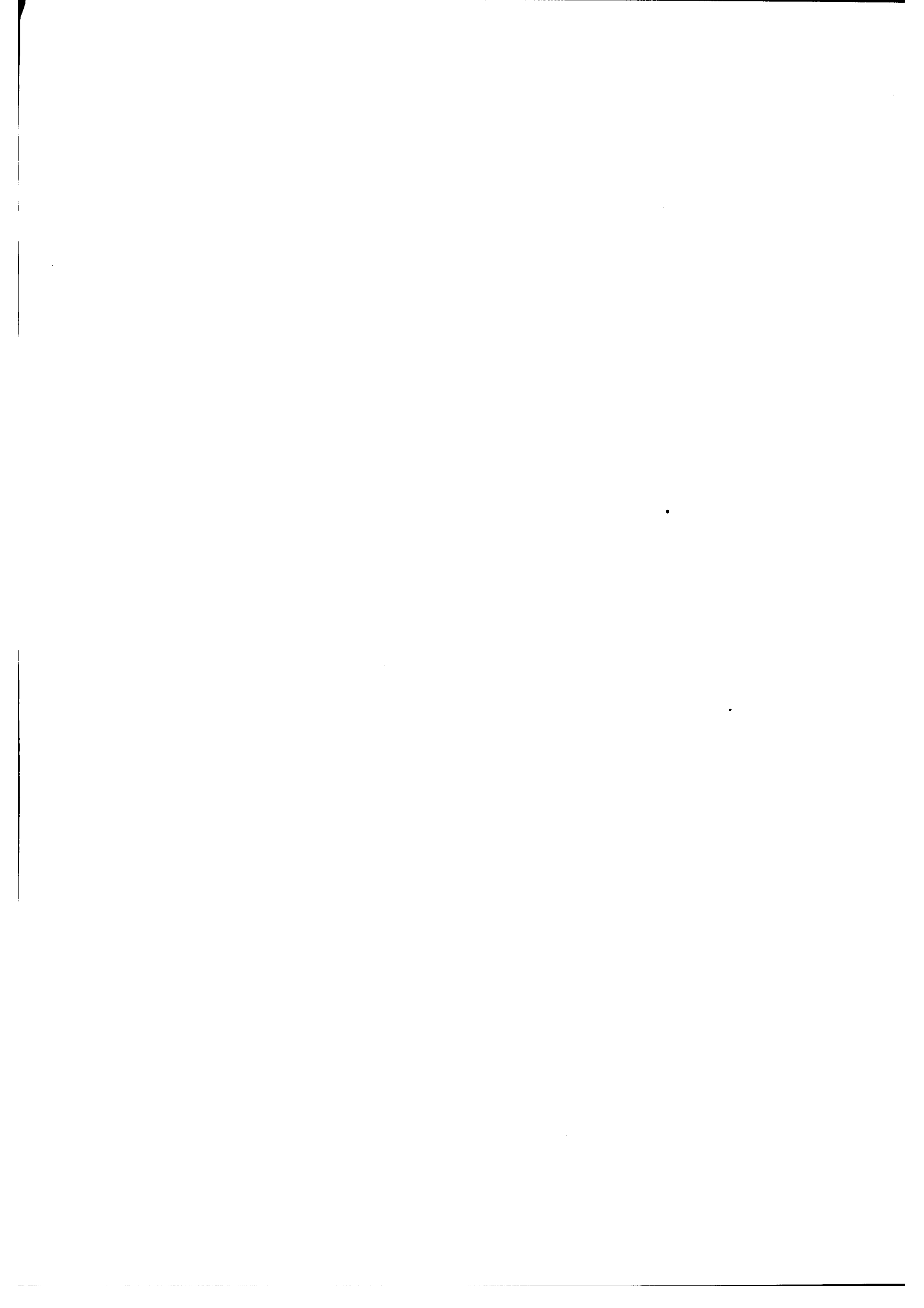


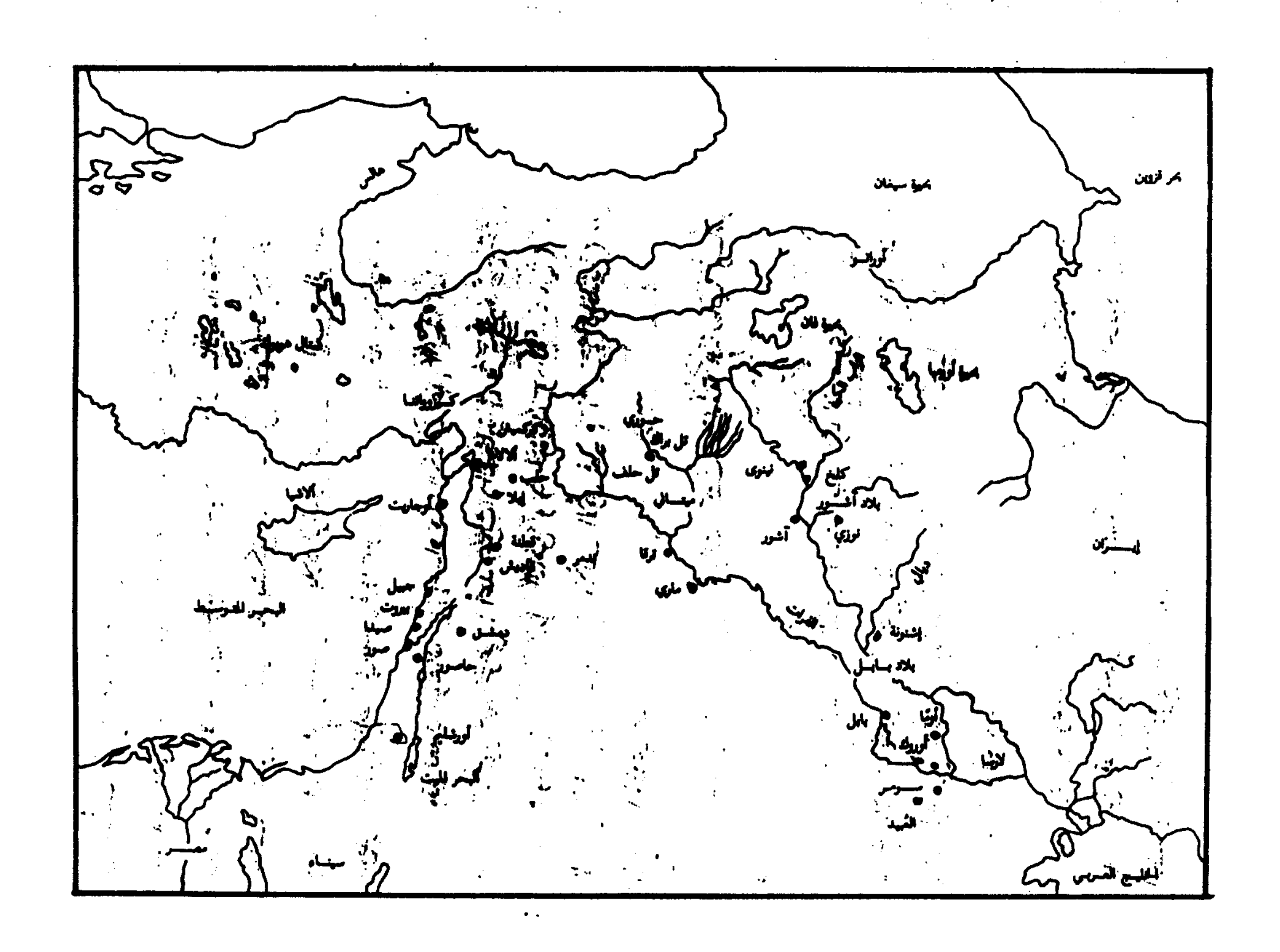
خريطة رقم ١٢: الخريطة الجغرافية لسوريا





خريطة رقم ١٣ : مملكة ابله (تل مرديخ) وممالك الشرق الأدنى القديم من الألف الثالث قبل الميـــــلاد





خريطة رقم ١٤: حضارة بلاد ما بين النهرين (الرافدين)

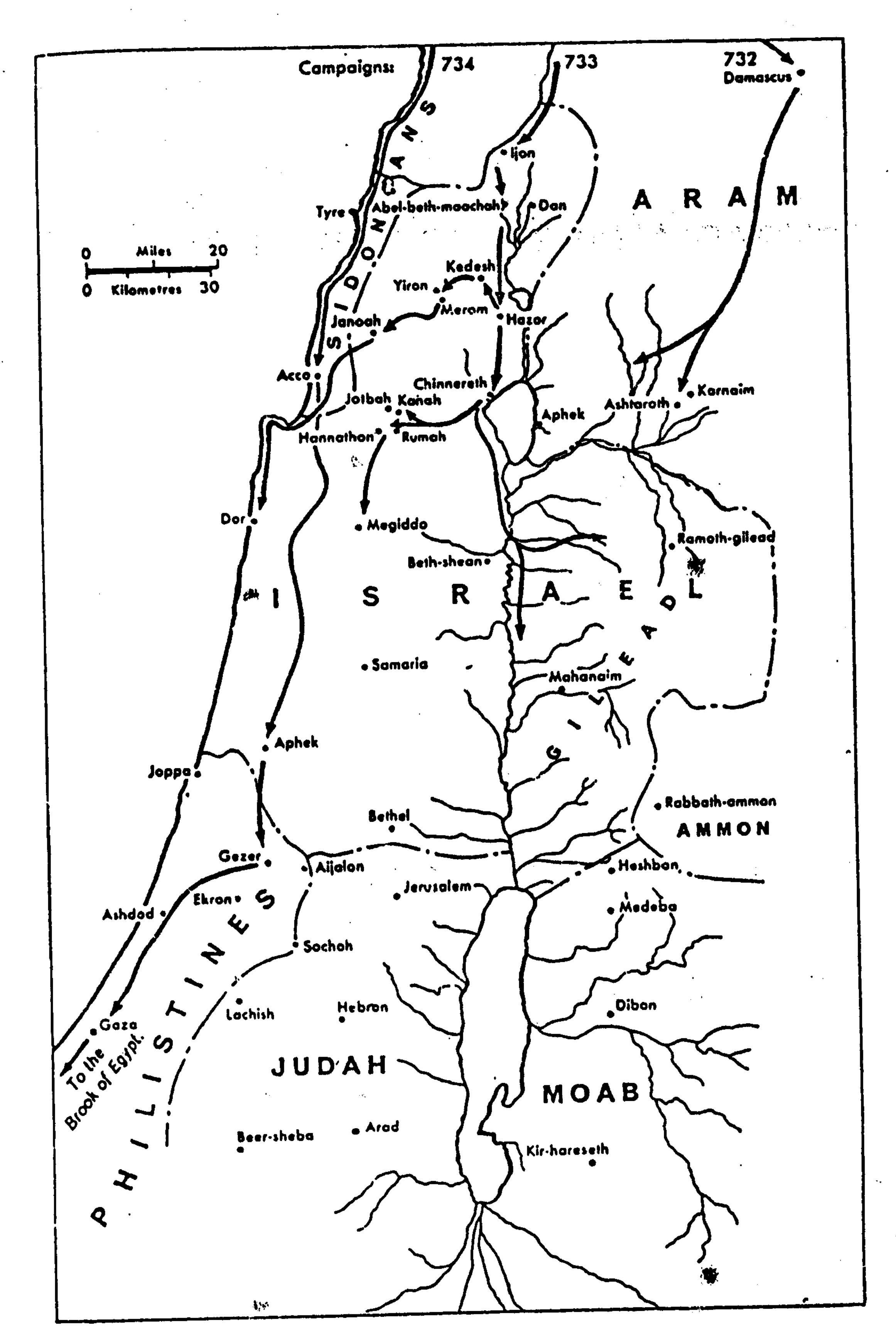


ASIA MINOR
MT. ARARAT
TAURUS
MTS
EMPIRE OF
SARGON
SYRIA
400 km
250 miles
AKKAD
Kish
Memphis
ARABIAN
DESERT
EGYPT
© Frank E. Smitha 2000



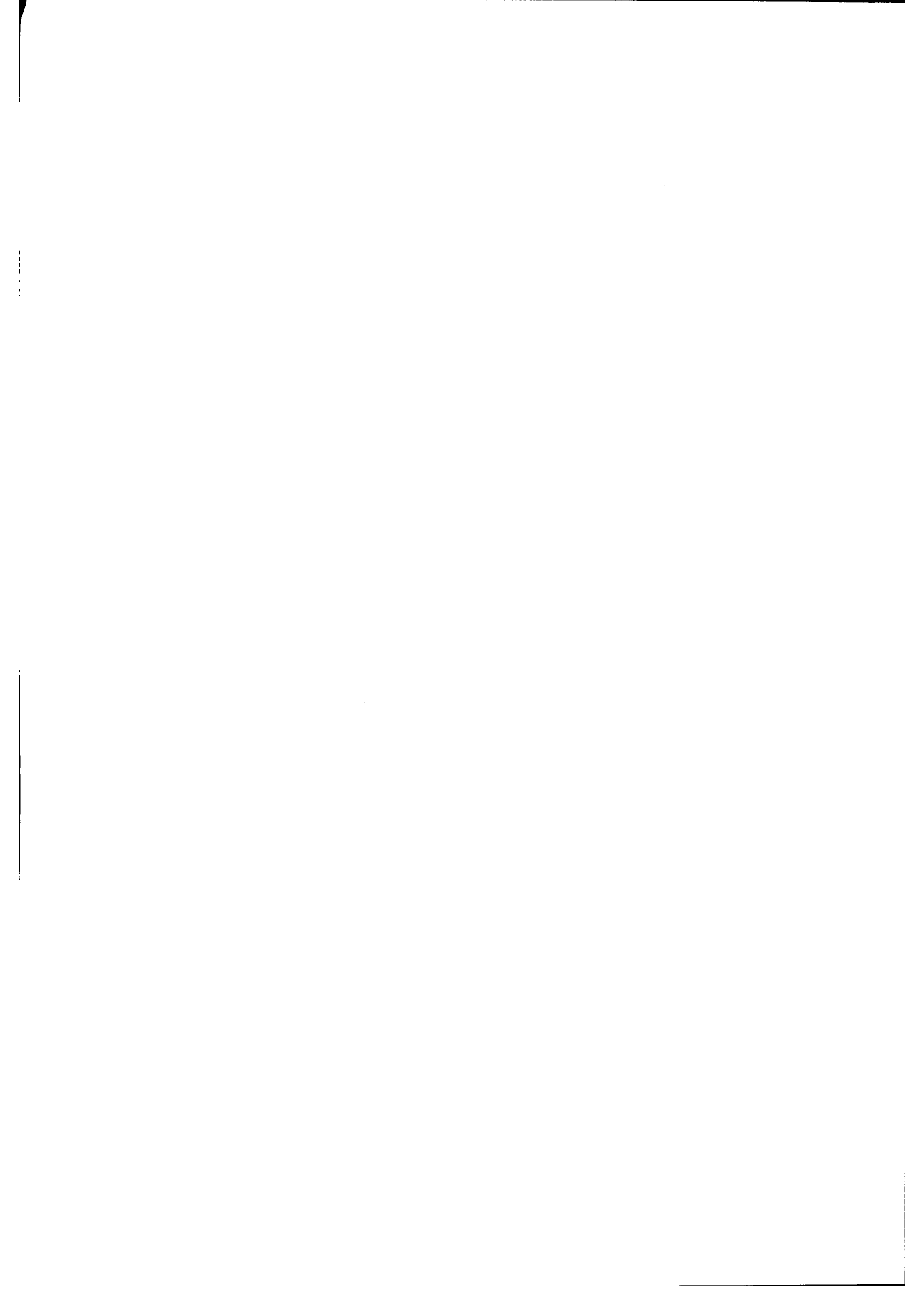
رأس سرجون / نحاس/

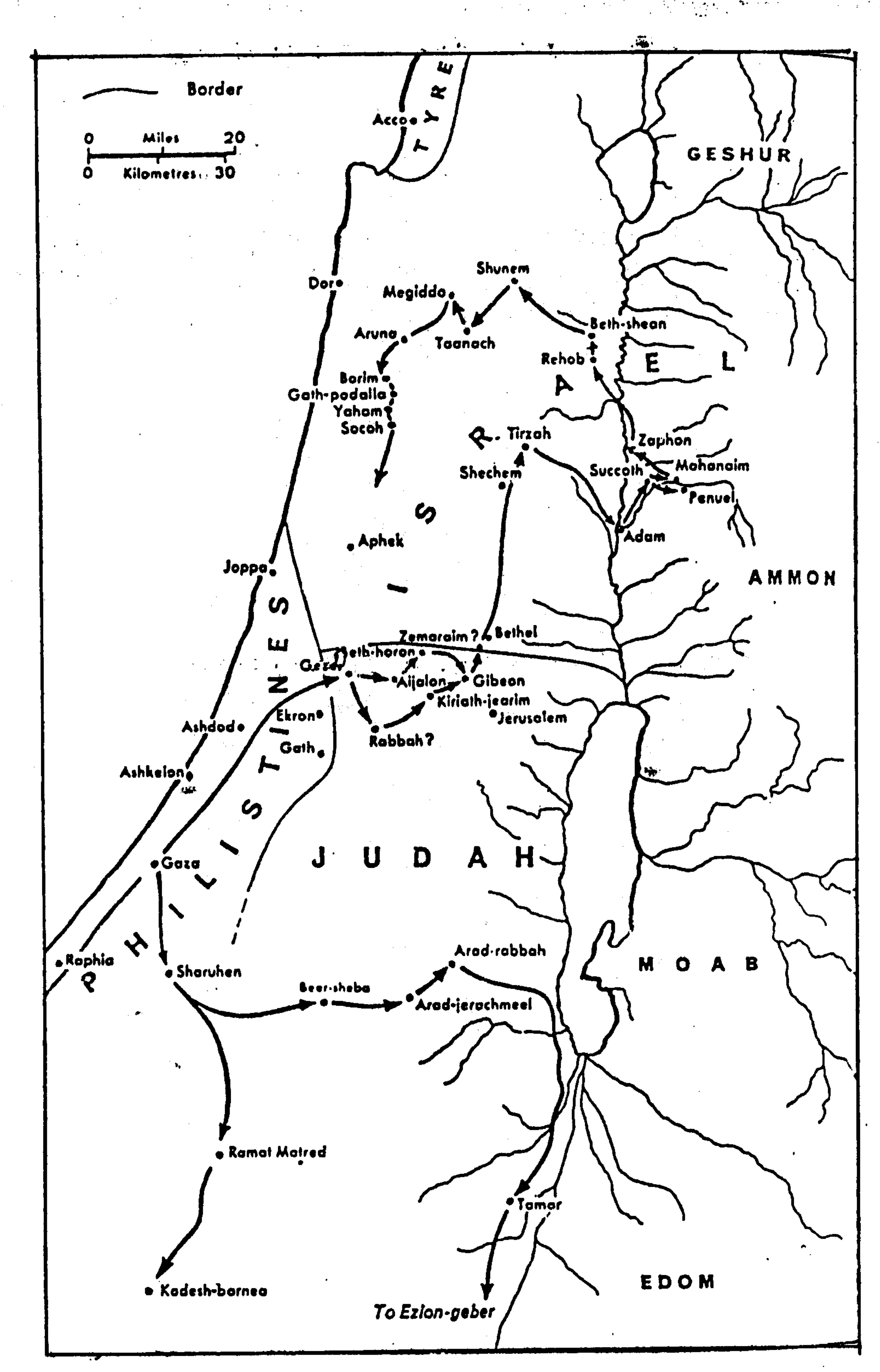
خريطة رقم ١٥: امبراطورية سرجون ا لاكـــدي ، بلاد الرافدين



The Campaigns of Tiglath-pileser III.

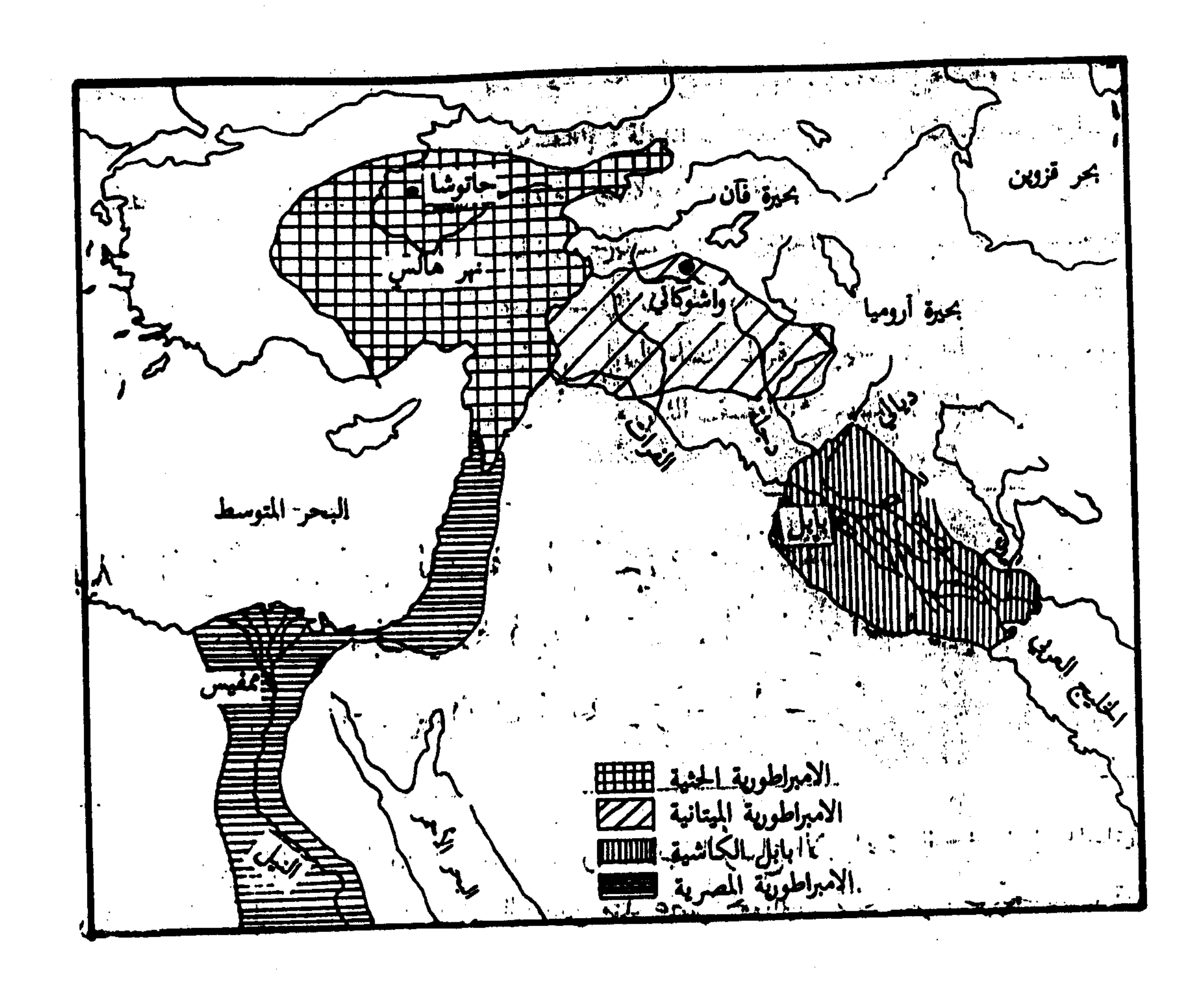
خريطة رقم ١٦: حملات تجيلات بليـــــسر



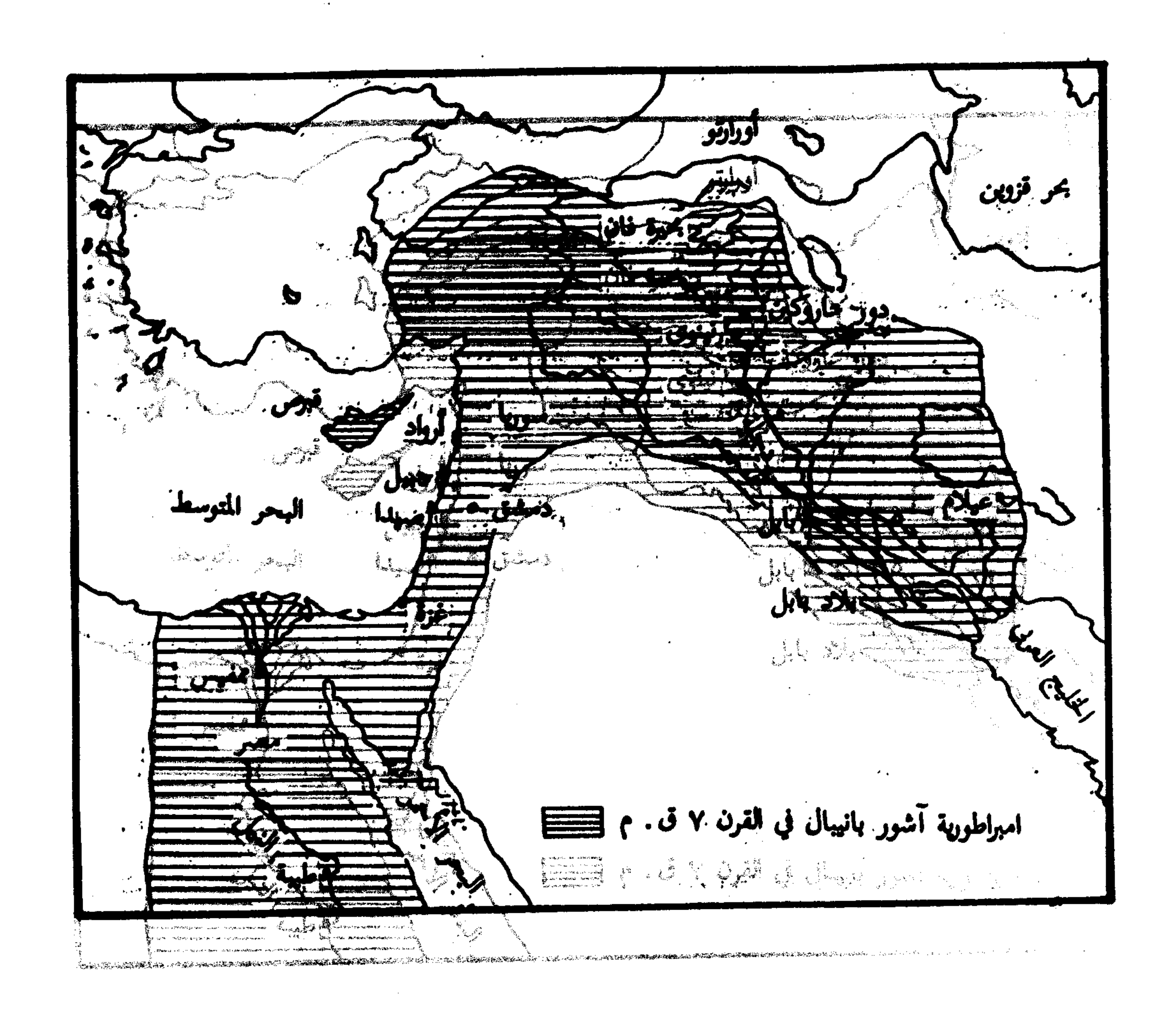


The Campaign of Shishak.

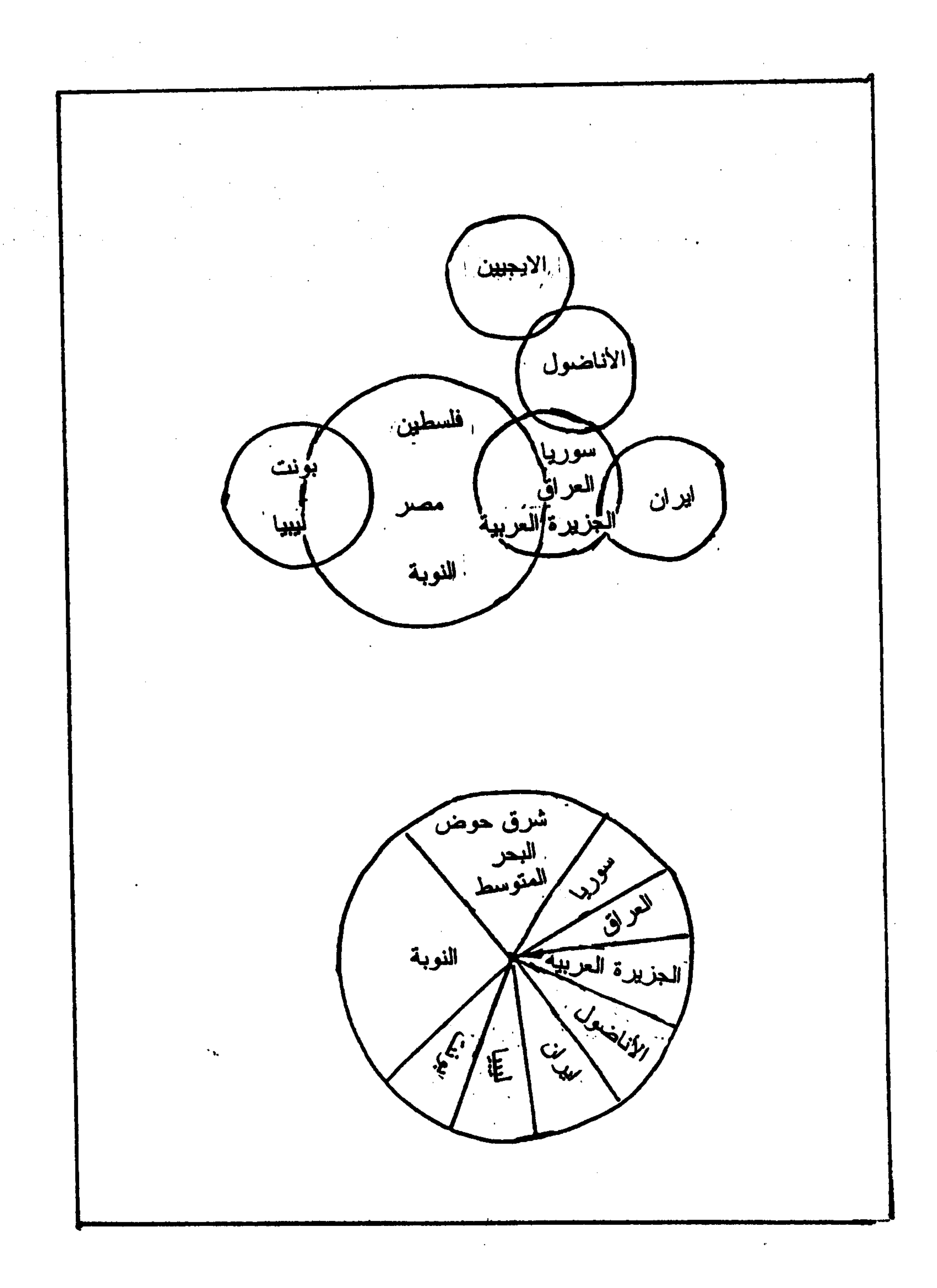
خريطة رقم ١٧: حملات شاشانق ، الألف الأول قبل الميلاد



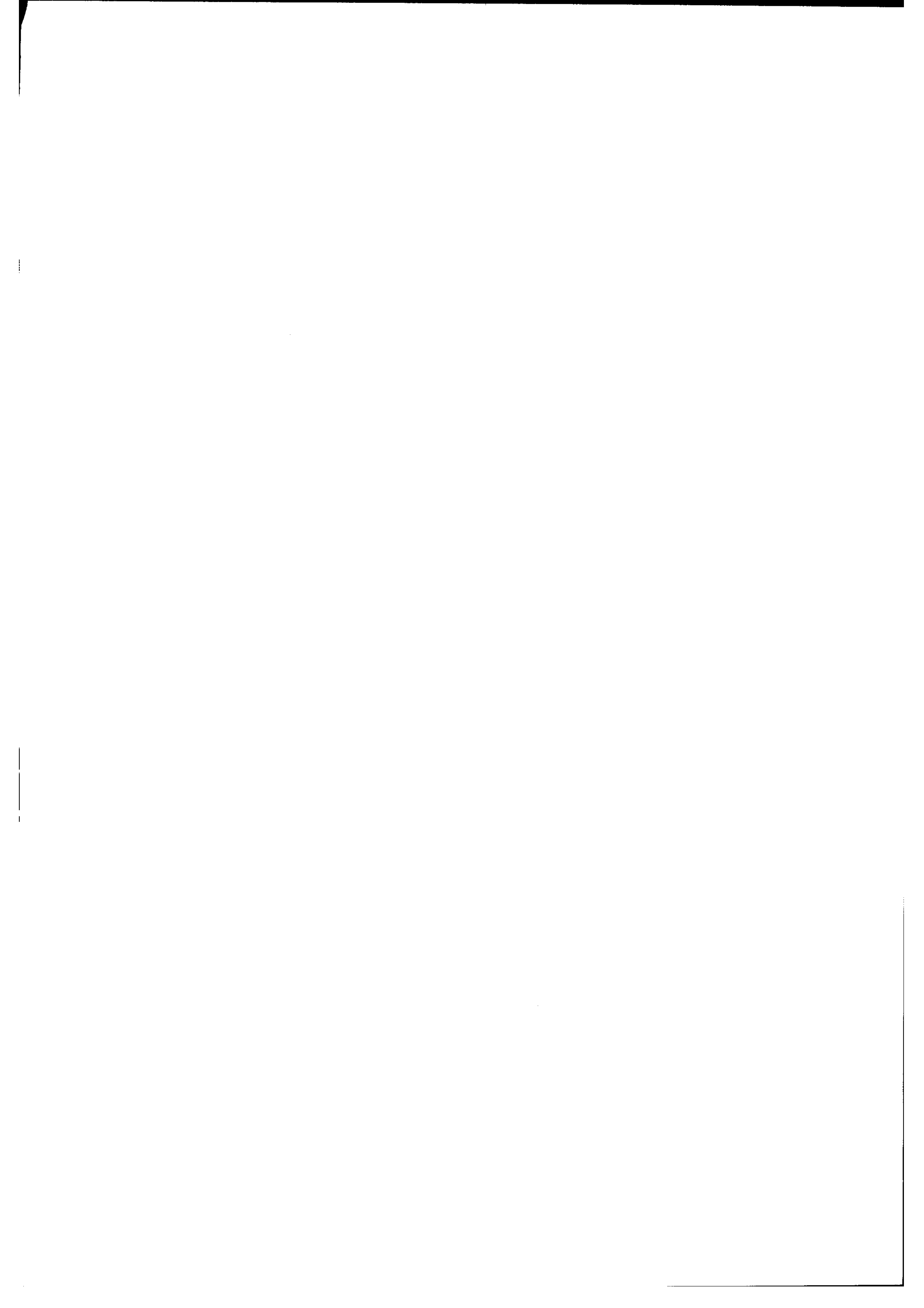
خريطة رقم ١٨: الشرق الأدنى القديم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد

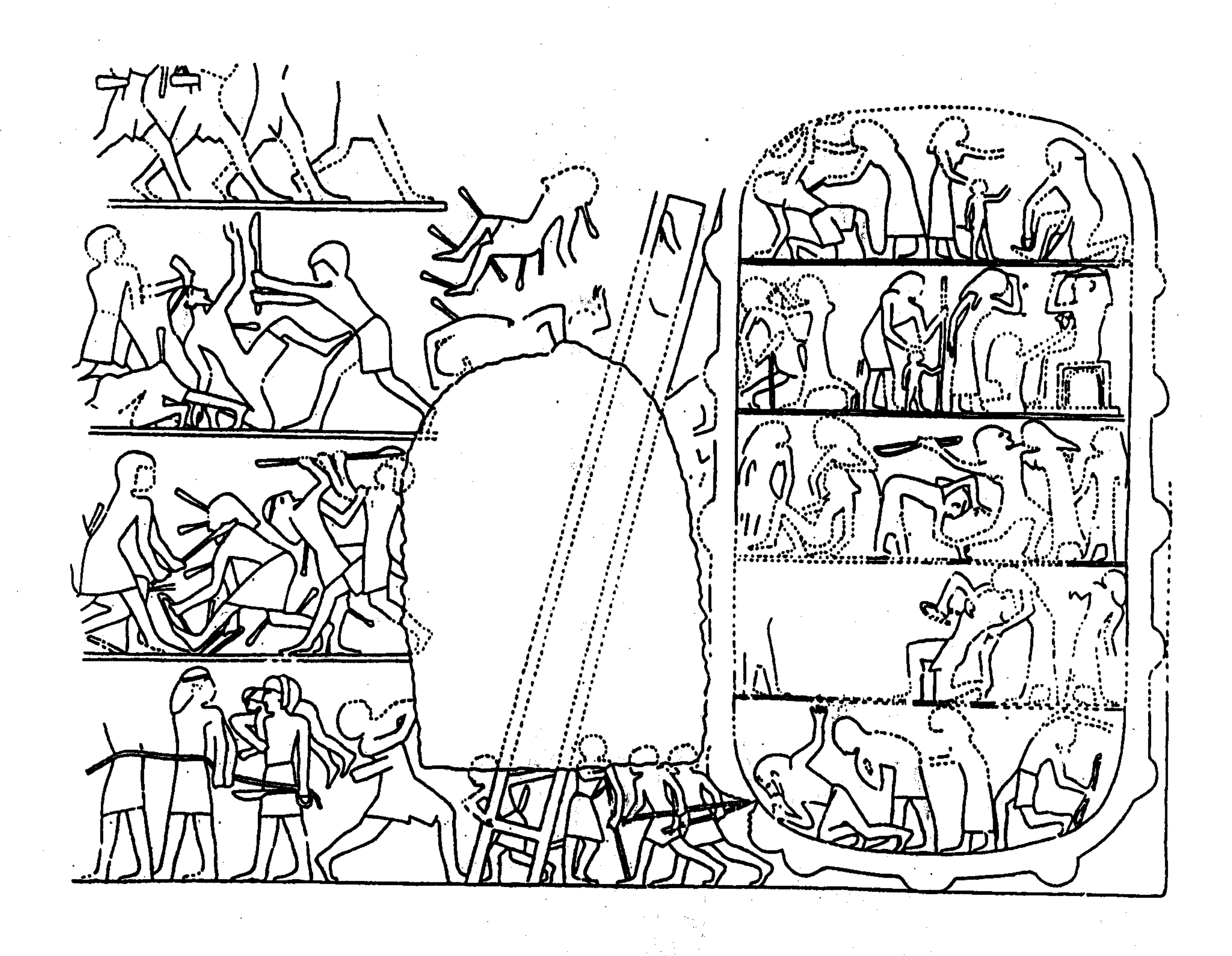


خريطة رقم ١٩: إمبراطورية آشور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد



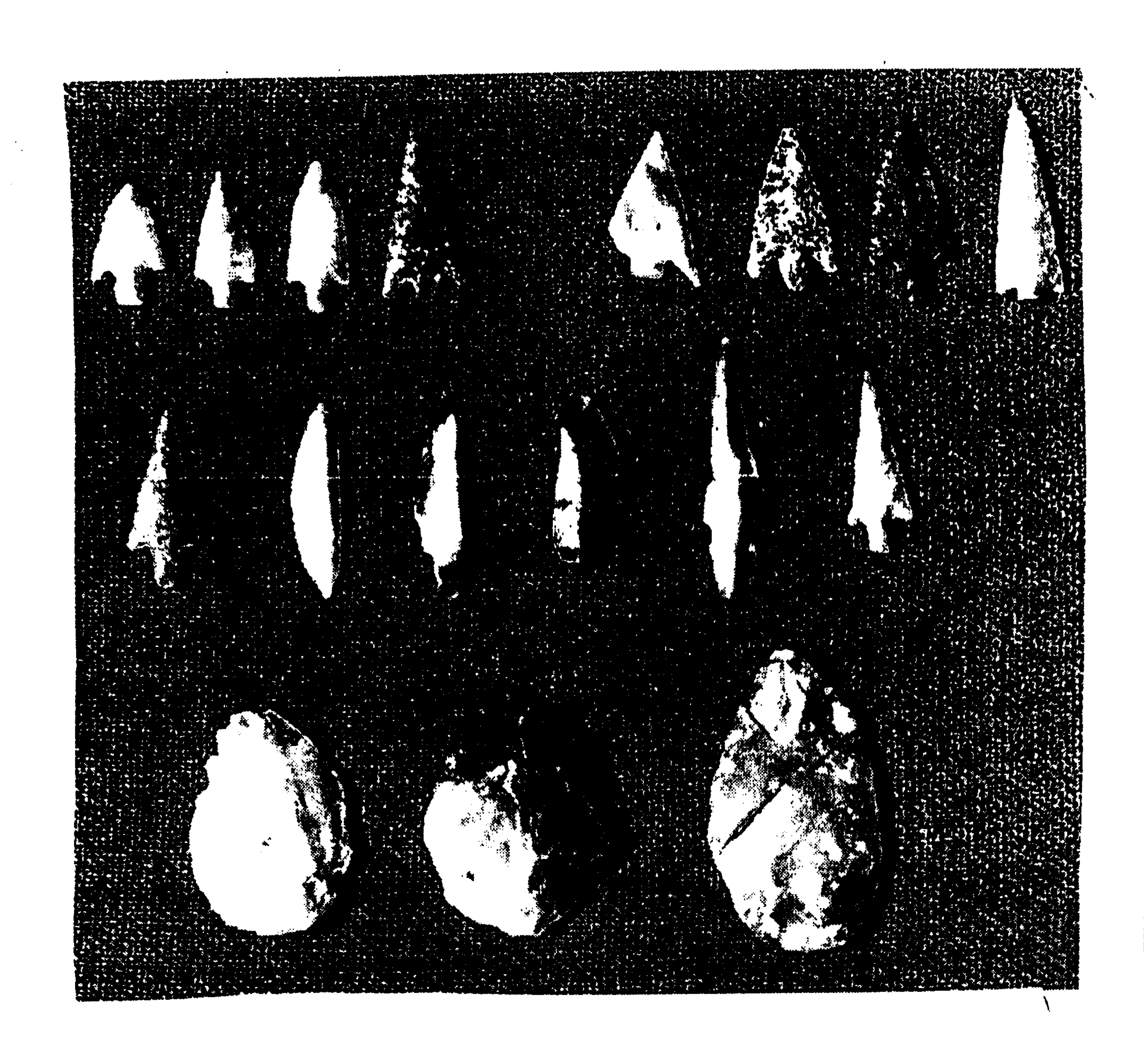
شكل رقم ١: علاقات مصر الخارجية في العصر الفرعوني



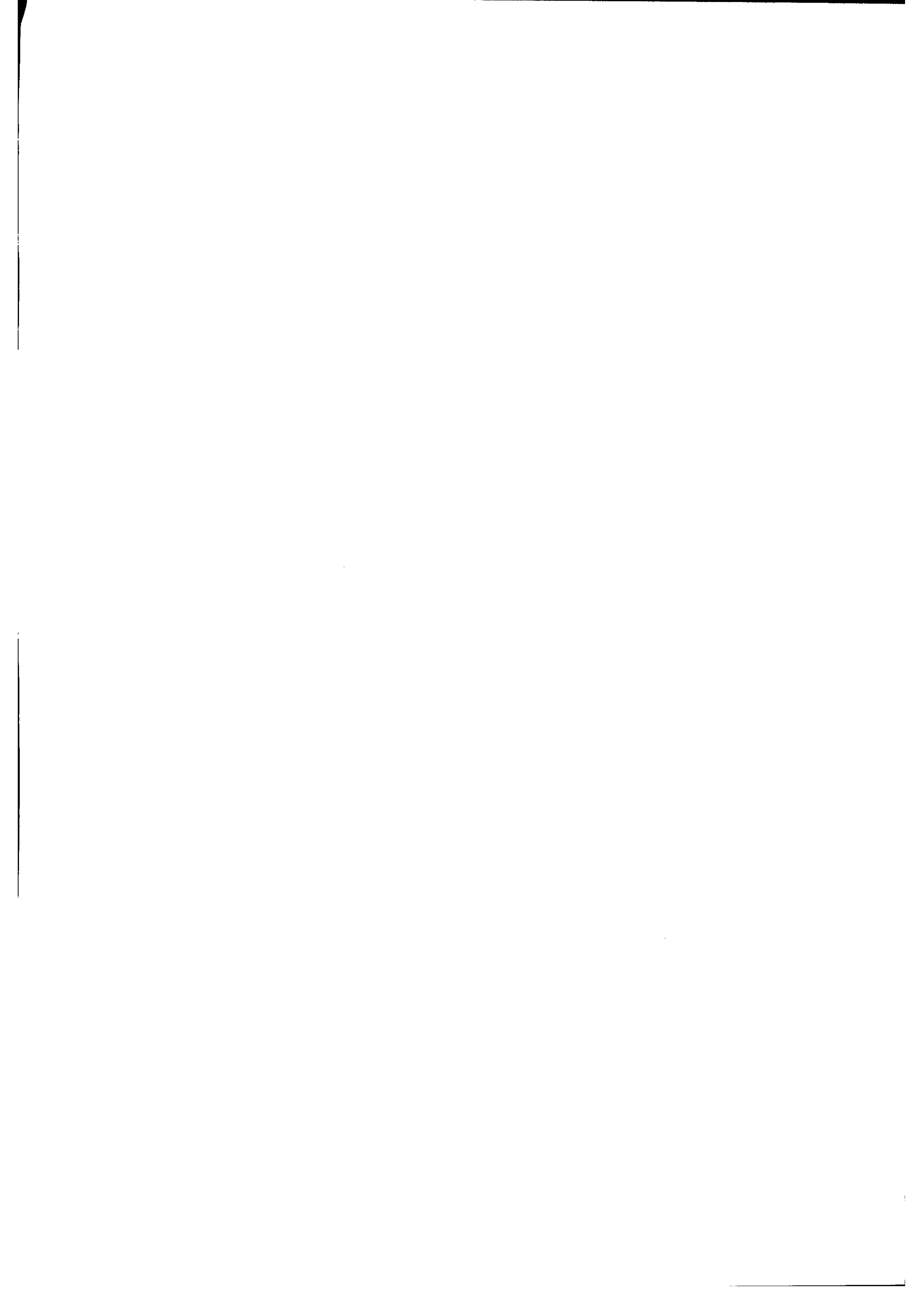


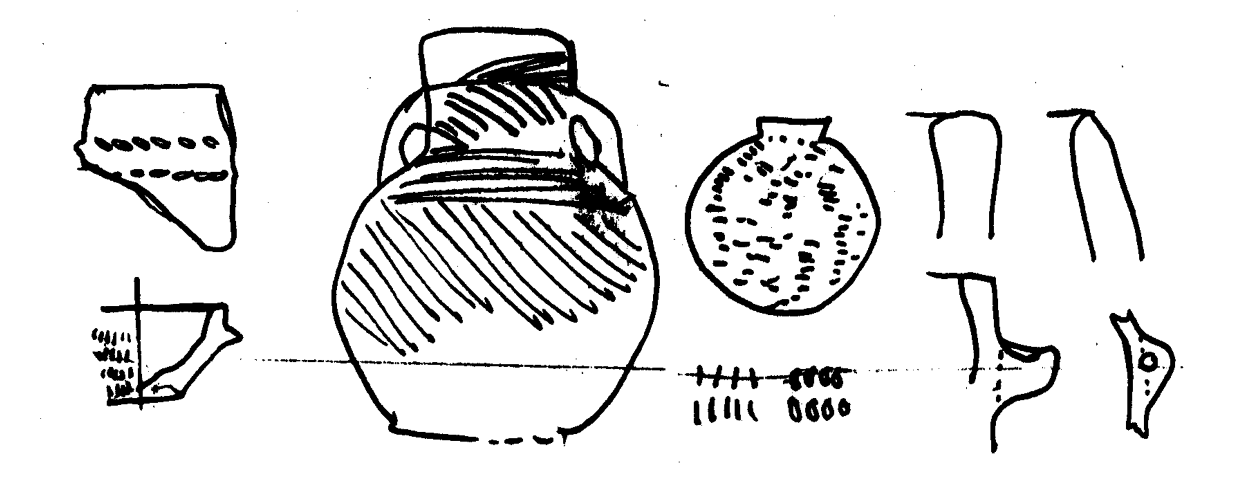
شكل رقم ٢: مناظر الهجوم المصرى ضد حصن نديا - مقبرة انتى



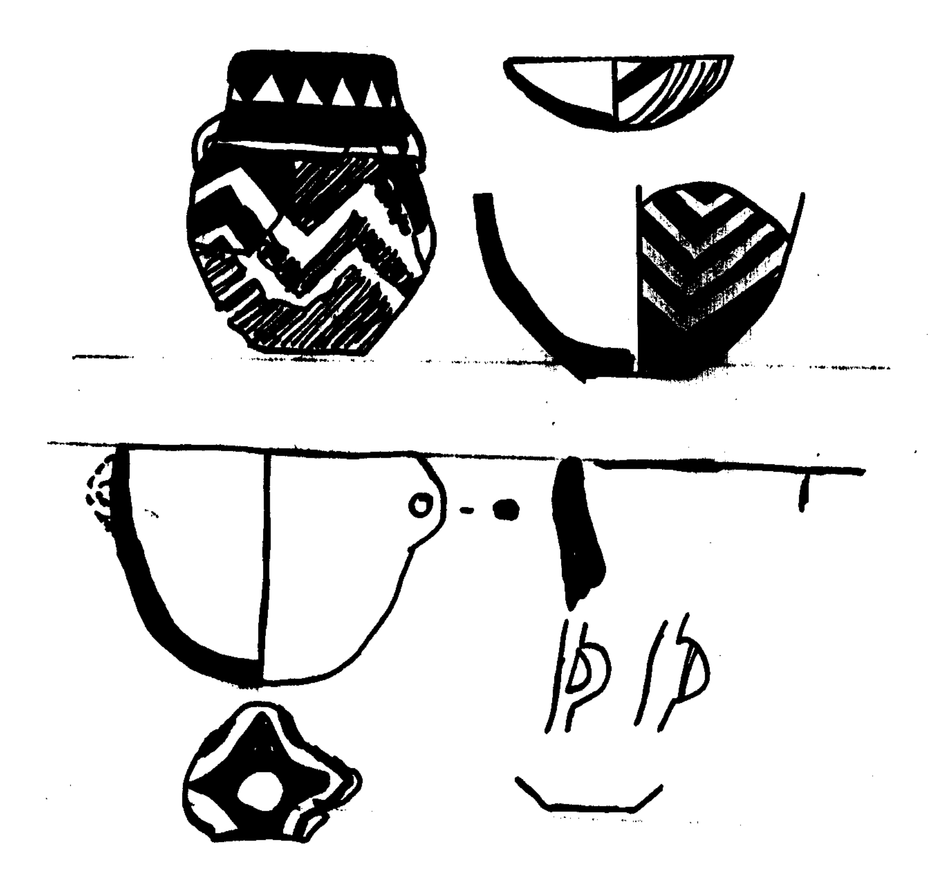


شكل رقم ٣: رؤوس سهام صوانية وفؤوس حجرية .



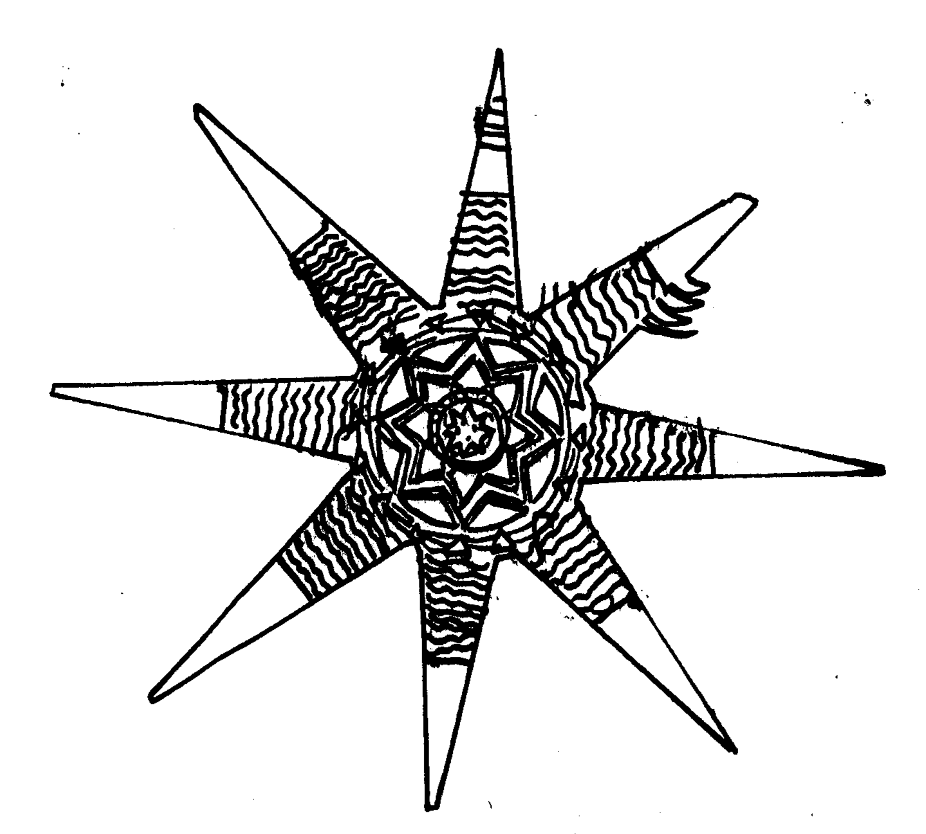


شكل رقم ٤: أنماط فخارية من العصر النيوليثي الوسيط في فلسطين

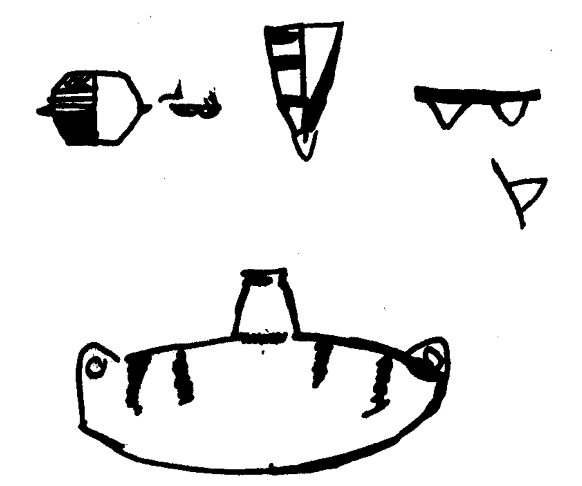


شكل رقم ٥ : أنماط فخارية من العصر النيوليثي المتأخر في فلسطين

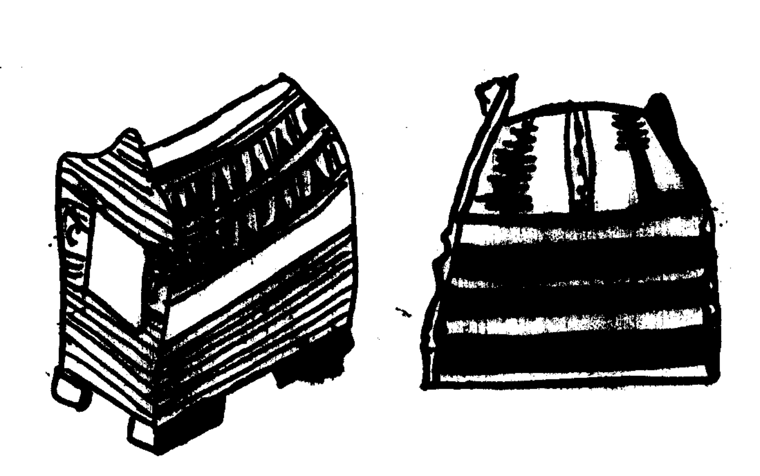




رسم ملون علي الحائط من تليلات الغسول، فلسطين

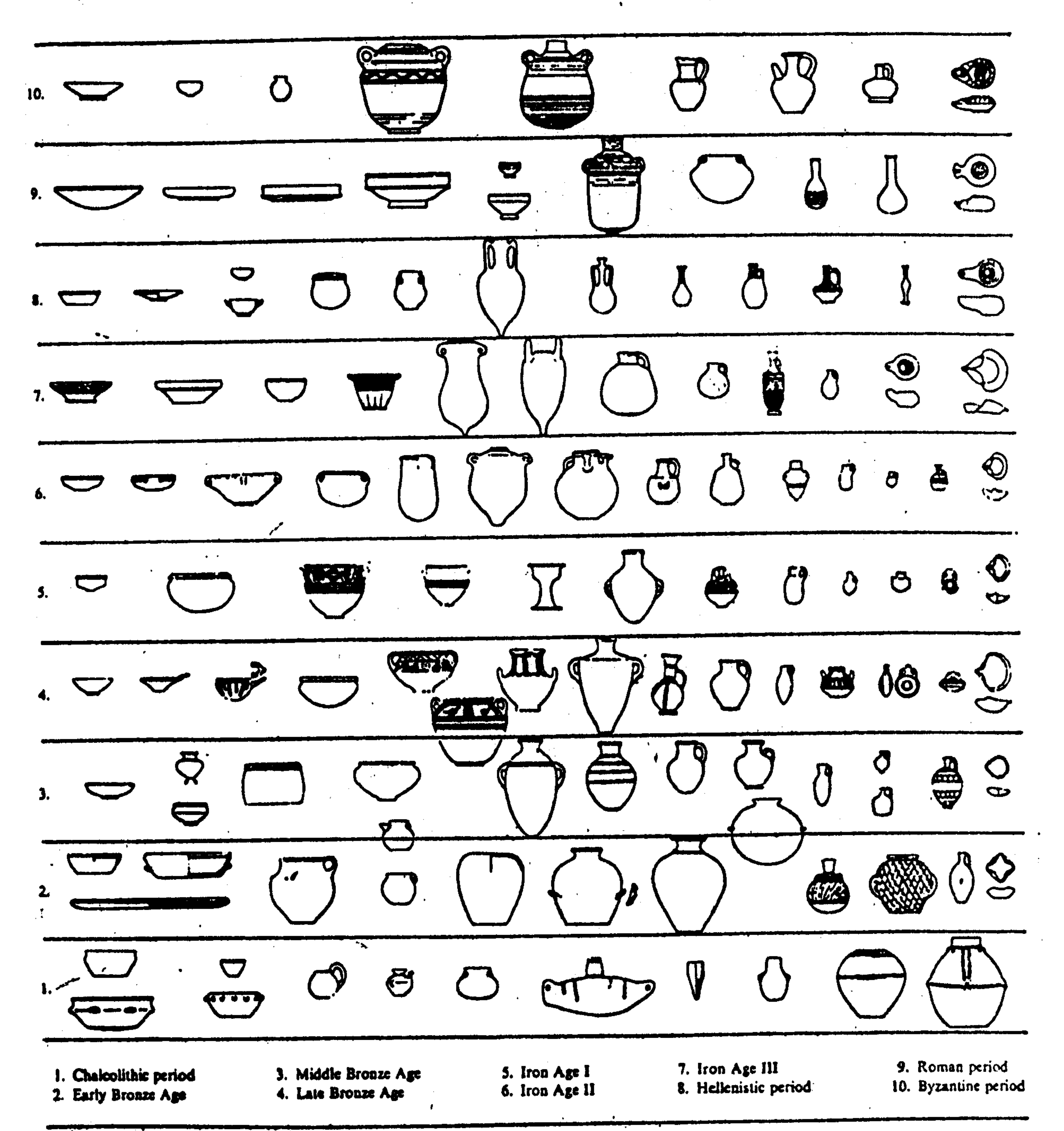


خار العصر الحجري النحاسي ، فلسطين



أواني فخارية بهيئة منازل لحفظ عظام الموتي، تليلات الغسول

شكل رقم ٦ : أنماط حضارية من الحضارة الغســـــولية



Characteristic types of pottery of the archaeological periods, as above

شكل رقم ٧: التقسيمات الرئيسية لأنماط الفخار في فلسطين من العصر الخالكوليثي حتى العصر البيزنـــطي



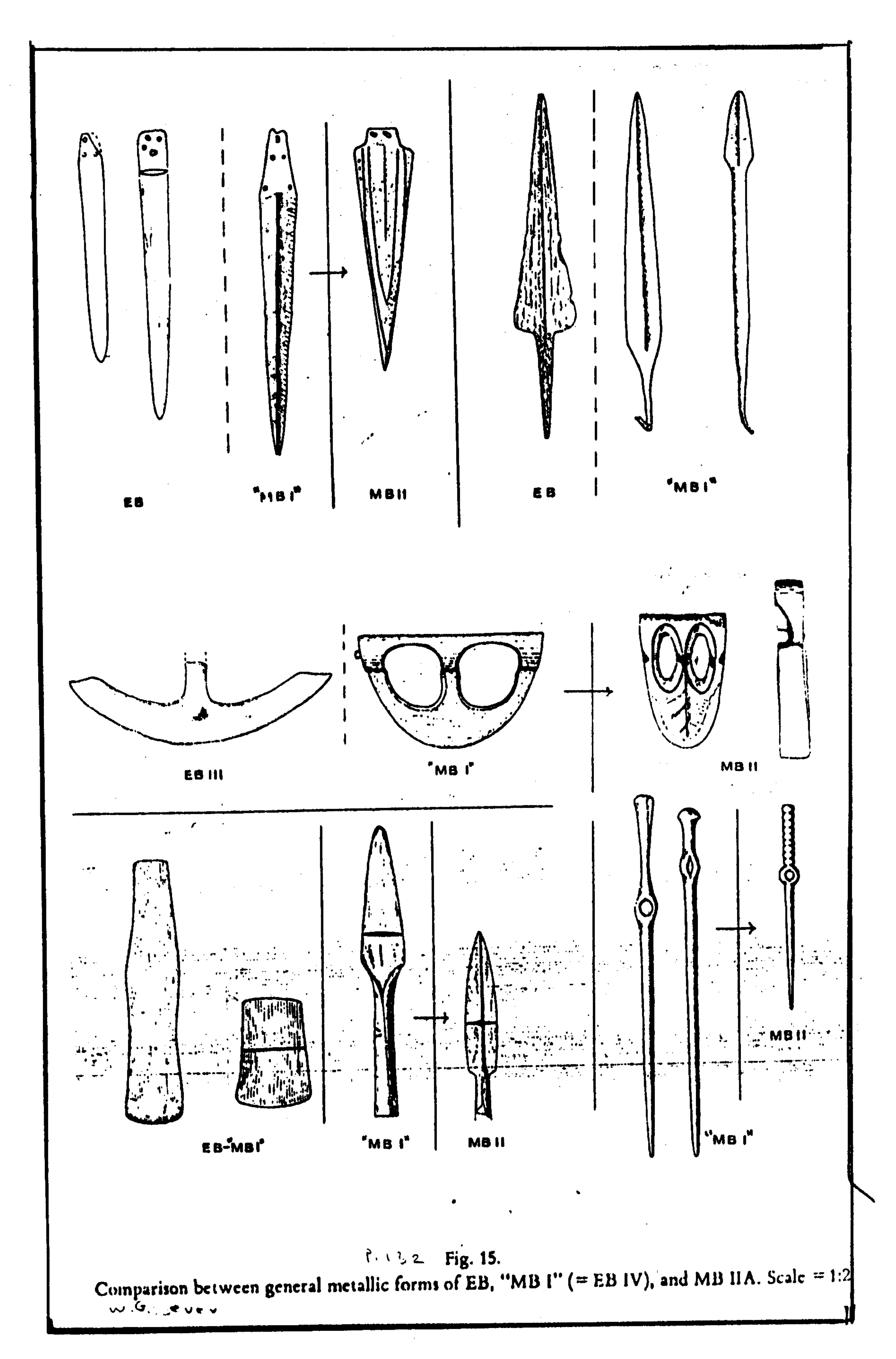
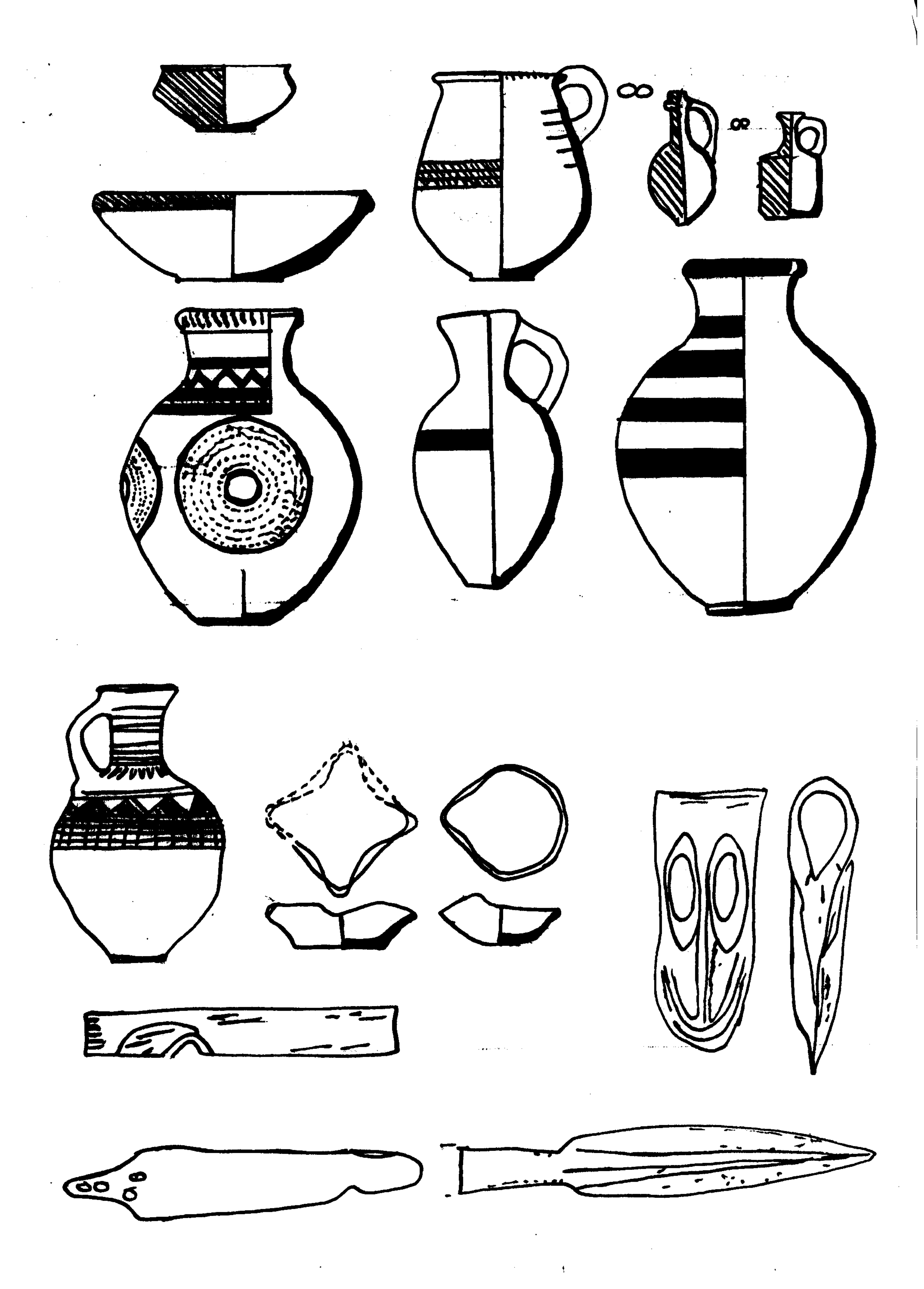
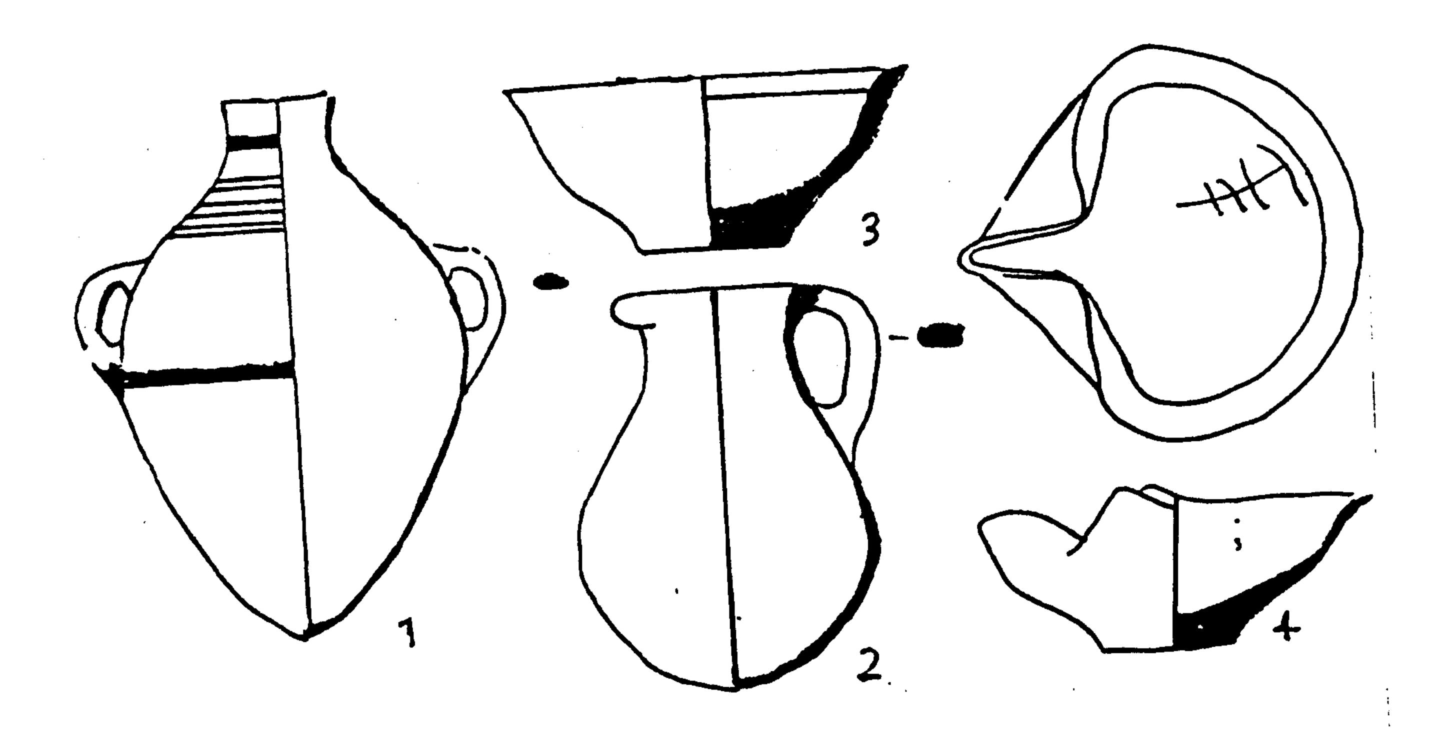


Fig. 15.
Comparison between general metallic forms of EB, "MB I" (= EB IV), and MB IIA. Scale = 1:2

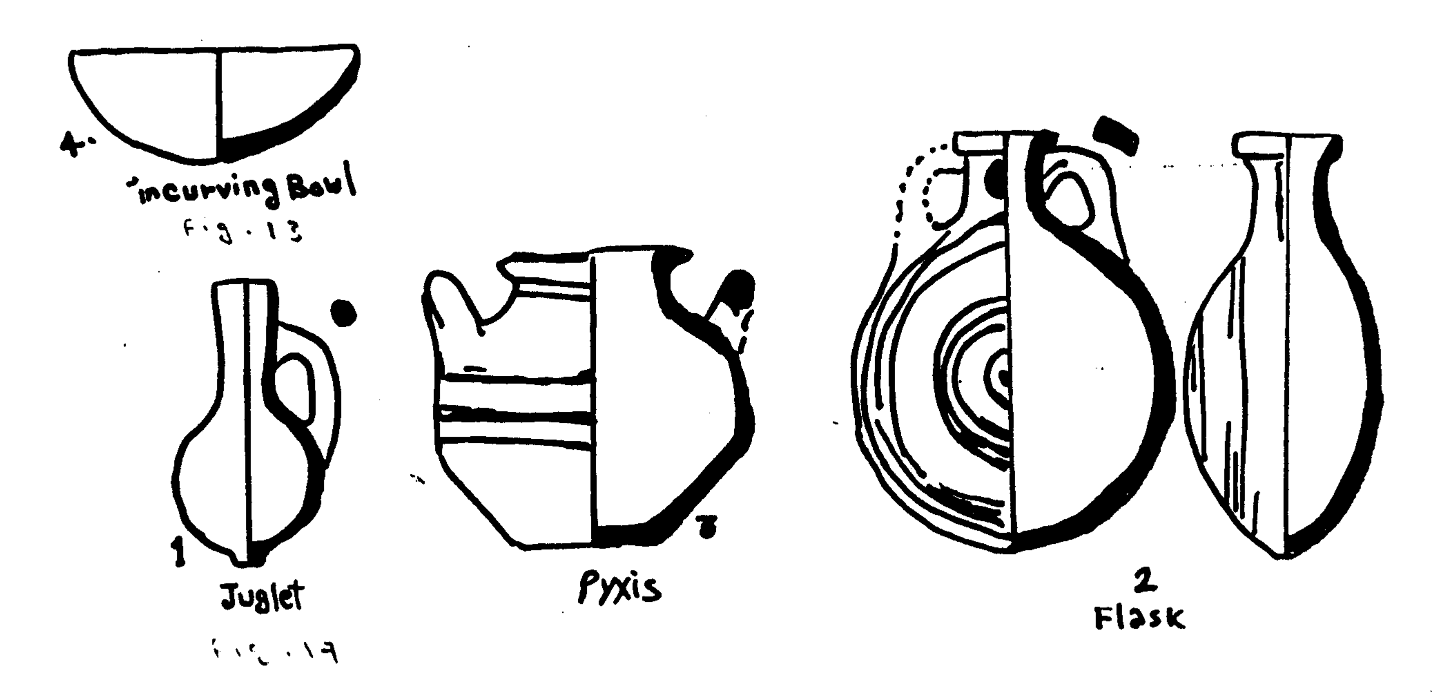
شكل رقم ٨ : مقارنة بين أنماط ا لأسلحة من العصر البرونزي المبكر والوسيط



شكل رقم ٩: نماذج من فخار وأسلحة العصر البرونزي الوسيط ،فلسطين

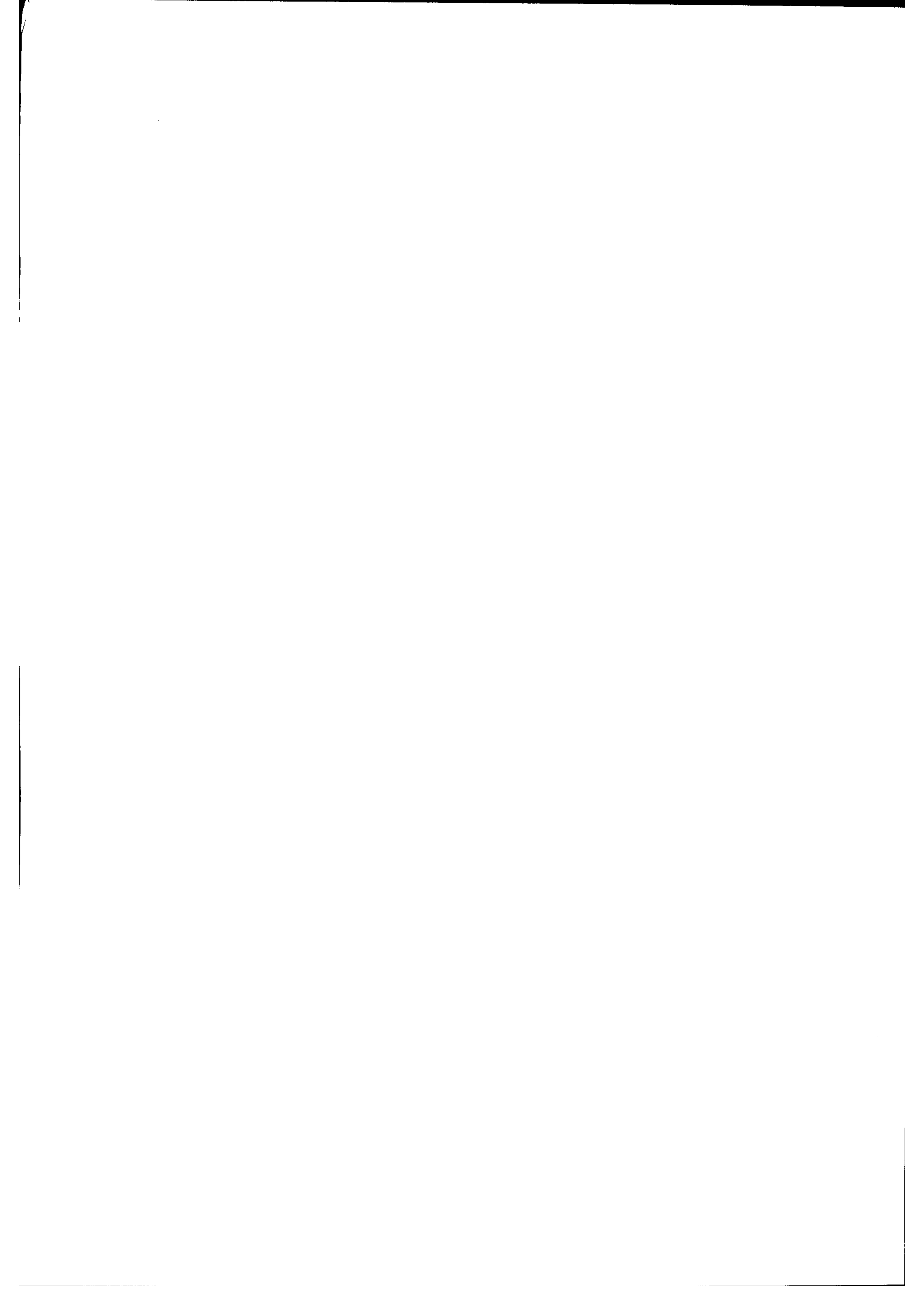


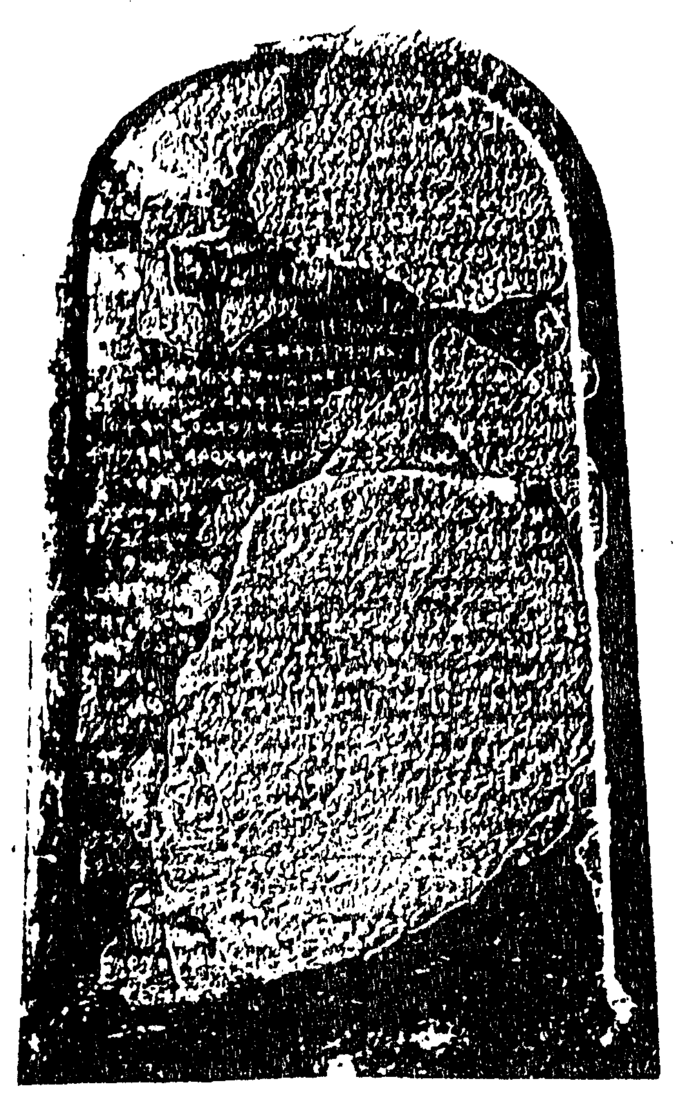
فخار من العصر الحديدي - موقع بيلا <فحل>



فخار من العصر الحديدي الأول في دوره الثاني من تل السعيدية

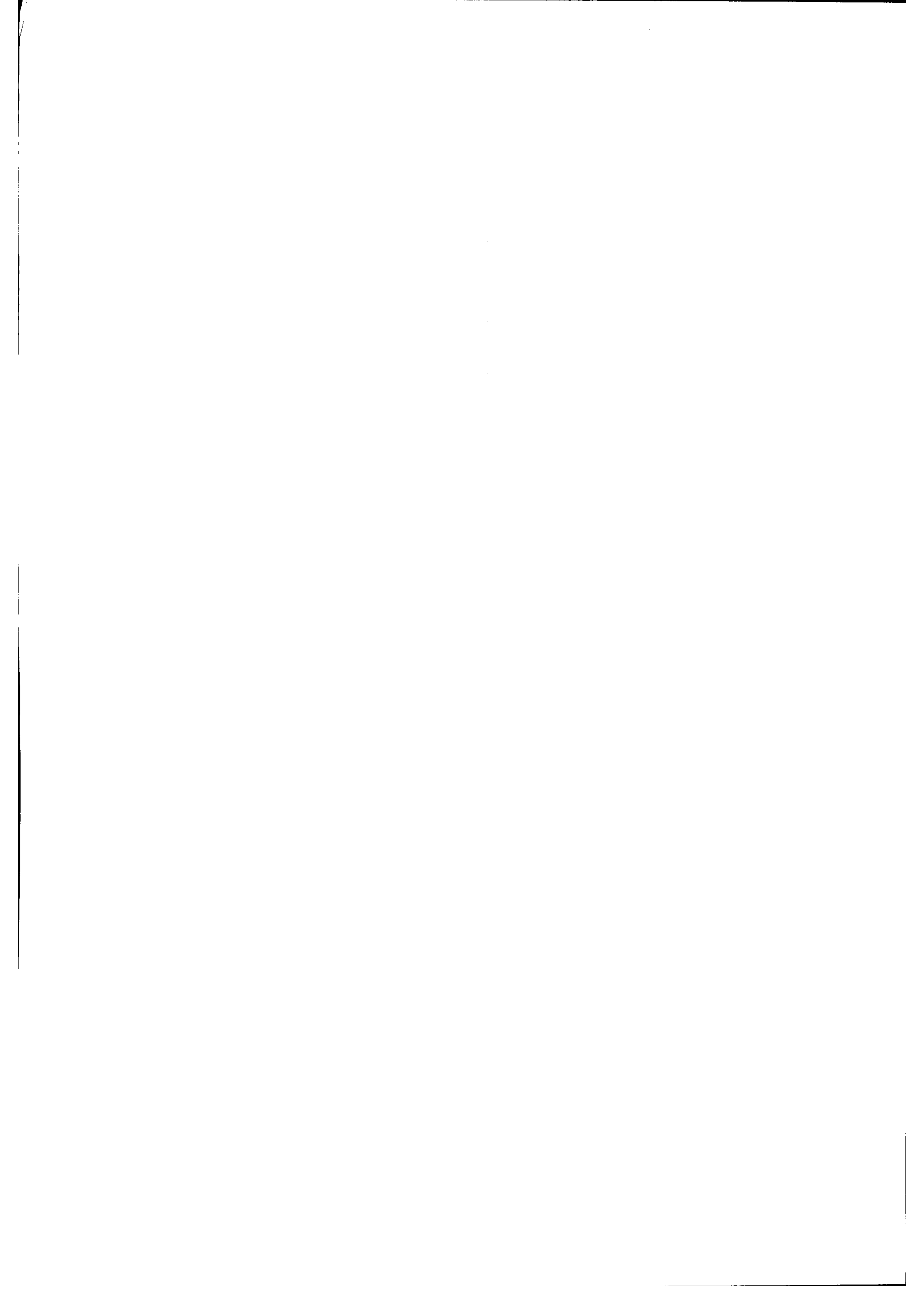
شكل رقم ١٠: انماط فخارية مختلفة من حضارات شرق نهر الأردن

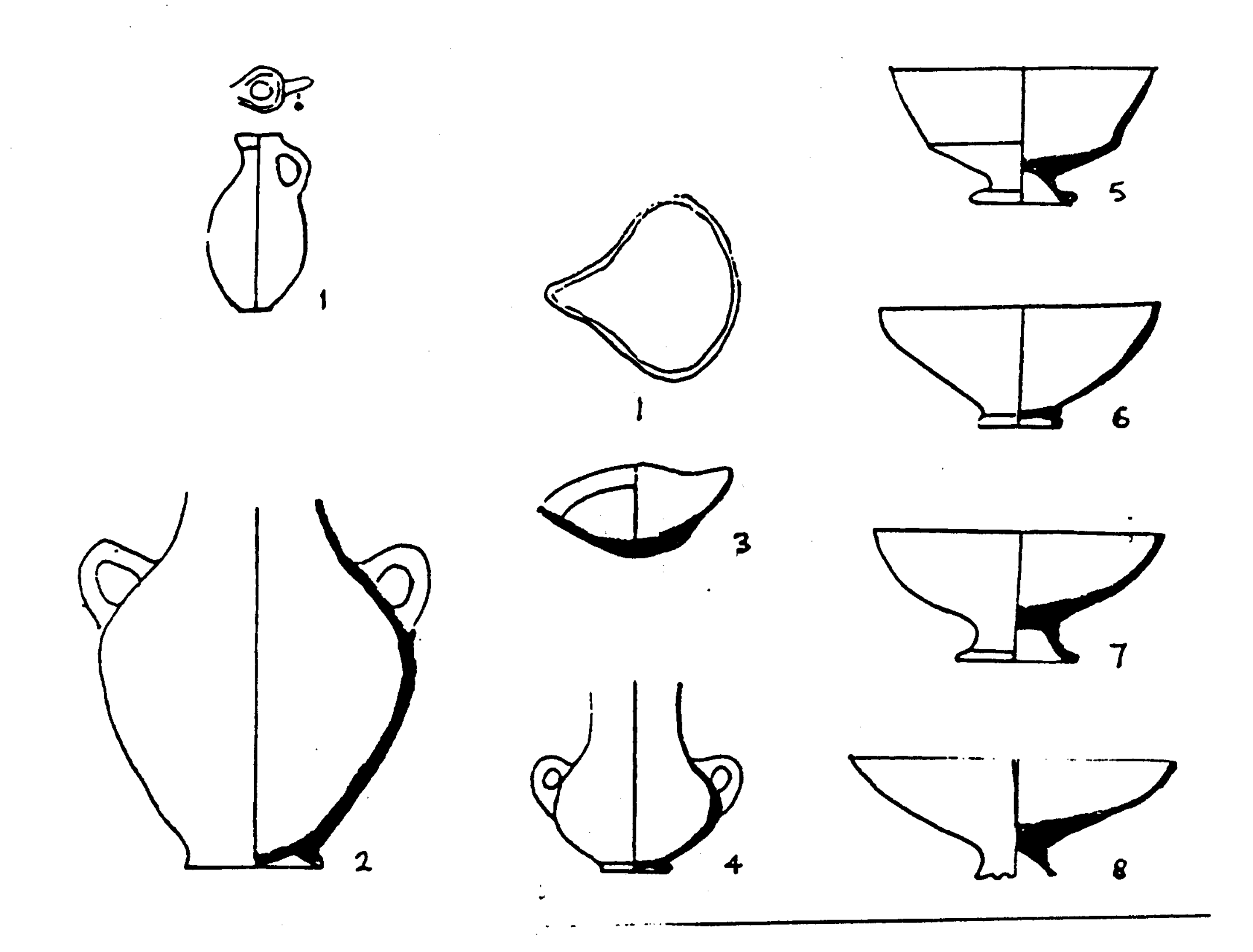




Stele of Mesha, King of Moab

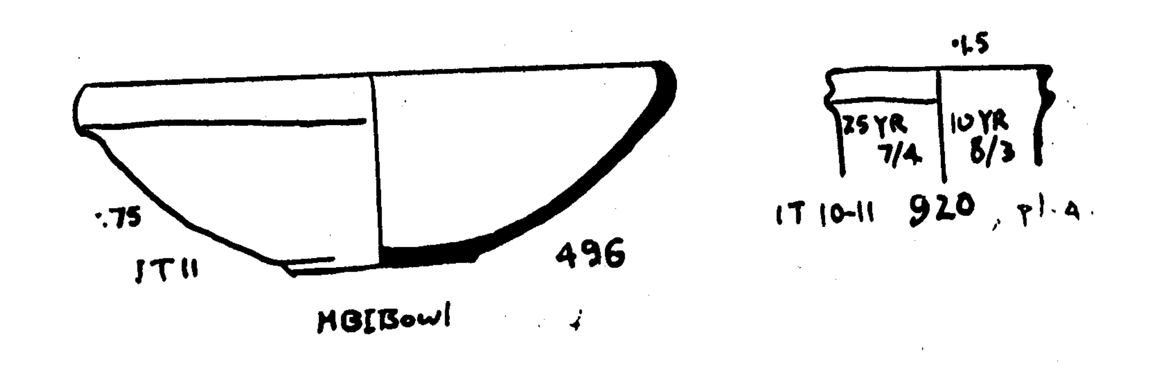
شكل رقم ١١: لوحة الملك ميشـــــع، ملك مؤاب

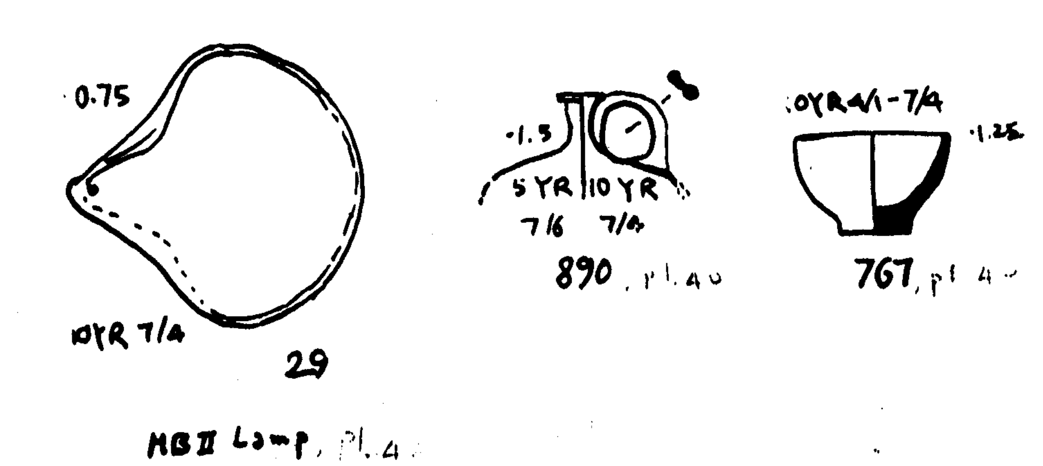


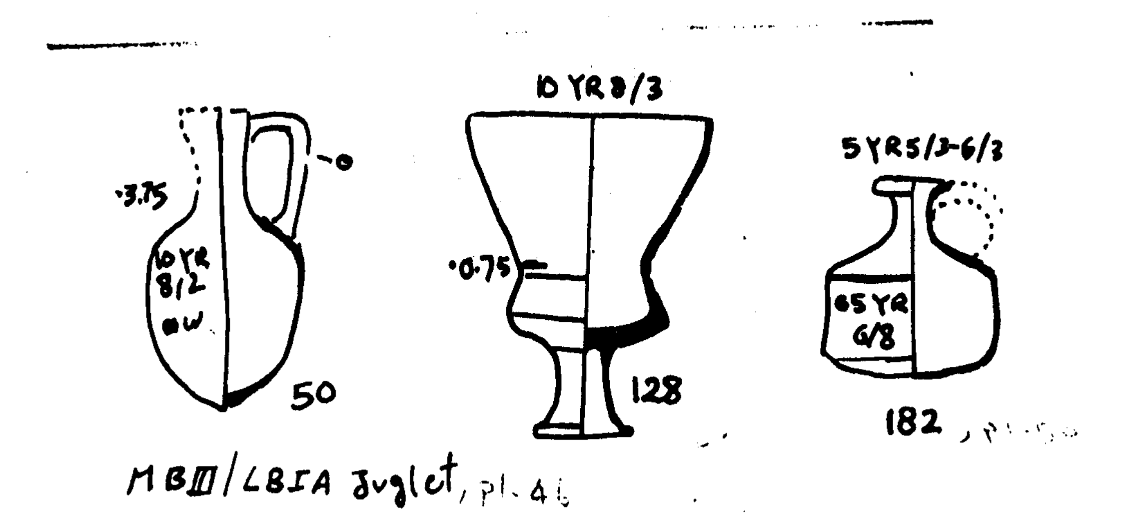


شكل رقم ١٢: فخار من العصر البرونزي المتأخر ، قطرة السمرة ،شرق نهر الأردن

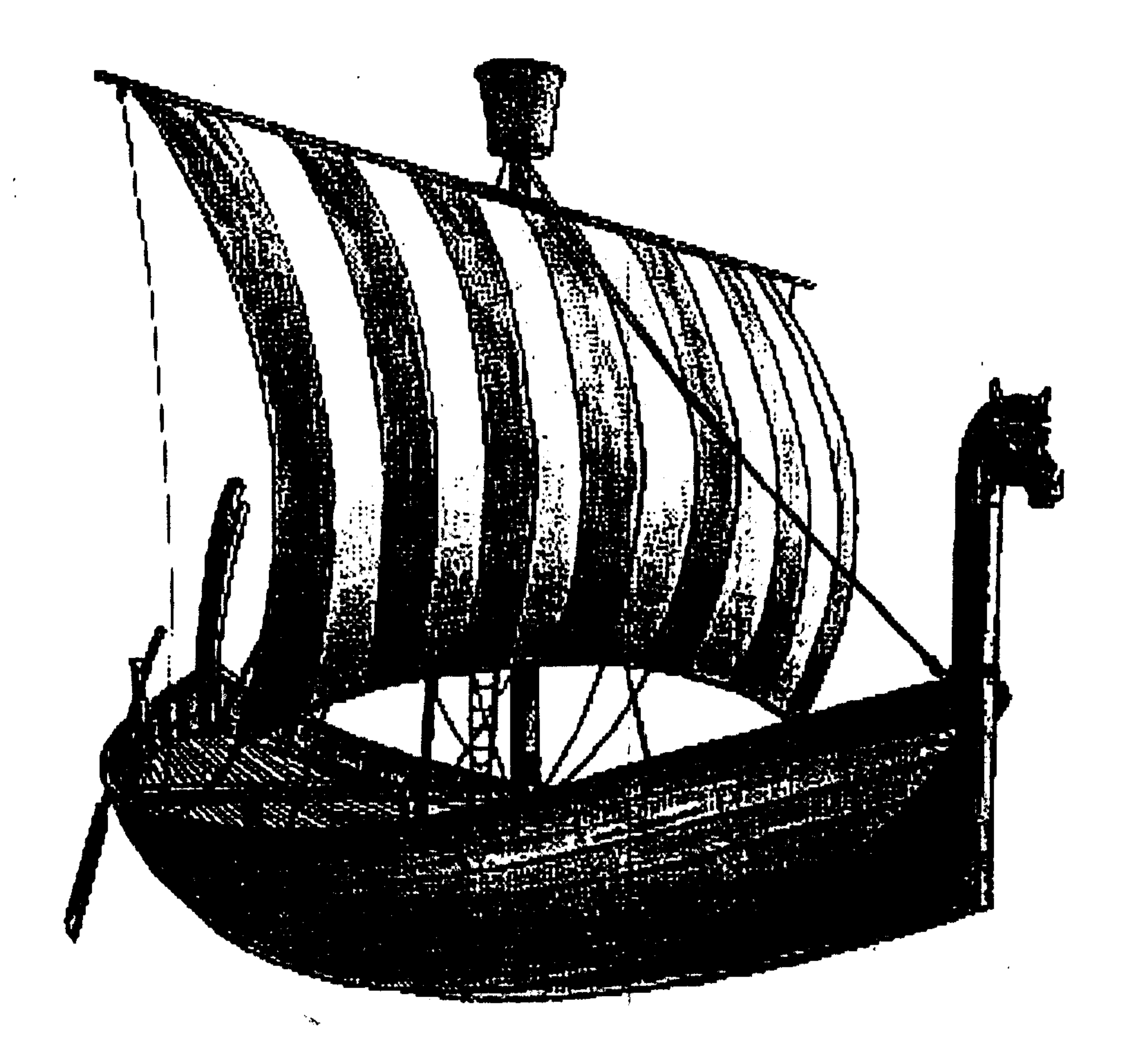






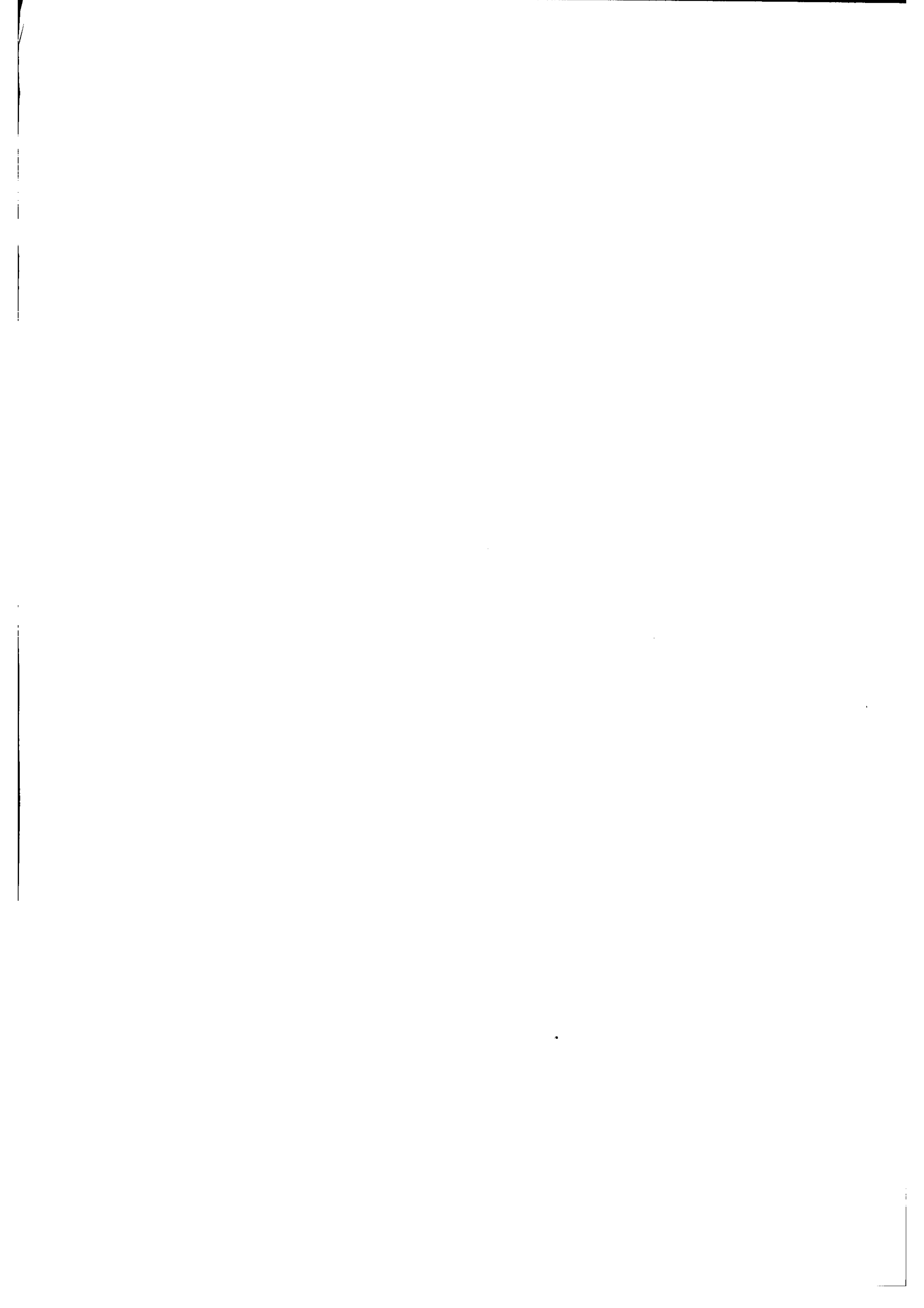


شكل رقم ١٣: فخار من العصر البرونزي الوسيط ، شرق نهر الأردن



سفينة فينيقية شراعية قديمة كانت تستخدم فى الرحلات التجارية. وقد سكن الفينيقيون المنطقة الساحلية شرق البحر الأبيض المتوسط (لبنان وسورية حالياً).

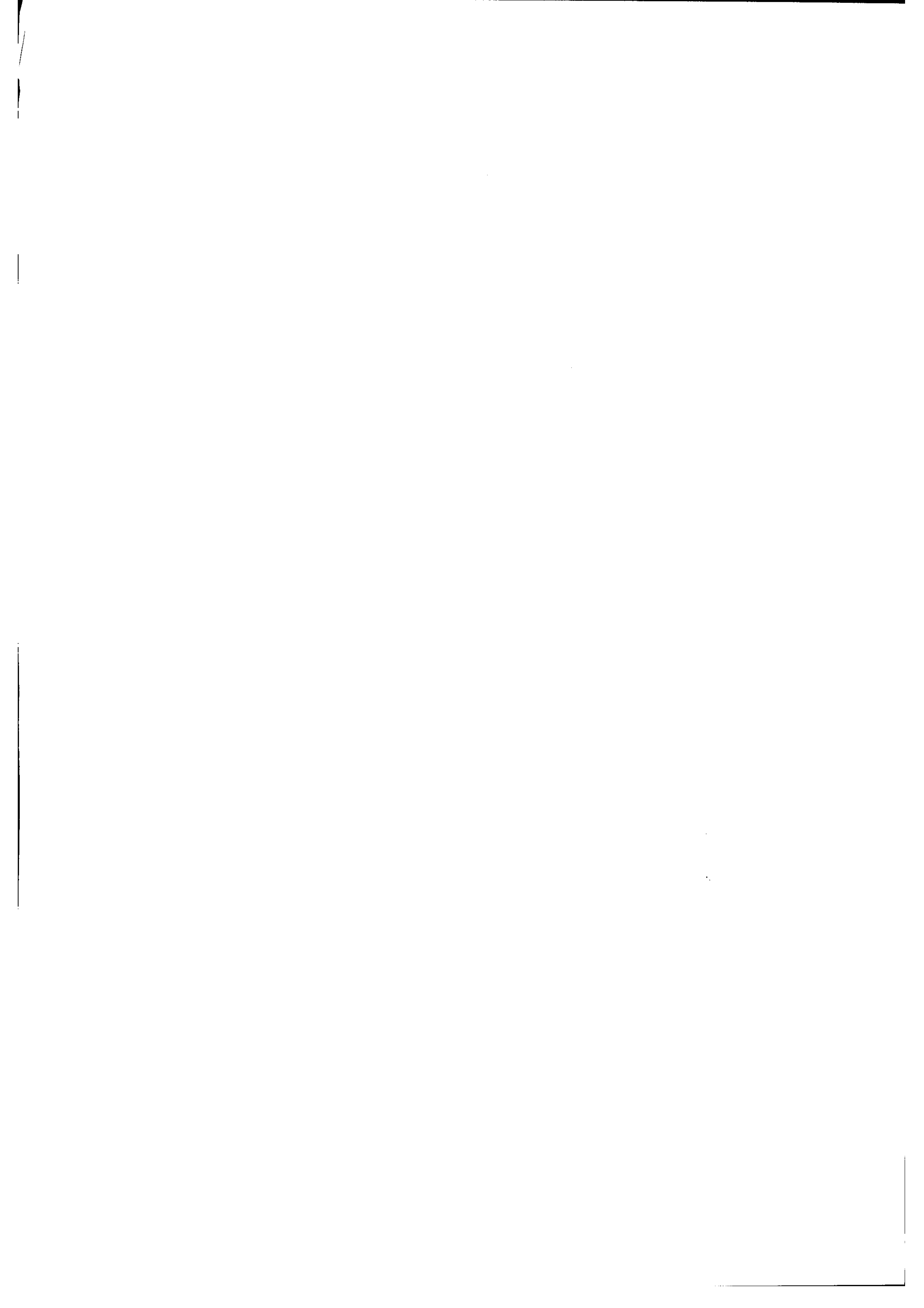
شكل رقم ١٤: السفن الفينيقيـــــــة الطابع



(Diagram of) the development of letters

	Sinai 1500 BC	Canaan 1000 BC	Phoenicia 750 BC	Greece 750 BC	Europe Today
Oxhead					A
Fence					H
Water					M
Human Head					R
Bow					S

شكل رقم ١٥: انماط من الحروف الهجائية



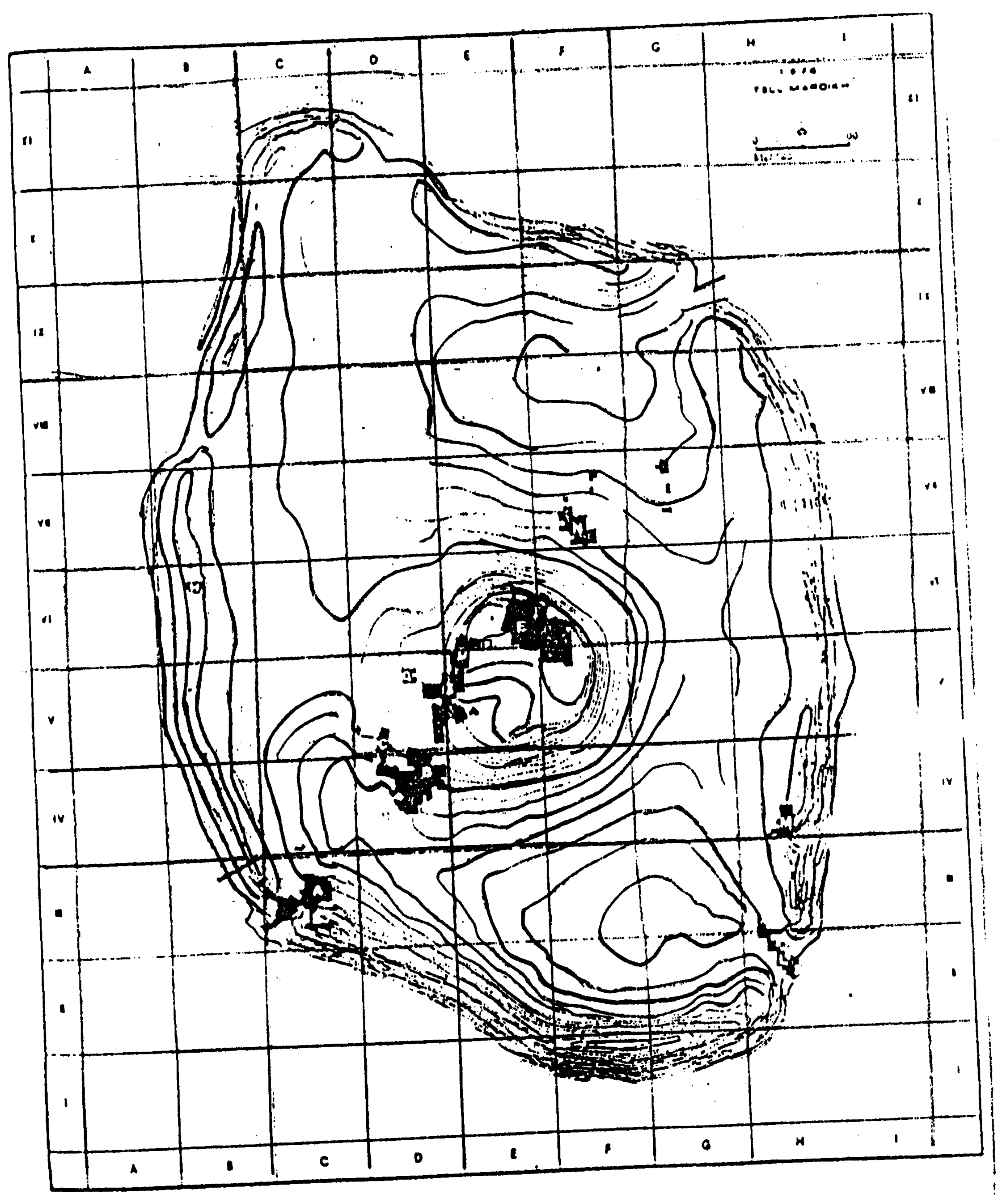


Figure 8 Relief map of Tell Mardikh with the state of the excavations in 1976
P.43 (Letters denote various sectors of the city)

شكل رقم ١٦: الأكربول (التل الأثري) من موقع ابلة، سوريا

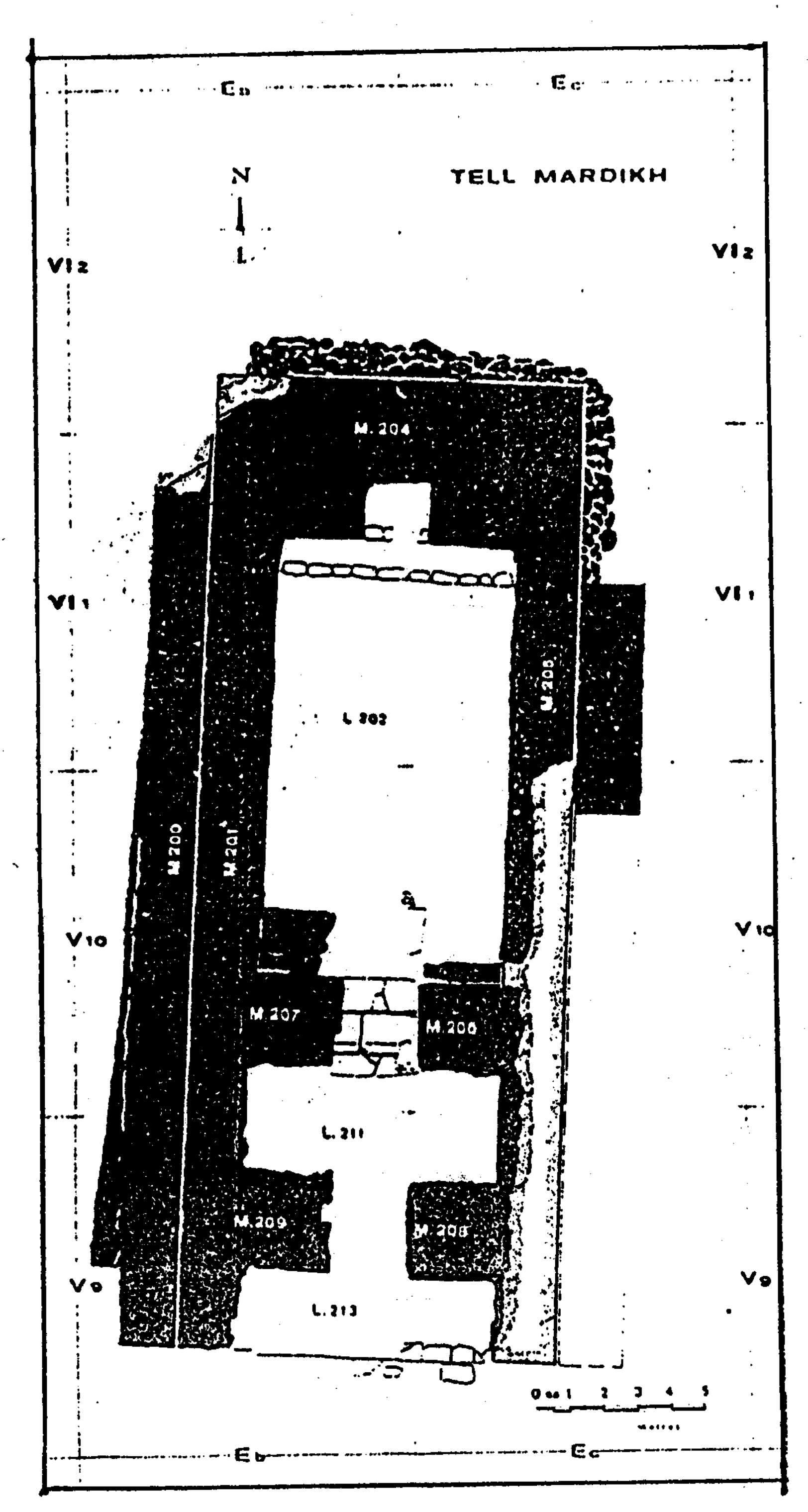
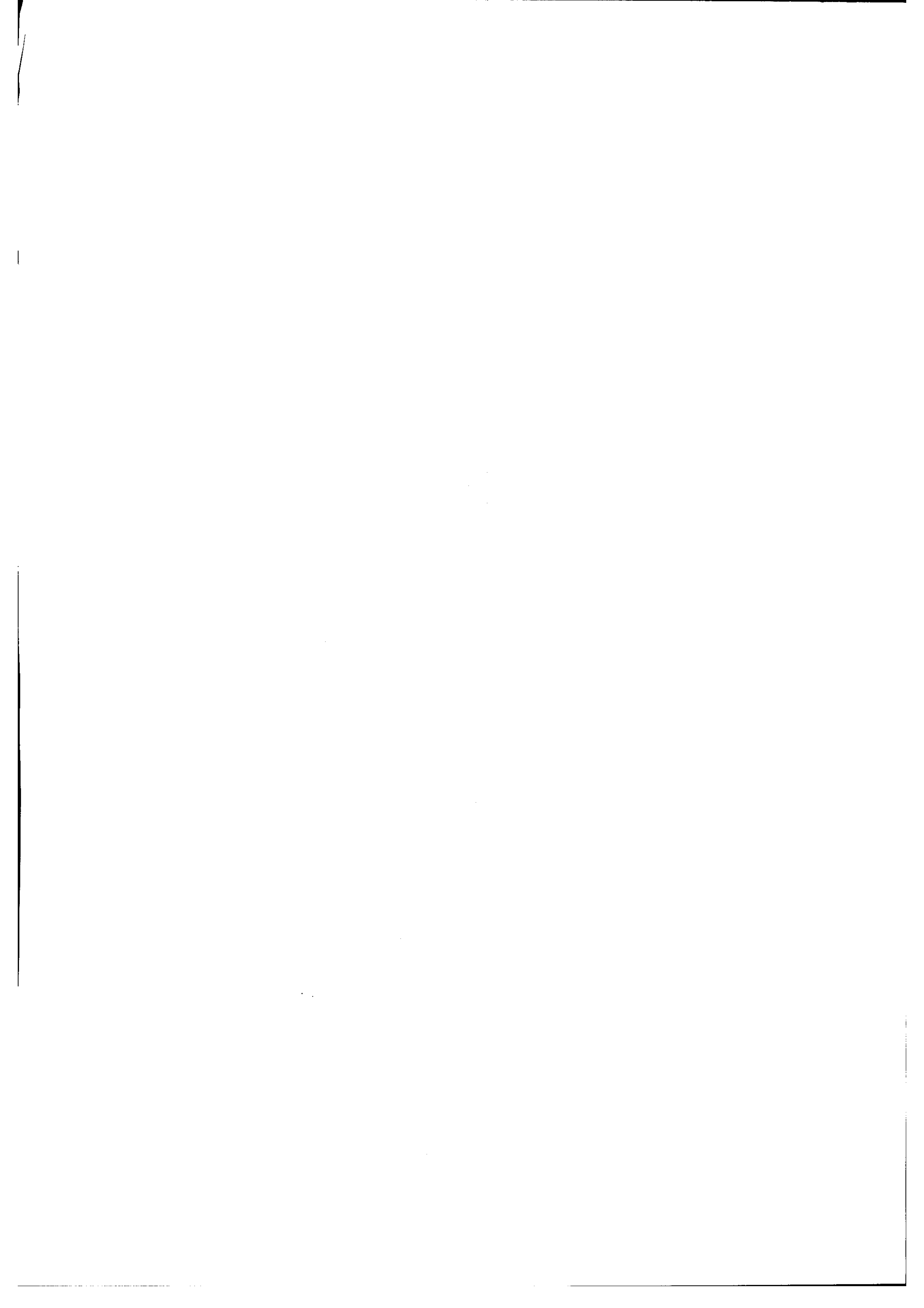


Figure 30. Ground Plan of Great Temple D of Mardikh IIIA-B

شكل رقم ١٧: تخطيط المعبد الديني من موقع ابله (تل مرديخ) ، سوريا



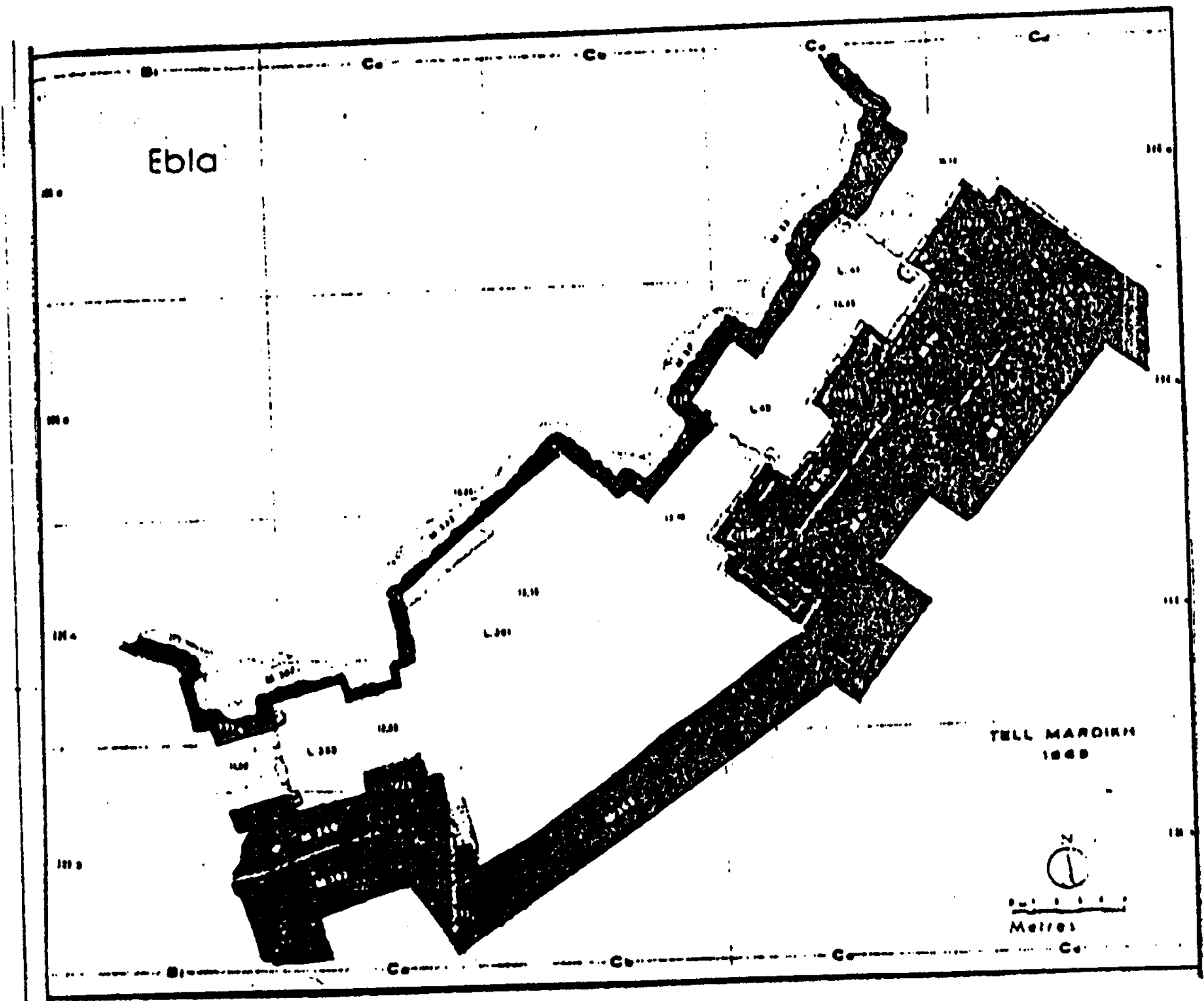


Figure 24 Ground Plan of the South-West City Gate of Mardikh IIIA

P. 121

شكل رقم ١٨: نمط البوابة المحصنة، موقع ابلة (تل مرديخ)، سوريا

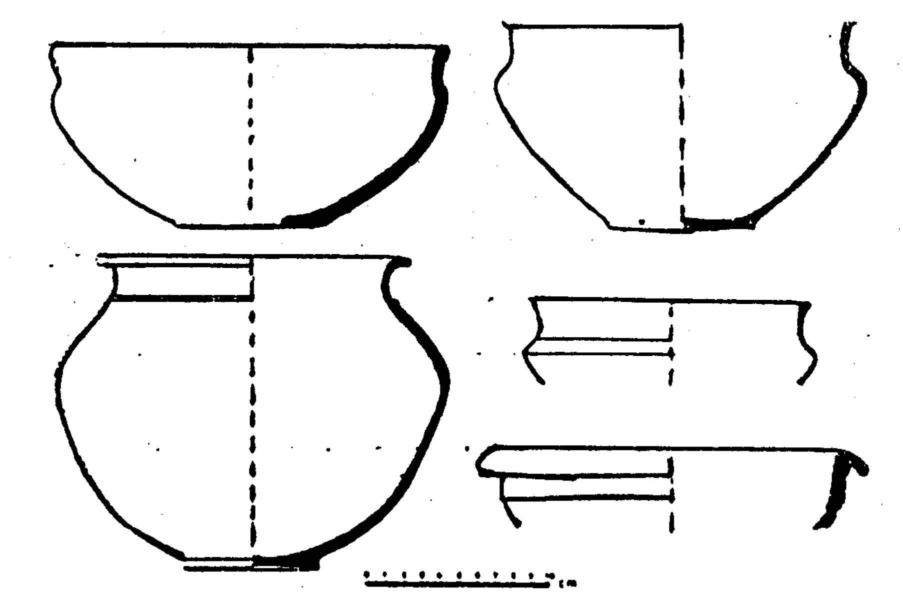


Figure 40 Pottery of Mardikh IIIB

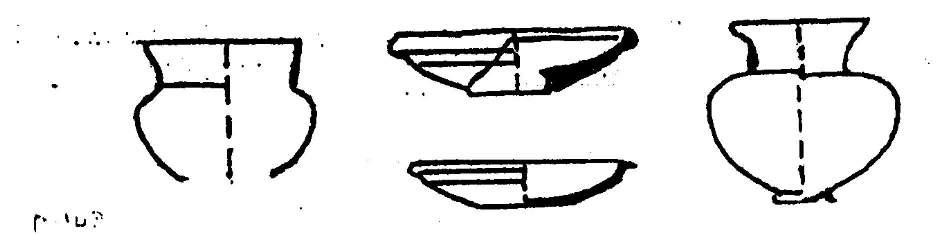


Figure 41 Pottery of Mardikh IIIB

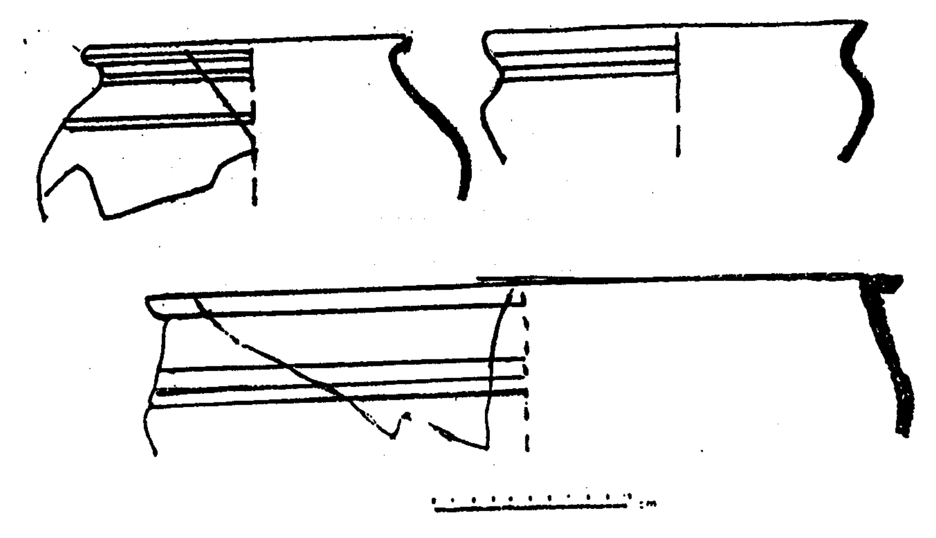


Figure 42 Pottery of Mardikh IIIB

شكل رقم ١٩: أنماط فخارية من موقع ابله (تل مرديخ)، العصر البرونزي الوسيط، سوريا

التقسيمات الزمنية	الزمن المرجح	المناخ	السكن	الاقتصاد	الحضارة
العصر الباليوليثي	أكثر من نصف مليون عام ق.م إلي عشرة آلاف عام ق.م	مناخ مطير مستنقعات	الكهوف	جمع الطعام صيد الحيوان	الأدوات الظرانية الرسوم الصخرية
العصر الميزوليثي	عشرة آلاف عام ق.م حتى ٦٠٠٠ عام ق.م	استمرارية المناخ مع انقطاع مؤقت للأمطار	حواف الجبال	استمرارية الاقتصاد مع حرفة الرعي احتمالية تدجين الحيوان.	استمرارية للمظاهر الحضارية مع تقدم تقني أكثر
العصر النيوليثى	٦٠٠٠ عام ق.م حتى ٤٥٠٠ ق.م	بدء العصر الجاف وانقطاع الأمطار	السهول وتشييد المساكن	حرفة الرعي حرفة الزراعة	صناعة الفخار المدافن المجتمعات المستقرة
العصر الخالكوليثي	٤٥٠٠ ق.م حتى ٣٠٠٠ ق.م	استمرارية المناخ الجاف	السهول وتشييد المساكن	حرفة الرعي والزراعة التجارة الدولية	استغلال معدن النحاس التأثيرات الحضارية المتبادلة النقلة للعصور التاريخية

جدول رقم ١: عصور ما قبل التاريخ

جدول مقارن بالفترات الزمنية ضمن الإطار الحضاري لمنطقة الشرق الأدنى القديـــــم

العصور التاريخيـــة	مصر الفرعونية	بلاد الشام/ الجزيرة العربية	بلاد الرافديـــن
عصور ما قبل التاريخ	الباليوليثي الميزوليثي النيوليثي (مرمدة بني سلامة) الخالكوليـــثي (البداري، دير تاسا)	. . . . (الناطوفية-أريحا)	. . . . (تل العبيد- الوركاء)
العصور التاريخية	العصر العتيق أو بداية الأسرات الأسرة ٣-٦ (الدولة القديمة) - عصر الانتقال الأول (٧-١٠ المتعاصرة مع ١١)	العصر البرونزي المبكر بأدواره الأربعة (٣٠٠٠- ٢٠٠٠ ق.م)	العصر السومري- الأكدي. العصر الجوتي عصر الاحياء السومري
	عصر الدولة الوسطي (الأسرتان ١١-١٢)	العصر البرونزي الوسيط بدوريه الأول والثاني MB I- II	العصر البابلي
	عصر الانتقال الثاني ومحنة الهكسوس الأسرات ١٣-١٧	العصر البرونزي الوسيط في دوره الثالث MBIII	
	عصر الدولة الحديثة أو الامبراطورية المصرية أسرة التحامسة (١٨) وأسرتي الرعامسة (١٩-٢٠)	العصر البرونزي المتأخر أو الحديث (LB) ١٦٥٠- ١٠٠٠ ق.م	العصر الكاسي- الميتانيون
	عصر الانتقال الثالث أسرات (٢١-٢٥)	العصر الحديدي بدوريه الأول والثاني ظهور الحضارات اليمنية وتفوقها التجاري	العصر الآشوري / الكلداني (البابلي الحديث) والتوسع العسكري ضد الشرق الأدنى القديم
	العصر المتأخر والانتكاسات المصرية والاحتلال الآشوري والكلداني والاخميني لها، وانتهاء بالغزو اليوناني علي يد الاسكندر أسرات (٢٦-٣٠)	السيادة الاخمينية ومن بعد اليونانية	السيادة الاخمينية ومن بعد اليونانية

جدول رقم ٢: جدول مقارن بالفترات الزمنية ضمن الاطار الحضاري لمنطقـــــة الشرق الأدنى القديم

قائمة مختارة بالمراجع العربية والمعربة والأجنبية

أولا: المراجع العربية

أبو طالب (محمود)، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة. أضواء جديدة (١٩٥٢-١٩٧٧)، وزارة الثقافة والشباب، المطبعة الأردنية: ١٠٧٨م.

الناضوري (رشيد)، جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت: ١٩٦٧.

حسن أحمد، "الساميون القدماء: العبرانيون، الآراميون، الفينيقيون"حضارة مصر والشرق القديم، تأليف ابراهيم رزقانة وآخرون، القاهرة (بدون تاريخ نشر).

سليم (أحمد امين)، في تاريخ الشرق الأدنى القديم. مصر - سورية القديمة، دار النهضة العربية : ١٩٨٩م.

سليمان (عامر)، القانون في العراق القديم، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد: ١٩٨٧م.

شاهين (علاء الدين)، " مدخل إلي آثار المملكة الأردنية وحتى نهاية العصر الحديدي الثاني"، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد الأول، العدد الثاني (١٩٩١).

-----------، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم، دار السلاسل،الكويت: ١٩٩٧م.

صالح (حسن عبد القادر)، بحث عن حوض نهر الأردن (دراسة إقليمية)، رسالة ماجستير مقدمة إلي كلية الآداب، جامعة القاهرة: ١٩٦٤ (غير منشورة).

صالح (عبد العزيز)، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول: مصر والعراق، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة : ١٩٩٠م.

عبد القادر (محمد)، الساميون في العصور القديمة، القاهرة : ١٩٦٨م.

فرزات (محمد حرب) وعيد مرعي، دول وحضارات في الشرق العربي القديم. سومروأكاد بابل وآشور. آمورو وآرام. دار طلا س للدراسات والترجمة والنشر، دمشق: ١٩٩٠م.

مهران (محمد بيومي مهران)، مصر والشرق الأدني القديم ، الجزء الثامن : بلاد الشام، الاسكندرية : ١٩٩٠م.

ثانيا : المراجع المعربة

أولبرايت (وليم ف) ، آثار فلسطين ، ترجمة زكي اسكندر ومحمد عبد القادر محمد، ومراجعة د. سعاد ماهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة: ١٩٧١م.

بارو (أندريه)، بلاد آشور، ترجمة وتعليق دكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الرشيد للنشر، بغداد: ١٩٨٠م.

حتى (فيليب)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، الجزء الأول، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت: ١٩٥٨

كلينكل (هورست)، آثار سورية القديمة. آثار ما قبل الاسلام في الجمهورية العربية السورية. ترجمة قاسم طوير، دمشق (بدون تاريخ نشر).

كونتينو(ج)، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة (بدون تاريخ)

لويد (سيتن)، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش، دار المأمون، بغداد: ١٩٨٨م

وبنهايم (ليو)، بلاد ما بين النهرين. ترجمة سعدي فيضي عبد الرازق، بغداد: ١٩٦٨.

ثالثا: المراجع الأجنبية

Amiran, R. Ancient Pottery of the Holy Land, Massada: 1969

Archaeological Encyclopedia of the Holy Land, Edited by A. Negev, Jerusalem: 1972

Gerstenblith, P. The Levant at the beginning of the Middle Bronze Age. Dissertation Series 5 (1983).

Oxford Bible Atlas, edited by H. G. May, 3rd edition, Oxford University Press: 1984.

Mellart, J. The Chalcholithic and early Bronze Ages in the Near East and Anatolia, Beirut: 1960

Shaheen,Alaa eldin, "EB III – MB I Axe in the Egyptian private Middle Kingdom Tombs: An Assessment, "Gottinger Miszellen 117/ 118 (1990).

------------," A Possible Synchronization of EB IV C ceramic ware in Syro- Palestine and Egyptian sites,"' Journal of the Faculty of Archaeology V (1991),pp. 107-109.

Wright, G. Biblical Archaeology, The Westminster press: 1957

فهرس المفردات

- أ -

- ب -

- ت -

- ج -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- و -

- ي -

نبذه مختصرة عن المؤلف

يشغل الأستاذ الدكتور علاء الدين عبد المحسن شاهين أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم رئاسة مجلس قسم الآثار المصرية بكلية الآثار، جامعة القاهرة حاليا. والمؤلف حاصل علي درجة الماجستير من كل من جامعة القاهرة وجامعة بنسلفانيا الأمريكية، ودرجة الدكتوراه في الآثار المصرية من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

وقد قام المؤلف بالتدريس لطلبة الليسانس والدراسات العليا بكلية الآثار بالإضافة إلي طلبة كليات الآداب بجامعة القاهرة و طنطا وفرع الجامعة بالفيوم (حاليا جامعة الفيوم) وفرع جامعة القاهرة بالخرطوم ، جمهورية السودان الشقيقة، وبالمثل لطلاب كلية الآداب جامعة الكويت.

وشارك المؤلف أيضا في أعمال الحفائر لكلية الآثار أو بالتعاون بين كلية الآثار ومؤسسات أجنبية ، وبالمثل ضمن فريق الحفر الآثاري لمتحف جامعة بنسلفانيا ، الولايات المتحدة الأمريكية.

وللمؤلف العديد من المقالات العلمية باللغة العربية أو الأجنبية ، وبعض الكتب في مجال دراسات تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم.